التَّلِيدُ وَالطَّارِفُ

شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
ص.ب. الجمهورية اليمنية – عدن ٧٠٠١٤

التَّلِيدُ وَالطَّارِفُ

شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف

بِقَلَمِ
خَادِمِ السَّلَفِ
أَبِي بَكْرٍ العَدَنِي ابنِ عَلِيّ بنِ أَبِي بَكْرٍ المَشْهُور

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلـع القرآنـي

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقْتربتِ الساعةُ وانشق القَمر (١)
وإن يروا آيةً يعرضوا ويقُولُوا سِحر مستمِر (٢)
وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكُل أمرٍ مستقِر (٣)
ولقَد جاءهم من الأنباء ما فِيهِ مزدجر (٤)
حِكْمةٌ بالغةٌ فَما تغنِ النذُر (٥))

صدق الله العظيم

الآيات ١-5 من سورة القمر

الإهداء

للقدسِ..
للواد المقدسِ..
للقيود..
لحجارة الشعب الصمود..
وإليك يا بغداد..
يا رمزاً عنود..
وإلى الجنود..
جيشِ التوجهِ نحو أبواب المدائنِ..
والحدود..
وإلى الإمام المنتظر..
داعي الحشود..
والقادمونَ.. لأ م أمل الخلاص..
والوعد جاء.. ولا مناص..
لا مناص..
...
تباً لعصري ! تعلمونْ ؟!
المتخمونَ..
تضافروا وبنوا القلاع..
لحماية الكنـز الإله..

باعوا العهود..
وشعو م صارت سدود..
خلف البنود..
صرنا غثاءً كالقرود..
والدين ملحمةُ الطغاةْ..
...
الله أكبر يا يهود..
يكفي قُعود.. تكفي اجتماعات الوفود..
سئِمت شعوب الوحي مهزلةَ الوعود..
ورغاءَ جمهرةِ الرواةْ..
لكم الحياةْ.. لكم الحياةْ..
لكم التراب مع المياه..
ولنا اللحود..
الموت خير من معانقة الغزاةْ..
وغداً لناظِرِهِ قريب..
حقّاً قريب..
وعد الإله..

شاهد الحال

«إذا ظهرت الفتن -أو قال: البدع- وسب أصحابي فليظهر العالمُ عِلْمه، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً»

أخرجه الخطيب في «الجامع» عن معاذ

\- - -

«إذا لعن آخر هذه الامة أولها فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أُنزل على محمد»

رواه ابن ماجه في «سننه»

\- - -

عن النعمان بن بشير τ قال: قال رسول الله ρ:«إن بين يدي الساعة فتناً كقِطَعِ الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع قوم فيها خلاقهم بعرضٍ من الدنيا يسيرٍ، أو بعرضٍ من الدنيا».

قال الحسن: فوالله الذي لا إله الا هو لقد رأيتم صوراً ولا عقول، وأجساماً ولا أحلام، فَراش نارٍ، وذُبانَ طَمعٍ، يغدون بدرهمين، ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمنٍ عنزةٍ.

«الفتن» لنعيم بن حماد (١: ٤٧)

تمهيد

الحَمد للهِ الذِي أنـزل على عبدِهِ الكِتاب ولمْ يجعل له عِوجا (١) قَيما لينذِر بأسا شدِيدا مِن لدنه ويبشر المُؤمِنين الذِين يعملُونَ الصالحَاتِ أن لهُم أجرا حسـنا (٢) ماكِثِين فِيهِ أبدا (٣) وينذِر الذِين قَالُوا اتخذَ اللهُ ولدا (٤) ما لهُم بِهِ مِن عِلـمٍ ولا لآبائِهم كَبرت كَلمةً تخرج مِن أفْواهِهم إن يقُولُونَ إلا كَـذِبا (٥) فَلعلـك باخِع نفْسك على آثَارِهِم إن لمْ يؤمِنوا بِهذَا الحَدِيثِ أسفًا (٦) إنا جعلنا ما علـى الآرضِ زِينةً لهَا لنبلُوهم أيهم أحسن عملا (٧) وإِنا لجَاعِلُونَ ما عليها صعِيدا جرزا (٨) صدق الله العظيم.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله القائل عن الدجال: «وإن معـه جنةً وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقـرأ فـواتح الكهف، فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم».

وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، ما تعاقب الليل والنهار، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم القرار والاستقرار.

وبعد فإن فقه علامات الساعة منتشر خبره اليوم، ومؤلفات العصر قد أشـبعت منه فصولاً كثيرةً ما بـين كتاب وكتيب ورسالة، ونشـرة وشـرح ومحاضـرة وشريط، وخطابة منبر، واستقراء حالة ومظهر، وكان الأجدر أن نكتفي بما كُتب وصنف في هذا المضمار ؛ ولكنا رأينا أن كافة ما كتب عن الساعة وعلاماا ينشر كمعلومات متفرقة عن هذه الظواهر الخطيرة، ومع هذا فقد اعتقـد الـبعض أن التناول لها مجرد مشغلةٍ وصرفٍ عن الواجبِ والمتحتمِ واللازمِ والمندوبِ ؛ إلى ما لا حاجة له من علم الغيوب.

وكنا في هذا السبـيل قد رضينا ما رضيه الناس، مع أن إرضاء الناس غايـة لا تدرك، وفجأةً.. برز لنا شاهد نبوي عظيم من خلال استقرائنا لحديث جبريل عليه السلام بصرف النظر عما كنا قد عزمنا عليه من السكوت، والاكتفاء بمـا هـو موجود ومعلوم عن عالم الملك والملكوت، تحت شاهدٍ مِلح «إذا لعن آخـر هـذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنـزل على محمد» رواه ابن ماجه.

وفهمنا من هذا النداء النبوي أن مكتوم العلم واجب إظهاره، فاستجبنا للدعوة ولبـينا الإشارة وبدأنا نضع السؤال من محور الحديث النبوي العظـيم، حـديث جبريل عليه السلام الحديث الحاوي على أصول الدين وقواعده، والحامل أسـاس الديانة وثوابت الدين وشواهده، فوجدنا أنّ ما قرره علماء الملة الأثبـات ثلاثـة أصول وأركان وما نطقت به الذات النبوية أربعة، فوقفنا عند هذا الملحظ وبـدأنا نجمع الأشتات وندرس أركان الدين الأربعة مجتمعة لا متفرقة، ونتحـدث عـن علامات الساعة كركن من أركان الدين وأصل من أصول بناء وعـي المسـلمين وفهمهم عن أمر دينهم كما قاله ρ في آخر الحديث: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

وبما أن أمور الدين التي شملها الحديث أربعة فالواجب أن يدرس كل ركن منها بالتفصيل.

والركن الرابع منها بالخصوص يحتاج إلى هذا التفصيل والتبـيين من جوانـب عدة:

أولها: أن يتعرف المسلم الفرق بـينه وبـين الثلاثـة الأركـان الأولى الـتي اعتمدها العلماء،

حيث إن الثلاثة الأركان أركان ثابتة يجب تعلمها منذ الصبا، لأ ا تعنى بالعلم الفرضي الواجب الذي لا يصح التعبد إلا به، وهو علم العقيدة والشريعة ومراتب السلوك.

أما الركن الرابع فمتغير، أي: ليس له ارتباط بالتعبد الذاتي، وإنما علاقته بمقاييس التحول ومواقع الخير والشر في الناس والزمان، ويرتبط بعلم التعبد من حيث الميل القلبي والولاء.

فالذين يوالون الصالحين مثلا تعرف معنى علاقتهم م من حيثيات العلامة والسمة، والذين يوالون الكفر والطواغيت وأهل الدنيا تعرف حقيقة ولاءا ـم بالعلامة والسمة.

العلامة والسمة في هذا الجانب علم ينبني على معرفة «فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة»، وإذا ما أُخِذَت في حياتنا العلمية ركناً من أركان الديانة والتدين يمكن -بمتابعة الوارد فيها- معرفة الدجل والدجاجلة، ومعرفة الفرد لنفسه من حيثيات ولائه وارتباطه، وعلاقته بالتحولات وموقعه منها، ومعرفة أهل الحق والعدل الذي مات رسول الله ρ عنهم وهو راضٍ، حيث إن اتخاذ موقفٍ ما ضد فتنة بين الصحابة لا تقف على فهم ا تهد أو المستنبط بل ربما جرت فتنة على صحابي لا تقدح في مرتبته ولا صحبته، ولا تخرجه بنص آخر من الصحبة ورتبة النجاة في الدارين.

وقد زلت في هذا الباب جماعات وجماعات فَهموا بعض الوقائع والنصوص وعدوها حجة في القدح في بعض الصحابة، مع أن فقه التحولات وأشراط الساعة تنفي عنهم الضلالة والفتنة، وتجعلهم في مصف الخلفاء الراشدين المهديين بالنص الواضح.

فالذين حاربوا الإمام علياً كرم الله وجهه وτ لا يختلف اثنـان في إسـلامهم وتدينهم ولكن الذي حملهم على الحرب والعداوة مواقف ومفاهيم غَيرت ولاءهم له لتصبح ضده، وفي ذات الوقت تحولت ولاءا م لجهات أخرى، فالولاء والـبراء مسألة ترتبط ارتباطا وثيقا بفقه التحولات وعلامات الساعة، وفقـه التحـولات وعلم الساعة تعرضت خلال مرحلة التدوين وما قبلها إلى إقصاء متعمدٍ ومقصودٍ، وخاصة أن هذا الركن قد تناول الفساد المعني بالقرار ومواقع الحكم والسياسـة، ورغم ما قد بذله العلماء المخلصون لهذا الدين من حفـظ للصـحيح كالإمـام البخاري ومسلم وغيره فإ م على عظمة الجهود المبذولة وخاصة في فقه الشـريعة والعقيدة ومراتب السلوك قد ذكروا في بعض مقدما م ما قاموا به مـن تجـاوز وإقصاء، فهذا الإمام البخاري يقول في مقدمة الجامع الصحيح: مـا أدخلـت في كتاب الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال أو لأجل الطول، وفي رواية، وتركت من الصحاح حتى لا يطول[1]. وهذا ما تركه البخاري من الصحاح العام المتناول لكثير من الأحاديث المتنوعة، أما أحاديث الفتن وعلامات الساعة فلا شك أن الكثير قد ترك منها ضمن ما ترك، ويقول الإمام مسلم رحمه الله: لـيس كـل شيء عندي صحيح وصفْته هاهنا، إنما وضعت ما أجمعوا عليه، وقال السـخاوي في «فتح المغيث»: إن الشيخين لم يستوعبا كل الصحيح في كتابـيهما، وقد صرح كل منهما بعدم الاستيعاب.[2] اهـ.

قال مؤلف كتاب «أسرار الجفر»: «إن المشكلة بدأت من هناك من رأس الستين التي حذر منها سيدنا محمد ρ، لأن طمسا كبـيرا سيحدث في حقـائق ومعـالمَ وإشاراتٍ على الطريق ترشد الأمة، أو بمعنى أدق تزيد الأمة في إرشادها لتحديـد

(١) «أسرار الهاء في الجفر» ص ١٣٤.

(٢) المصدر السابق.

حروف تبـين ا المسالك والممرات، وسط التيه العظيم الذي لا محالة ستصل إليه الأمة، لفساد الساسة والقاده الذين لو أبـيح بأسمائهم صراحة ووصلتنا الصراحة موثقة لكانت الدنيا والأمة الإسلامية في وجه آخر» [1].

و ذا الإفصاح المهم عن (فقه التحولات وأشراط الساعة) نسـتفيد حاجتنـا الملحة إلى إعادة فهم المسلم إلى (مدلول الركنية) التي غفل عن الإشارة إليها كـثير من الباحثين، وشغل البعض منهم بمحاكمة العلم والعلماء، وحـاول آخـرون أن يندسوا من خلال هذه الثغرات للنيل من شرف الإسلام كله، ويهندسوا لأجيالنـا المعاصرة صيغ الصراع المدمر باسم آل البـيت النبوي المظلومين.

والشأن كل الشأن في الاعتدال، فالبنيان الإسلامي خير كله، وإذا ما فات على الأمة فقه التحولات وأشراط الساعة فلا مجال لنسف بنيان الأمة في أركا ا الباقية، والخير كل الخير في حسن التناول للقضايا العلمية، ومعالجة الأمور مـن خـلال حاجتنا لإصلاح ما يمكن إصلاحه في شمول الطوفان القادم، وأما ماقد سلف فقـد قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وإذا كانت الآية قد نـزلت في شأن الأمم السابقة فإن معاني القرآن تتجـدد في شواهد الاستدلال، وعلينا أن نفهم المعنى من إعادة مدلول الركنيـة الرباعيـة إلى موقعها بما يأ لنا من الشواهد لخدمة الأمة، لا أن نعيش علـى حسـاب هتـك التاريخ ورجاله، فحرمة الإسلام في المسلمين عظيمة، وغاية مـا نحتـاج إليـه في تقريرنا لهذه الركنية أن نوجه الأجيال إلى المرحلة المعاصرة ودراسة علامات الساعة

---

(١) المصدر السابق باختصار.

دراسة متأنية لإخراج ما استطعنا من براثن التبعية للكفر والكافر مـن الحاضـر والمستقبل.

ففي عصرنا نرى عشرات المفكرين والعلماء يصلون ويصـومون ويتعبـدون لله ويتقربون إليه، ولكن مشكلة الأمر لافي العبادة وإنما في نماذج الولاء، فمنهم مـن يوالي الكفار ويجتهد في خدمتهم ويحقق لهم من هذه الخدمـة مكاسـب ماديـة وفكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية، فالعلة كامنة في ولائـه وخدماتـه لا في صلاته وصيامه، وهذا ما يعرف بـ «مضِلاّتِ الفِتن»، وقد شملت هذه العلة كـل طوائف الإسلام المذهبـية المعاصرة بلا استثناء، اللهم إلا بعض الأفراد الـذين لا علاقة لهم بالمؤسسات والأنظمة.

وقد برز هذا الانفصام جليا في مرحلتنا المعاصرة نتيجة احتواء المدرسة الحديثـة ذات العلاقة المباشرة ببرنامج الغثاء المسيس نتيجة احتوائها لكافة مناهج التعلـيم والتربـية في البلاد العربـية والإسلامية، بعيد الحربـين الأولى والثانية، و ا تحقق للكافر تطبـيع العقل الإسلامي مرافقاً لتطويـع المنطقـة وتطبـ ـيعها لمصـالح الاستعمار، ومن هنا اتسع الخرق مع انعدام الراقع، وطما سيل العصرنة السلبـية على كثير من مواقع التربـية والتعليم حتى اندرجت غالـب عقـول المسـلمين ومؤسسا م العلمية ضمن عجلة التغيير، وتوالى التغيير مرحلةً بعد مرحلـةٍ حـتى عصرنا الراهن، ولهذا فإننا عندما نعيد مفهوم العلم على أساس الكتاب والسنة نجد أن غالب المنطلقين في هذا المضمار المعاصر هم ضحايا مرحلة الغثـاء والتسـيس شاؤوا أم أبوا، وربما عالجوا كثيرا من قضايانا المعاصرة بأسلوب مريب وغريـب معتمدين على فهمهم المسيس للكتاب والسنة. وهذا مقتل خطير جدا، قد تكلـم عنه من لا ينطق عن الهوى ρ وهو ينقل للعالم خطورة مستقبل المرحلة الغثائية في النظرية والتطبـيق الشرعي، فضلا عن الأمور الأخرى.

وعهدنا إلى أنفسنا ما استطعنا إلى ذلك سبـيلا أن نكشف الحقيقة ونتحمـل مسؤوليات كشفها سواء من المعترضين علينا داخل دائرة المدرسة الأبوية ذا ـا أم من المعترضين علينا خارجها، فكلا الجهتين يعانون في مرحلتنا المعاصرة من شمول الحيرة في جانبـي الإفراط والتفريط الذي يعالجون به قضايا التعبد وقضايا الحياة، وكلا النقيضين أيضا يعيشون أزمة خطيرة، صارت وبلا شك هي المسؤولة (بعـد تدخلات العدو) عن كل التداعيات التي نشهدها اليوم، وشهد ا المدرسة الأبويـة المسندة بعد سقوط القرار الإسلامي العالمي في القرن التاسع عشر الميلادي وإعلان المدرسة العلمانية في تركيا على أنقاض المدرسة العالمية الإسلامية.

وهذا النقض وثمراته جزء من علم التحولات وفقه علامات الساعة، وقد جهلـه الكثير ممن يعنيهم الأمر فضلا عن عامة الأمة ودهمائهم.

ولهذا السبب نجد أن إعادة مفهوم القراءة الشرعية لأركان الدين علـى أسـاس المعالجة الرباعية هي واجب المرحلة وإحدى ضرورا ا. وواجب المرحلة أسهم معنا في استقراء مكنونات العلامات كلها، بدءاً من عصر صاحب الرسالة ρ و ايـةً بعصرنا الذي طغى فيه دخان التحول والتغير، فاستنفدنا جهدنا المحدود لاستفراغ المعرفة في هذا المصب الإيماني.. وبدأنا في جمع معلومات فقه علامات الساعة حتى تكون لدينا هذا ا موع بشقيه: الشق الأول العرض المنظوم.

والشق الثاني شرح هذا النظم وفق المصادر المتوفرة.

وفوق كل ذي علم عليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

«**التليد**» البعيد، و«**الطّارف**» القريب، و«**فقه التحولات**» المقصود به فهم ما يجري من سنن التغيرات والتبدلات في المراحل المتقلبة وما أشارت إليه الآيات والسنة النبوية في شأن ذلك.

وأما «**سنة المواقف**» فهي إضافة محمودة على ما تقرر لدى العلمـاء مـن تقسيم سنة المصطفى من قولية وفعلية وتقريرية، حيث لوحظ أن هناك سـنة دلالة وسنة مواقف.. وليس هذا موضع بسطنا لسنة الدلالة وإنما نتحدث عن سنة المواقف، وهي ما اتخذه الرسول من موقف ذاتي يليق بأخلاقـه عليـه الصلاة والسلام مع أعدائه وأضداده، وحتى مع من نـزل في شـأ م نـص قرآني، وليس ذلك مخالفةً للنص وإنما بسطاً للعفو واستجلاء للنفوس خـذْ العفو وأمر بالعرفِ وأعرض عن الجاهلين .

المُقدمة

الحَمـــدُ للهِ علـــى مـــا ياـــهم مِن فَضلِهِ والفَضـــلُ مِنـــه دائِـــم

«**الحمد**» هو الثناء على الله بالجميل الاختياري، والناظم يحمد الله تعالى على ما ألهمه من الفضل الذي هو المعرفة والبـيان المؤدي إلى استنباط المعاني من النصوص، «**والفضل**» يعود إلى الله في كل الأحوال، فمنه كل شـيء لأنـه الكريم الجواد المتفضل سبحانه.

ثم **الصـــلاةُ والســـلام المُتصِـــلْ على النبـي كاشِفِ الفِقْهِ المُـدِل**

«**الصلاة**» من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومـن الآدمـيين تضـرع ودعاء، والصلاة بمعنى الدعاء، وهو استجابة لأمر الله تعالى للعباد في قولـه: يا أيها الذِين آمنوا صلوا عليهِ وسلموا تسليما ، فالصلاة والسلام علـى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق واجب على كل مسلم، «**والسلام**» هو الأمان المفضي إلى الاطمئنان، وهو اسم من أسماء الله، أنـزله إلى الأرض ليتجسد معناه في العباد ويبرز على ألسنتهم وأقوالهم وأفعالهم وعلاقا م.

وقوله «**المتصل**» أي: الدائم غير المنقطع، «**على النبـي**» مأخوذ من النبوة، وهو الإخبار بالمغيب، ونبـينا عليه الصلاة والسلام نبـي ورسـول، فقـد خاطبه الله بكل الصفتين: يا أيها النبـي.. يا أيها الرسول.. .

«**كاشف الفقه المدل**» الكاشف المظهر والمبـين لما خفي واستتر، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبرز في صحيح أقواله ما استتر وخفي في الماضي والحاضر والمستقبل، وسمي هذا الكشف «**فقهاً**» لأنه يختص بعلـم علامـات

الساعة، وقوله: «**المدل**» أي المرشد إلى حقيقة ما يجهله الإنسان، أو ما يرتبك في شأن الإفصاح عنه من سلوك الناس وأحوالهم.

مـن حـدد العلائـم المرسـومهْ ... وأوضـح المعـالمَ المشـؤومهْ

«**العلائم**»: جمع للعلامات، و«**المرسومة**» أي: الجارية في قضاء الله وقدره في مستقبل الزمان، فهو صلى الله عليه وآله وسلم قد حددها كماً ونوعاً وصفةً وحالاً ومكاناً وزماناً.

«**وأوضح**» أي: بـين وأجلى «**المعالم**» جمع معلم وهو الموقع والمكان، ويقال أيضاً: الإشارات والملامح «**المشؤومة**» أي: مظاهر الانحراف والفساد وشؤم المسلك والمقصد والتصرف، كما عبر عن ذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم.

والآل والأصـحابِ ثُـم التـابِع ... ومن مشى على الطريـق الواسِـع

«**الآل**» هم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب «**والأصحاب**» جمع صحابـي، وهو من اجتمع بالنبـي مؤمنا ومات على الإيمان «**والتابع**» هـم مـن اجتمـع بالصحابة أو بأحدهم من لاحقي الأزمنة المتعاقبة، «**ومن مشـى**» أي: مـن اتبعهم بإحسان على طريق السلامة والوسع، وحسن الظن بالله وبعباده.

مستلهماً سِـر الوجـودِ الأبـدِي ... مِن سِر آيـاتِ الكـريمِ المُوجِـدِ

أي: مستغرقاً في معاني أسرار آيات الله ليستلهم منها سر الحياة وما بعدها، حيث أودع الله في آياته من العلوم والفهوم من يكشـف أسـرار الأعـالي والتخوم، فهي آيات الله البـينات لمن تأمل واستشف معنى الكرم من الكريم

وسر الإيجاد من الموجد إنّ في ذلك لآيات ، إنّ في ذلك لآية ، إنّ في ذلك لعبرة ، إنّ في ذلك لذكرى .

وقارئـاً سـنةَ طـه المُصطفى همةٍ وأدبٍ مع اقتفـا

القراءة منهج هذه الأمة منذ فجر الرسالة اقرأ باسم ربك والقارئ لـ «**سنة طه المصطفى**» هو الناظر إليها والمطلع عليها مستغرقاً في معانيها مع كمال الهمة في الحصول على المراد ومع الأدب المفضي إلى تعظيم ذات المعلم ومقامه، على اتباع للمأمورات واجتناب المنهيات وفق منهج الاقتداء المنصوص عليه لقَد كَانَ لكُم في رسول اللهِ أُسوةٌ حسنةٌ لمَن كَانَ يرجو اللهَ واليوم الآخِر وذَكَر اللهَ كَثِيرا .

عن كُل عِلمٍ محدثٍ في **العالِم إذْ** في **الأُصول جماعةِ المَعالِم**

حدد القراءة في السنة النبوية «**بالعلم المحدث**» أي: المتجدد المتغير المتحول، وبمعنى آخر: كل علم يأتي في هذا العالم على مقتضى تطور الحياة وتجدد المفاهيم فيها.

إذ إن أصول هذا الدين جامعة لكل شيء من مظاهر التجديد والتحول، فالمولى يقول: ما فَرطْنا فِي الكِتابِ مِن شيءٍ ، وكُل شيءٍ عِنده بِمِقْدارٍ «**والمعالم**» مظاهر التجديد وعلائم التغير والتبدل.

سبحانَ من أودع عِلم العالمين في **صدر طه خير كُل المُرسلين**

تنزيه لله تعالى عن كل مثل وشبه، فهو سبحانه أودع في صدر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كافة العلوم الأولية والأخيرة والماضية والحاضرة والمستقبلية، إذ هو صلى الله عليه وآله وسلم أهل لهذه المعارف، وإمام من

تعلمها وعلمها سواء كانت شرعية أم مادية، فلا يقتبس علـم نظـري ولا مادي على صفحة الوجود إلا بعد إمضائه على لسان نبـي ذلك الزمان أو من قبله أو من بعده، حيث بـين الله مدلول ذلك بقوله: ﴿فَإِنمـا يسـرناه بِلسانِك لتبشر بِهِ المُتقِين وتنذِر بِهِ قَوما لدا﴾ .

والمقصود الظاهر هو القرآن، والمعنى الإشاري هو كافة العلوم التي تبرز في الوجود تحت مدلول ﴿اقرأ باسم ربك﴾ .

فَصـل فِقْـه العـالِمَ الإنسـانيْ ومـا أراد اللهُ للأكْـوان

أي: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد بـين وأبرز في أحاديثه فقه العـالم بأدق معاني الفقه والفهم والتبـيان، كما أوضح صلى الله عليه وآله وسـلم من هذا الفقه أيضاً مراد الله في مسيرة الأكوان وسنن التطور في الحياة.

مِن سِر ما يجري مِـن التحـول ومـا قَضـى مِـن آخِـرٍ وأول

إشارة إلى الخفاء والكتمان، حيث لا يعلم أغلب الناس شأن سر ما يجري، وإنما يشتغلون بظاهر ما يجري، ﴿يعلمونَ ظَاهِرا من الحَياةِ الدنيا وهم عـنِ الآخِرةِ هم غَافِلُونَ﴾ .

«**والتحول**» هو تغير الزمن وأحواله في العباد، وما يطرأ في الجوانب العلمية والعملية والسلوكية من تبدل وتحول.. وما يجري به قضاء الله من أول وآخر ﴿وهو الذِي يبدأُ الخَلق ثُم يعِيده﴾ ، ﴿تؤتي المُلك من تشاء وتنـزع المُلـك مِمن تشاء وتعِز من تشاء وتذِل من تشاء﴾ .

فكُـل شـيءٍ واضِـح بِـالعِلمِ يدرِكُه في النـاس أهـلُ الفَهـمِ

أي: إن كل متغيرات الأحوال واضحة لدى أهل العلم الذين منحهم الله سر الفهم في قراءة الأصول وفقه التحول، حيث إن العلم بكافة صـوره يحمـل

ظاهر المعرفة وسرها الباطن، فالظاهر ما لا يحتاج إلى إعمال الفهم الوهبي، حيث تبرز مواهب العلم الكسبي بعوامل العقل والجوارح، فتبرز المعرفة الطافية على سطح العلم المتداول.

وأما علم التحول وفقه التغير فلا يبرز إلا لقلة من الناس ممن وهبهم الله معنى خاصاً من معاني سر العلم «**العلم اللدني**».

ومن أراد اللهُ أنْ يهدِيَهُ يشرح له الصدر كذا يعطِيهِ

«والهداية» هنا ليست بمفهومها العام، وإنما الهداية لهذا العلم الخاص ضمن الهداية العامة، فلرب عبدٍ هداه الله للخير والعمل الصالح ولكن لم يمنحه الله سر هذا العلم، فلا غمط في شأنه ولا استنقاص، فقد قال الله في حق سليمان وداود ﴿فَفَهمناها سليمانَ وكُلا آتينا حكْما وعِلما﴾ «**وشرح الصدر**» هنا المقصود به هنا تهيئة علم الصدور المعني في قوله تعالى: ﴿بل هو آيات بينات فِي صدورِ الذِين أُوتوا العِلم﴾.

سألت ربي أنْ يمن لي بهذا وكُل من في اللهِ والىَ واحتذَا

يسأل الناظم من مولاه أن يهبه هذا العلم الوهبي له ولمن والاه في الله واحتذا الطريق السديد الذي جاء به النبي المقتدى صلى الله عليه وآله وسلم.

ويفْتح الأبواب في العلم المفيد مِن قَبل أنْ تأتي مغاليق الوصِيد

سؤال من الناظم لربه أن يفتح أبواب العلم بفقه التحولات وسنة المواقف لينتشر الخبر والأثر لدى الخاص والعام، فيدرك الأمر العاقل ويتذكر الغافل ويتعلم الجاهل من قبل أن يأتي يوم لا مرد له ﴿أن تقُول نفْس يا حسرتى على ما فَرطت فِي جنبِ اللهِ وإِن كُنت لِمن الساخِرِين﴾ ﴿هل ينظُرونَ إِلا أن تأْتِيهم

المَلاَئِكَةُ أو يأتي ربك أو يأتي بعض آياتِ ربك يوم يأتي بعض آياتِ ربك لاَ ينفَع نفْسا إيمانها لمْ تكُن آمنت مِن قَبلُ أو كَسبت فِي إيمانِها خيرا قُـل انتظِـروا إنـا منتظِرونَ .

وغلق الوصيد المراد به حصول العلامة التي أخبر عنها من لا ينطـق عـن الهوى، كالدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها وغيرها من الآيات.

وكُــل شــيءٍ بقضــاءٍ وقَــدر والعِلم بالآياتِ مِن سِـر السـور

أي: إن ما يجري في كون الله هو قضاء وقدر سواء ظهر هذا العلـم أم لم يظهر ومن يرِدِ اللهُ فتنته فَلن تملك له مِن اللهِ شيئًا أُولـئك الذِين لمْ يرِدِ اللهُ أن يطَهر قُلُوبهم لهُم فِي الدنيا خِزي ولهُم فِي الآخِرةِ عذَاب عظِيم .

وإنما يجب العلم بهذا الفقه لمن سبقت له من الله العناية وخاصة أن هذا العلم يبرز من سر القرآن وتدبره، وتدبر القرآن مطلب إلهي يبرز في قوله تعـالى: أَفَلا يتدبرونَ القُرآنَ أم على قُلُوبٍ أَقْفَالُها .

فاسمع أخي مـا أقُـولُ وافْهمـا ترى أعاجِيب التخـومِ والسـما

مطلب الناظم من المسلم أن يصغي إلى ما يقوله في شأن هذا العلم، وأن يعد ذهنه لفهمه واستيعابه، فإن من وراء ذلك أعاجيب تأخذ باللب وتبهر العقل، حيث لم يتدبرها اللب ولم يتتبعها العقل في شأن المعرفة المعهودة في التعلـيم والتعلم المعاصر.

لذلك فإن القارئ سيبرز له من خلال تتبع هذا العلم «**أعاجيب التخـوم**» أي أعماق الأرض، كناية عن سر سلوك الإنسان البشري وما حولـه مـن مكان وزمان، و«**السما**» كناية على علو المعرفة وعظمة التنـزيل وشرف ما تنـزل من عند الله لتفهيم العباد وتنويرهم وإجلاء غموض العالمين.

فِقْهُ التَّحَوُّلات

الفِقْهُ أنـواعٌ ولـيس منحصِـراً ... فِيما يرى البعض بِعلـمٍ مشـتهر

كالفِقْــهِ في الصــلاةِ والزكــاةِ ... وفي الصــيامِ وكــذا الطاعــاتِ

يوسع الناظم معنى الفقه ليشمل أنواعاً عديدة ليست منحصرة فيما يفهمـه البعض من أنه علم الفقه المشتمل على فرع العبادات والمعاملات والجنايـات والإرث والأنكحة والحدود وغيرها.

بل ينتهي الفِقْـه بِكُـل مـا ورد ... عن النبـي في الحَـدِيثِ المُعتمـد

أي يشمل مدلولُ الفقه اللغوي كل ما ورد من مفهوم حديث «من يرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يفَقهه فِي الدين».

فَالفِقْه في الـدين عظِـيم واسِـع ... فافْهم مدى المَعنى تـراه الجَـامِع

لكُل عِلـمٍ مِـن علُـومِ الـدين ... وما أتى عـن صـاحِبِ التعـيين

أي: إن مدلول الحديث الآنف يشير إلى المعنى الواسع في الفقه، حيـث إن الفقه في معناه العام هو الفهم، وقوله: «يفقهه في الدين» دلالة واسعة علـى كافة علوم الديانة والتدين المنطوية تحت مدلول الإسلام والإيمان والإحسـان وعلامات الساعة وما تفرع عنها.

وفي الآية الكريمة ﴿إِن الدين عِند اللهِ الإِسلاَم﴾ وهكذا يتسع معـنى الفقـه ويصح أن يطلق على التحولات فقهاً وديناً.. لأنها من معنى الدلالـة علـى أركان الدين والتدين كما ورد في الحديث عن النبـي صلى الله عليه وآلـه وسلم.

نبـيِنا الـذي أحـاط بـالعلُوم ... دِيناً ودنيا مبِعـداً كُـل الوهـوم

في البـيت إشارة إلى الاستناد على النص النبوي ذاته حيث إن صـاحب الرسالة قد أحاط بالعلوم كلها، فلا مسوغ لنفي ركن من أركان الدين عن موقعه من الأحاديث لأن العلماء لم يذكروه ركناً رابعاً كما سيأتي.

أَرْكَانُ الدِّينِ الأَرْبَعَة

مِن أولِ الفِقْهِ الجَدِيرِ فَهمُه … ما جاءَ في نص الحَدِيثِ حكْمُه

أول ما يجب معرفته في فقه التحولات أن نص الحديث النبوي مقدم على تقرير أهل العلم، وإن كان إجماعاً لهم.

عما روى الفَاروق في الصحِيح … حدِيثُ جِبريلَ السوي الفَصِيح

إشارةٌ إلى حديث جبريل المروي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الحديث الذي اعتنى بشأنه عشرات العلماء وشرحوه بشروح عديدة، وأطالوا النفَس في ذلك وخاصة فيما يتعلق بأركان الإحسان حتى صار مذهباً يسمى التصوف عند أهله والزهد لدى غيرهم.

فأولُ الأركان إسلام الورى … وبعده الإيمانُ مِن أقْوى العرى

وبعده الإحسانُ وهو المُنتهى … مِن ثَابِتِ الأركان في أهل النهى

يشير الناظم إلى أن هذه الثلاثة الأركان هي المعتبرة من هذا الحديث والمشروحة فيما يسمى بأركان الدين الثلاثة أو الأصول الثلاثة عند البعض، وعند تأملنا لحقيقة الوارد في الحديث النبوي نجد أن مدلول الركنية للثلاثة غير وارد في مطلع الحديث وإنما في خاتمته بعد إيراد علامات الساعة مما يدل على أن الأركان أربعة وليست ثلاثة.

والعِلم بالساعةِ فَرض قَاطِع … مكمِّلٌ للنص ركْن رابِع

ضابِطُه الحاوي لركْنيتِه … سِياقُه المُبدِي لِماهِيتِه

يشير الناظم إلى أن علامات الساعة في سياق الحديث ركن رابع وجزءٌ لا يتجزأُ من حديث جبريل، وضابط هذه الركنية سياق الحديث ذاته.

أتــاكُم جِبرِيــلُ بِــالعِلمِ الــذِي   يفَصلُ الدين فمــن ذا يحتــذِي؟

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يخبر بأركان الدين إلا بعد انتهاء الحديث وبعد ذهاب جبريل عندما قال لسيدنا عمر: «أتدري مــن الســائل؟» قــال: الله ورسوله أعلم، قال: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»، فقوله: «يعلمكم دينكم» أو على رواية أخرى «أمور دينكم» وردت بعد ذكر علامات الساعة.

فيستدل ذا على أن أركان الدين أربعةٌ نصاً، وليس ثلاثة.

والأخذُ بالثلاثِ مظهــر الثبــات   أما الأخِــير مظهــر التحــولات

يشير الناظم إلى عذر العلماء الذين تجاهلوا علامات الساعة ولم يدرجوها ضمن أركان الدين، حيث إن الأركان الثلاثة ثابتة المدلول والمعنى واضــحة البــيان والقصد، ا يتدرج المكلف في شؤون العقيدة والشريعة ومراتب السلوك، وينشــأ الأجيال وتوجه الأمة عليها في العلم الفرضي الواجب.

أما **الركن الرابع** فمتغير غير مرتبط بزمــان ولا مكــان ولا بنــاء ذوات ولا مسؤولية ذات علاقة بالمكلفين من البنين والبنات، وإنما هــو يخــتص بــالحوادث وشؤون التحولات وأحوال المنافقين ومن لف لفهم.

علامـــةٌ مِـــن شـــأ ـا التغيـــر   وذِكْرُها في النــاسِ سِــر خطِــر

أي: الركن الرابع علامات وليست أعمالاً، وهي متغيرة الحد والزمن وليســت ثابتة بوظائف الأوقات والأعمار، وذكرها ونشر أخبارها يكشف بعض أحــوال الناس وانحرافا م، فهي سر من أسرار النبوة، سكت عنها الكثير حتى كــان أبــو هريرة يقول في شأ ا: «أعطاني خليلي جِرابــين من العلم، أما أحدهما فقد بثثتــه بــينكم، وأما الآخر فوالله لو بثثته لقطع مني هذا الحلقوم»، وكأنه يشير إلى مــا يعلمه من الفتن والتحول مما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

مِـــن فِتنـــةٍ أو مِحنـــةٍ تهـــدد   أو من تــراهم للمسِــيخ مهــدوا

أي أن هذا الركن مخصوص بعلم الفتن والمحن التي دد حصـون الأمـة مـن داخلها، وتبرز مسألة الدجل والدجاجلة الذين يكون على أيديهم تمهيد الطريـق لمنهجية المسيخ الدجال.

أو من سيأتوا ينصروا ديـن الإلـه من كل حبرٍ صـادقٍ في **الاتجـاه**

كما أن من وظائف الركن الرابع الإخبار عمن سيظهر في آخريـات الزمـان لنصرة الدين والشريعة في أفجاج العالم من أهل العلم والسر والتقوى ممن يحفظ الله م الدين وينصر م سنة سيد المرسلين.

لذا اسـتفاض ذِكْرهـا منفَـردةْ وصـنفُوا فِيهـا رقُومـاً مفْـردةْ

أي إن عذر العلماء في مسألة فصل الركن الرابع عن موقعه من الأركان راجـع إلى ما فيها من سر التحول والتبدل، فعزلوها عن مكا ا وصنفوا فيها كتباً مستقلة ومؤلفات خاصة.

ولكن هذا العزل والإقصا، جعل الأجيال ترتكس في الخطأ وتقـع في المحـذور واختلاط الحابل بالنابل، وظهور السفهاء الأحداث بمظهر العلماء الأثبات، فكـان الاتباع والاقتداء بمن لا خلاق له، والاستماع والاستفادة مـن علمـاء الفتنـة والدجاجلة، وانقلب المحن على أهله فـا م آل البـيت وعلمـاء المذهبـية والصالحون بما ليس فيهم، واعترت الحيرة غالب الدهماء والسبطاء حتى ارتكـس الجميع فيما لا تحمد عقباه والعياذ بالله، وإلى هذا العلم وإظهاره يشـير الحـديث الذي رواه ابن ماجه «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهـره، فإن كاتمَ العلمِ يومئذٍ ككاتمِ ما أُنـزل على محمد».

والمعتقد أن العلم المراد هنا في أحد معانيه «العلم بعلامات الساعة وركنيته» لأن ما يترتب على الكتم يعادل كتم الوحي، وإظهار هذا العلم -إذا فهم الحديث ذا المعنى- يكون واجباً عينياً.

مدلول إحياء سنة المواقف

في فقه التحولات

هذا العنوان يشير إلى علاقة سنة المواقف بفقه التحولات، وإن كل تحول يجري في حياة الأمة يجب أن يكون لدى العقلاء موقف منه وموقف فيه وموقف تجاهه وفق الحال الذي تشير إليه الدلالة أو العلامة.

قال النبي في الحديث الوارد: عليكم بسنتي شواهدي
وسنة الآتين بعدي خلفا عضوا عليها لا تكونوا ضعفا

إشارة إلى الحديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»، وفي الحديث إشارةٌ واضحةٌ إلى المواقف التي أقامها صلى الله عليه وآله وسلم مع غيره، وأقامها من بعده خلفاؤه من أهل الحكم والعلم الذين اجتمعت فيهم شروط الخلافة، وهي الهداية من «المهديين» والرشد من «الراشدين».

وقد أشار الناظم إلى تأكيد ربط المواقف بالسنة، وأن السنة في هذا الحديث لا تنصرف إلى القولية والفعلية والتقريرية، وإنما تقف عند سنة المواقف لرسول الله ولخلفائه، فانظر..

وليس للأصحاب من بعد النبي من سنة مكتوبة في الكتب
غير الذي قد كان من مواقف بدت سلوكاً في الزمان المجحف

يشير الناظم إلى أن الخلفاء سواء كانوا الأربعة أو غيرهم في مطلق المعنى ليس لهم هناك سنة مستقلة تقرأ أو تتبع تختلف عن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

حيث يلزم من ذلك مدلول العصمة لهم بعد رسول الله ρ، فيفهم مـن مـدلول الحديث أن السنة المقصود ا هنا هي الهدى والسلوك والمواقف.

وفي الحديث إشارةٌ إلى تعلمها والعمل ا والوقوف عنـدها «عضـوا عليهـا بالنواجذ»، إذن فما هي هذه السنة وما هويتها وما موقعها من مسيرة الحياة ؟

والقصـد منـها سـنةُ التحـول وما يكونُ ـمـن صـراعِ الـدول

إذن فالمقصود من قوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء... إلخ» هو سنة المواقـف عند التحولات السياسية والاجتماعية وصراع الدول والجماعـات والأحـزاب والقبائل والفئات.

كمثل ما قـد جـاءَ في **الروايـةِ عمـن سـيحيي سـنةَ النبـوةِ**

ينـالُ أجـراً وافيـاً لمئـ**ـةِ من شـهداءِ الشـرعِ والديانـةِ**

يشير الناظم إلى تأكيد آخر حول مفهوم سنة المواقف بحديث «من أحيا سـنتي عِند فَسادِ أُمتي فله أجر مئةِ شهيد»، وإلى أن إحياء السنة عند فساد الأمة إنما هـو «سنة المواقف»، وليست رسوم السنة المعلومة عند العلماء فقط.

عِنـد فَسـادِ الأمـةِ المَرحومـةْ وضعفِها بـين **القُـوى المَشـؤومةْ**

لحَقْنِـهِ الـدماءَ بالتوحيـدِ وجمعِـهِ القلـوب بالتسـديدِ

يشير إلى أن فساد الأمة تحولٌ في السلوك وضعفها العام في قرارها ودينها، وتحولٌ في العزة والشرف والإباء، بحيث يضعف صو ا أمام الدول أنداداً وأضداداً، فكـل من أحيا سنة المواقف بإصلاح ما فسد منها وجمع قلوب الأمة وتوحيد كلمتها ولمّ شعثها ودرء أسباب الفتن والصراعات المؤدية لسفك الدماء وتقطيـع الأرحـام والوشائج نال من الله أجر مئة شهيد، فالثواب الجزيل والمنح الكبـير يتلاءم مـع المواقف المفضية إلى حقن الدماء، فيكتب الله له ثواب المئة الشهيد، ومثّل النـاظم على هذا المفهوم بقوله:

كموقفِ الإمـامِ مِـن أصـحابِ في شأن حكْمِ النـاس بانتِخـابِ
إذْ بايع الصـديق وهـو مقْتنِـع ولمْ يشـذ أو يخـالف مـا اتبِـع

يشير الناظم إلى أن سنة المواقف عند الخلفاء تشير إلى دلالة الاتباع بديلاً عمـا يشيعه المغرضون عن الإمام علي رضي الله عنه مستخدمين السنن القولية والتقريرية المنسوبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتأييد مفاهيهم زوراً و تاناً.

فالإمام علي عند ملاحظة مواقفه من الخلافة نجده قد بايع الصديق مقتنعاً بذلك وصار مستشاراً له طيلة فترة حكمه، وفعله هذا يعد موقفاً وسنة تتبع ويحتذى ا، حيث لا يعقل أن يكون موقفه الموافقة لأبـي بكر وعمر ثم يعمل في جانب آخر ضدهما، كما يظنه أهل الفكرة المشؤومة، فهذه أخلاق المنافقين ولـيس أخـلاق المؤمنين، ويؤكد الناظم هذا الموقف السامي من الإمام بقوله:

ولمْ يجيش أحـداً ضِـد القَـرار بل رضِي الأمر وكـان مستشـار

يشير الناظم إلى سكون الإمام علي مع أصحاب الشأن، «**ولم يجيش أحداً**» ضـد قرار الحكم على عهد أبـي بكر ولا من بعده، ولو فعل ذلك لكان موقفاً يحتذى مع كون النص الذي يتخذه الآخرون حجة معلومة لديه، ولا يليق به أن يسـكت عنه أو أن يرضى بغيره إذن، فهو حجة في سكوته وحجة في انطوائه مع الخلفـاء الراشدين، ويتوقف الاحتجاج بالنصوص بتوقفه عن العمل ا، فموقفـه حجـة وكفى.

ومِثْلُـه صـلح الإمـامِ الحَسـنِ مـــع البغـــاةِ مـــدرءاً للفِـــتن

أي: ويستشهد على مفهوم سنة المواقف ما فعله الإمام الحسن مع محاربـيه من أجل الحكم، فالنصوص الشرعية تلزمه بمحاربة البغاة وعدم التخلي عـن موقـع القرار مهما كلف الثمن، ولكنا نرى موقفه غير ذلك لأنه من الخلفاء الراشـدين المهديين، واتخذ موقفاً لا يتوقعه أحد ولا يقفه إلاّ خليفة من خلفاء الـدين أيـده

صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «إنّ ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين» (1).

قال الناظم:

وقد أشار المصطفى لموقفه وقال هذا سيد كسلفِهِ
سيصلح اللهُ بِهِ بين الفِئات رغْم الذي يحِل مِن سوءِ الفِتَات

يشير الناظم إلى تأييد الرسول لسنة المواقف التي يتخذها الخلفاء في الفتن.

ولو كان الجانب الآخر من الخلفاء المعنيين بسنة المواقف لما رضي تنازل الحسن بل اتخذ موقفاً مع شرعية القرار؛ ولكن الجانب الآخر كان من حملة النصوص المعتمدين على استخدام السنة للمفهوم الذاتي والمصالح الشخصية.

وما جرى مِن فِتنةِ التآمر على الحُسين في الصراع الدائر
ضحى لأجل الحَق واعتِدالِهِ فصار درساً مقْنعاً لآلِهِ

يشير الناظم إلى موقف آخر من مواقف السنة المشار إليها بسنة المواقف، وهي ما جرى للإمام الحسين الذي دفع به الدافعون من المحبين والمتعلقين ليتخذ موقفاً في سبيل إعادة الحق إلى نصابه معتمداً على الله ومستنداً إلى وعود الأنصار والشيعة الذي خذلوه وتركوه فكان هذا الموقف درساً له ولآل بيته وسنة يتعلمها آل البيت في التحولات، وأن بعض المحبين النفعيين لا يملكون عند اشتداد المحن غير التصلية والبكاء والنحيب والمدائح، ومن ثمّ يعيشون على حساب آل البيت، ويبلغون إلى مآربهم من خلال المواقف العكسية التي يتخذونها بتطويع النصوص وتحريف المنصوص.

---

(1) رواه أصحاب السنن، ولفظ البخاري: «إن ابني سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين».

وموقف الإمام زين العابدين بالزهد في الدنيا مع إعلاء دين

ومن سنن المواقف موقف الامام علي زين العابدين السجاد الذي تـرك شـأن الحياة الدنيا ومظاهرها، واتجه الى العلم والعمل لربه سبحانه وتعالى، وخاصة أن قد رأى ما حل بوالده الحسين في كربلاء وأهل بـيته من البلاء، فاتخذ موقفا عمليـا من الفتنة وأربا ا.

فِقْهُ التَّحَوُّل على عَهْدِ الرِّسالة

يعيد الناظم القارئ إلى المرحلة الأولى من مراحل الإسلام ليتابع مفهوم «فقه التحولات» منذ بدايته، ويؤكد أن «التحول» له جذور منذ عصر الرسالة، كما أن لسنة المواقف جذور منذ عصر الرسالة، فلنتابع..

يقُولُ خير الخَلق في **فِقْهِ الهُدى: (بعِثْت والساعةُ شيئاً واحِدا)**
يشِير بالإصبع رسماً واضحاً رأساً وعرضاً فافْهمن واشرحا

يبدأ الناظم في تحديد فقه التحولات مع سنة المواقف بحديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «بعِثْت والساعةُ كهاتين» فالإشارة إلى ذاته بقوله: «أنا» والإشارة الى المواقف بالبعثة والإشارة إلى التحولات بالساعة.

مواقف الذات + الرسالة بعد البعثة + علم الساعة = فقه التحولات

وإشارته صلى الله عليه وآله وسلم بأصبعه في قوله كهاتين مدلولٌ هام إلى بيان الملاحقة والمعاصرة بالأحداث زماناً ومكاناً.

فالرأس فيه ما بقِي من زمن لهذِهِ الدنيا ووقْع الفِتن

يشير الناظم إلى أننا إذا رفعنا السبابة والوسطى إلى الشكل الرأسي فسيتبين من المعني في قوله: «كهاتين» رسماً بيانياً لما بقي من عمر الدنيا الذي لا يتجاوز أنملة الوسطى أمام السبابة، وأما «**وقع الفتن**» أي: إن رأس الأصبع أعلاه، فالفتن في علو مع ناية الزمان.

والأفُقِي فيهِ تحدِيد المكانْ حيثُ أتى جِبريلُ بالوحي المُصانْ

وإذا ما وضعنا الأصبعين السبابة والوسطى في وضع أفقي فإننا نفهم من قوله كهاتين: ا اورة في المكان والملاحقة في الزمان.

والمقصود «**بالمكان**» أن علامات الساعة تظهر وتشتد ويعلو خطرها في المكـان الذي نـزل فيه القرآن وليس بعيداً عنها، كما أن ملاحقة العلامات وإبراز شرها وخداعها يبرز ملاحقاً للمكان في كل زمان وعصر ومرحلة، من مدلول «أنا» أي من حيث أقام الله آل بـيته، والمدافعين عن ذاته وصـفاته وأخلاقـه ومواقفـه بالانطواء فيه، وليس في النصوص وحدها. فالموقع المبارك الذي ولد فيه صـلى الله عليه وآله وسلم وهاجر يشهد من هذا المعنى مواقف وتحولات خطيرة في العلاقـة بالذات النبوية والعلاقة بالعلامات والعلاقة بالنصوص.

يكُـونُ فِيـهِ أخطَـر التحـول مِن كـل أمـرٍ مـبرمٍ منـزل

ويخدع الأجيالُ مِن حيـثُ أتـى دِيـن الإلـه فـاعلمن واصـمتا

يشير الناظم إلى خطورة التحولات المكانية والزمانية في ذات الموقع المبارك، وأ ا طوعاً أو كرهاً ستكون موقعاً ومسرحاً للخداع في الدين والدنيا، فإذا علمت ذلك فافهم واصمت وتابع مدلول التحول منذ بدايته حيث قال:

فمنذُ عصـرِ المصـطفى والخطـر يسـير في خـط مـوازٍ يـذْكَر

يشير الناظم إلى مدلول «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأن معناه: المرافقة الزمنيـة والمكانية للتحولات والمواقف «كهاتين» تلازم وتلاحـق كتلاحـق الأصـبعين وتلازمهما، ولذلك سنجد في قراءتنا لهذا العلم كيف بدأ التلازم والترافـق مـع خطوط التحول داخل الخيمة الإسلامية ذا ا.

مبتدأ الأمـرِ سـلوك ذو نِفـاق وما جرى مِن فتنةٍ أو مِن شـقاق

يشير الناظم إلى أن مبتدأ الأمر في هذا العلم يتحدد بمرحلة ظهـور الإسـلام في المدينة المنورة، وقد أتم الله للنبـي صلى الله عليه وآله وسـلم الأمـر بـالهجرة والاستقرار بطيبة وبناء المسجد والمؤاخاة بـين المهاجرين والأنصار ووضع القواعد الأولى لدولة الإسلام، وفي هذا الزخم المبارك برزت نواة المنافقين كـأول بـؤرة

فساد داخل الخيمة الإسلامية، حيث أظهر العديد منهم الإسلام واطمـأنوا علـى أنفسهم وأموالهم وأبنائهم، ثم بدؤوا من داخل هذا الاطمئنان على إبراز مكنـون صدورهم، حتى إن القرآن جعل حيزاً كبـيراً للكلام عنهم وفضـح مـؤامرا م وأفعالهم.

وسورةٌ قـد سـميت بإسـمِهم وجاءَ في **الآياتِ شـرح مكْـرِهِم**

إشارةٌ إلى اهتمام القرآن بشأن مواقفهم الخطيرة فقد أورد سورة كاملة تحمـل مبادئهم وأفكارهم وهي سورة المنافقون، وأورد الحق من هذه المواقـف في هـذه السورة ما يجدر الوقوف عنده كشاهد أبدي علي سـلوك المنـافقين ومـواقفهم الرديئة.

١) قَالُوا نشهد إنك لرسولُ اللهِ واللهُ يعلم إنـك لرسـولُه واللهُ يشـهد إن المُنافِقِين لكَاذِبونَ .

٢) اتخذُوا أيمانهم جنةً فَصدوا عن سبـيل اللهِ .

٣) وإِذَا رأَيتهم تعجِبك أجسامهم وإِن يقُولُوا تسمع لقَولِهِم

٤) يحسبونَ كُل صيحةٍ عليهم هم العدو .

٥) وإِذَا قِيل لهُم تعالوا يستغفِر لكُم رسولُ اللهِ لووا رؤوسهم .

٦) يقُولُونَ لئِن رجعنا إِلى المَدِينةِ ليخرِجن الأعز مِنها الأَذَل .

٧) لا تنفِقُوا على من عِند رسول اللهِ حتى ينفَضوا .

فتكاد هذه المفاهيم هي أغلب ما ينتهجه أهل هذه الرؤية إلى اليوم.

فهم رموز الإفكِ صـناع الحِيـلْ وهم أولو الإرجافِ في **كُل محـلْ**

يشير الناظم إلى ما كان عليه المنافقون منذ ظهور الإسلام في المدينة وهم «**رموز الإفك**» أي: الكذب على الله ورسوله، ولا شغل لهم غير الحيل والمخادعة، كمـا أ م «**أولو الإرجاف**»، وهي الاشاعات الكاذبة حيثما نـزلوا وجلسوا.

لم يستحوا مـن طلعـةِ المختـار   بل سـاهموا في خدمـةِ الكفّـار

يشير الناظم إلى الجرأة المركبة عند هؤلاء الأشقياء الذين لم يتأثروا بطلعة المختار بـينهم ولم يستحوا منه ولا من الله، حتى بلغ م الأمر مبلغه أن يتـآمروا مـع الكفار ويتحالفوا معهم ويبرموا الاتفاقيات المبطنة على أذى الإسلام والنيل مـن رسول الله.

ومسجد الضـرار شـاهد علـى   تخطيطِهم في السر إذ كـانوا بـلا

يشير الناظم على ما تكِنه صدورهم من الحقد والخبث وما يرسمونه مـن الشـر والأذى حتى بلغ إلى مستوى شق عصا المسلمين باتخاذ مسجد الضرار كما سيأتي شرحه.

وتحـت سـقفِ منـهجِ النفـاق   تسلسـلت مـدارس الشـقاق

جِيلاً بجيـلٍ في الزمـان اللاحـق   دِينـاً ودنيـا في اطـرادٍ سـاحِق

يشير الناظم إلى أن النفاق اتسع حتى صار منهجاً له سقفه الفكـري وتجمعـه الفئوي مضارعاً لوجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على شكل معارضـة داخلية تترصد المواقف وتتحسب الفرص.

نماذج مَوَاقِفُ المُنَافِقِينَ

في مُجْتَمَعِ المَدِينَة

لما كان هذا التحول الخطير ظاهرة برزت على عهد المدينة وتطور ليتحالف مع أعداء الإسلام، ويتجند فيه جماعة من أهالي يثرب ؛ فلابد أن نتابع ونلاحق هذه المظاهر لنرى سنة المواقف التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتخذها معهم.

تميزت مواقف النفاق في يثربِ الإسلامِ باختِراق
تفيد أنّ القَوم كانوا حقدا وفي النفُوس الهالكاتِ حردا
يسعونَ في إجهاض نور الملةِ من داخل الدين بكل حِيلةِ

أشار الناظم إلى الدور المتميز الذي يقوم به المنافقون في المدينة وهو الاختراق للواقع النبوي، والتعرف على دقائق سلوكه ومواقفه، مما يؤكد حقدهم الطبعي وحردهم النفعي وسعيهم الدؤوب في إجهاض نور الإسلام بالإرجاف والدعايات والأكاذيب.

ورأس هذا الأمر كان ابن سلُولْ معارضاً لكل آمال الرسولْ

يشير الناظم إلى رأس النفاق ومصدره ومحرك أتباعه وهو «عبدالله بن أبي بن سلول» في المدينة، وكان كافراً ثم أسلم وكان أهل المدينة قد اتفقوا على تتويجه ملكاً عليهم ومرجعاً قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما قدم النبي إلى المدينة انقطع أمله في ذلك وحقد على رسول الله. ويبدو أن إسلامه كان لتأمين نفسه وماله، ولهذا رصد المسلمون كثيراً من ملابسات سلوكه النفاقية.

فإنْ رأى المختار آتٍ يمدح أهلاً وسهلاً من أتانا يصلح

ثمّ إذا ولىّ استباح المصطفى بكل قولٍ سيءٍ فيه الجَفا

كان عبدالله بن أبي يؤسس سلوك المدرسة النفاقية بالخداع والكذب فكان على الملأ من الناس إذا رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قادماً خرج يستقبله بالبشاشة والفرح المصطنع أهلاً برسول الله أهلاً بكذا وكذا ثم إذا ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحك مع أصحابه واستهزأ.

يرى بأنّ العِز للمواطنةْ والذل فيمن جاءَ يرجو مأمنه

كان عبدالله بن أبي يرسخ مبدأ المواطنة، وهو من مبادئ النفاق، وإلى هذا المبدأ أشار القرآن في سور المنافقين يقُولُونَ لِئن رجعنا إلى المَدِينةِ ليخرِجن الأعز مِنها الأذَل .

كما دعا لشِحةِ الإنفاق وضِيق ذاتِ اليد في **الأرزاق**

كما أن من مبادئه النفاقية فرض الحصار الاقتصادي على المسلمين المهاجرين ومنع التغذية عنهم، ظناً منه بأن هذا سيساعد على انفكاكهم عن رسول الله، وقد وصف الله هذا المبدأ في سورة المنافقون في قوله تعالى: يقُولُونَ لا تنفِقُوا على من عِند رسول اللهِ حتى ينفَضوا .

وقال -فيما قال-: سمن كلبكا فبعد ذا لابد أنْ يعقِركا

وهذه مقولة تروى عن عبدالله بن أبي لما بلغه أن أحد المهاجرين تكلم في شأن بعض الأنصار، فقال: سمن كلبك يعقِرك.

وفي هذا دلالة على حقد المذكور على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشعوره بالإنفاق عليهم وإعطائهم ما لا يستحقون.

ومسجد الضرار عين الفتنةِ لشق صف الدين ضمن الدعوةِ

يشير الناظم إلى ما سبق ذكره من سياسة النفاق التي تحولت إلى معارضة تود شق القرار وشق صف الدعوة الإسلامية، حيث رأى ابن أبي قوة المؤسسة

الإسلامية، وهي المسجد، وأثرها في تحريك الهمم وتجييش الأتباع، فأراد أن يتخذ مسجداً لأغراضه وأعماله، ولما فرغ منه عرف أنه لن يستمد مشروعية القـرار إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له، ولهذا طلب من الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم أن يفتتح المسجد ولبى رسول الله الطلب، وهـذا مـن مواقفـه الأخلاقية، لولا أن القرآن نـزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالقول الفصل في الأمر.

والذِين اتخذُواْ مسجِدا ضِرارا وكُفْرا وتفْرِيقًا بـين المُؤمِنِين وإِرصـادا لمَـن حارب اللهَ ورسوله مِن قَبلُ وليحلفُن إِنْ أردنا إِلا الحُسـنى واللهُ يشـهد إِنهـم لكَاذِبونَ. لاَ تقُم فِيهِ أبدا.. لمَسجِد أُسس على التقْوى مِن أول يومٍ أحق أن تقُـوم فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يحِبونَ أن يتطَهرواْ واللهُ يحِب المُطهرِين .

ورفْضهم مِن سيدِ الخلـق الـدعا لمَّا رجا اسـتغفار ربـي ودعـا

يشير الناظم إلى ما وصف الله به المنافقين في السورة المسماه باسمهم.. وإِذَا قِيل لهُم تعالوا يستغفِر لكُم رسولُ اللهِ لـووا رؤوسـهم ورأيـتهم يصـدونَ وهـم مستكْبِرونَ وهذه إحدى مفاهيمهم المنكرة حيث لا يريدون كما يقولون واسطة بـينهم وبـين الله.

لووا رؤوس الكِبر قالوا: لا نريـد وسائطاً تدعو لنـا عِنـد المَجِيـد

يشير الناظم إلى نموذج آخر من نماذج سلوكهم وهـو الإرجـاف والإشـاعة والاستهزاء والسخرية، وقد أشارت كتب السير والتفسير عند قوله تعـالى مـن سورة التوبة: يحذَر المُنافِقُونَ أن تنـزل عليهم سورةٌ تنبئُهم بِما فِي قُلُوبِهم قُل استهزِؤواْ إِن اللهَ مخرِج ما تحذَرونَ. ولِئن سألتهم ليقُولُن إِنمـا كُنـا نخـوض ونلعب قُل أَبِاللهِ وآياتِهِ ورسولِهِ كُنتم تستهزِؤونَ. لاَ تعتذِرواْ قَـد كَفَـرتم بعـد إِيمانِكُم إِن نعف عن طَآئِفَةٍ منكُم نعذب طَآئِفَةً بِأنهم كَانواْ مجـرِمِين [التوبـة:

٦٤-٦٦] بأنّ المنافقين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة، وكانوا يسيرون خلف جيش رسول الله ويضحكون ويستهزئون ويقول قائلهم: إن محمدا سيهزم وسيكبله بنو الأصفر بالحبال هو وأصحابه، فنزل جبرئيل على رسول الله وأخبره بشأن سخريتهم، فطوقهم رسول الله بالجيش، وقال لكل منهم: «أنت قلت كذا وأنت قلت كذا؟»، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله الآيات على نبيه مقرراً حال كفرهم ومروقهم، قال الناظم معبراً عن ذلك:

في **الغزو كانوا يرجِفُونَ** في **المَلا**   **ويضحكُونَ قَائِلين: (لن) و (لا)**

فلن يرى محمداً **نصراً ولا**   **يعود إلاّ** في **الحبال مثْقَلا**

فنزل القرآنُ يبدِي كُفْرهم   **وشر ما قالوا وأجلى سِرهم**

وواطَؤوا اليهود ضِد المسلمين   في **غَزوةِ الأحزابِ كانوا** مرجِفين

يشير الناظم إلى موقف المنافقين في غزوة الأحزاب ومشابهة أحوالهم حيث تواطؤوا مع اليهود والمشركين على تتبع أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والإرجاف داخل المدينة.

قَالُوا البيوت عورةٌ فاسمح لنا   **عوداً إليها فبها أهلٌ لنا**

يشير الناظم إلى ما ورد في سورة الأحزاب من قولهم: ﴿يقُولُونَ إن بيوتنا عورةٌ وما هِي بِعورةٍ إن يريدونَ إلا فِرارا. ولو دخِلت عليهم من أَقْطَارِها ثُم سئِلُوا الفِتنةَ لآتوها وما تلبثُوا بِها إلا يسِيرا﴾.

وقَصدهم كما تلا القُرآنُ   **فِرارهم وحالُهم شنآنُ**

يشير الناظم إلى ثمرات العمل وهي النيات، فقد كانت نياتهم حال اعتذارهم الفشل والرجوع والفرار، وقوله: «**وحالهم شنآن**» أي: حال باطنهم العداوة.

وفي **حديثِ الإفكِ ألفوا كَذِبا**   **وزيفُوا كُل حدِيثٍ ونبا**

إشارةٌ إلى ما في صدورهم من الغيظ والتشفي، ومحاولتهم استغلال حادثة الإفك الشهيرة والإرجاف ا والكذب فيها.

ليضـعِفُوا دور النبـ ـي الهـاشمي في **أهلـ ــه بتهمـ ــةِ الـ ــآثِمِ**
لــولا نـــ ـزولُ الآيِ بـــالبراءةِ **تـ ـردد الأخبـ ـار بـ ـالقِراءَةِ**
الطيبـ ـونَ دائمــ ـاً للطيبـ ـات **والخُبثـ ـاءُ حظهـ ـم** في **الموبِسـ ـات**
وكُل مـ ـا قـ ـد جـ ـاء في **القـ ـرآن** **عـ ـن خبـ ـثِهم وشـ ـرِهم نوعـ ـان**

يشير الناظم إلى تعدد آي القرآن في تناول مكرهم وخداعهم وخزيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه طبع يتوارث وينتقل منهم إلى أشباههم وأمثالهم، تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «يخرج من ضئضئ هذا قـ ـوم -أو قال: أقوام-... إلخ الحديث».

يصِـ ـير في **مسـ ـتقبل الأيـ ـامِ** **قاعـ ـدةَ الحيـ ـاةِ والأحكـ ـامِ**
لذا يقولُ المصطفى عـ ـن مثلـ ـهم **عند اختلال الأمر ضمن أمـ ـرهِم**
إذا رأيـــت ورأيـــت فـــاعلمن **وسوف يأ**تي في **الزمـ ـان فاحـ ـذَرنْ**

إشارةٌ إلى تنبؤات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منذ عهده عما يكـ ـون في مستقبل الزمان على أيدي مدارس النفاق المتفرعة من مدرسة المدينة، فيشير عليـ ـه الصلاة والسلام بما مثاله: «**إذا رأيت... ورأيت...**» وهـ ـذه إشـ ـارةٌ مبثوثـ ـة في علامات الساعة وأبواب الفتن من كتب الحديث، مثل قوله صلى الله عليه وآلـ ـه وسلم: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنـ ـزل على محمد».

«إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجـ ـاب كـ ـل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودعك من أمر العامة... إلخ».

إنْ وسد الأمر إلى الغير ترى علائقاً تنسف ميثاق العرى

إشارةٌ إلى الحديث الذي يؤثَر عن الأعرابي السائل عن الساعة فرد عليه صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: وكيف إضاعتها يا رسول الله؟، قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله».

وفي الحديث إشارةٌ إلى بروز التضافر السلبي بين المنافقين والكفار لإجهاض الدين والتآمر عليه، وهو ما يسمى بضياع الأمانة، وتكون إضاعتها بتوسيد الأمر -أي وضع القرارات- في الحكم والعلم وغيرها بيد غير أهله.

مطبوعةً قلوبهم بكفرهم لا يفْقَهونَ جهلُهم من مكرهم

إشارةٌ إلى ما وصفه الله تعالى في كتابه عنهم: ذَلك بِأنهم آمنوا ثُم كَفَروا فَطبِع على قُلُوبِهم فَهم لا يفْقَهونَ [المنافقون: ٣] رضواْ بِأن يكُونواْ مع الخَوالف وطُبِع على قُلُوبِهم فَهم لاَ يفْقَهونَ [التوبة: ٨٧].

اتخذُوا أيمانهم وسيلةْ صدوا عن الإسلامِ والفضيلةْ

إشارةٌ إلى ما جاء في سورة المنافقون اتخذُوا أيمانهم جنةً فَصدوا عن سبيل اللهِ إِنهم ساء ما كَانوا يعملُونَ .

مثالُهم كخشبٍ مسندةْ هم العدو يظْهرونَ المَفْسدةْ

إشارةٌ إلى قوله تعالى في سورة المنافقون: وإِذَا رأَيتهم تعجِبك أجسامهم وإِن يقُولُوا تسمع لقَولِهم كَأَنهم خشب مسندةٌ يحسبونَ كُل صيحةٍ عليهم هم العدو فَاحذَرهم قَاتلهم اللهُ .

وظل دور المنهج النفاقي يسعى لضربِ الدين في الآفاق

إشارةٌ إلى أن سياسةَ النفاق والمنافقين القائمة على الغش والخداع والتربص والفتنة والإرجاف.. إلخ مستمرةٌ في الحركة داخل الخيمة الإسلامية، منذ عهد

الرسالة وما بعدها، تعمل على ضرب الدين والديانة بأساليب شتى وتحَالفٍ مِقيتٍ مع الكفار والمستعمرين تمهيداً لفتنة المسيح الدجال.

وأخبر الرسولُ عن مرحلتِه من عصر عثمانَ اشتهار فتنتِه

إشارةٌ إلى أن دور المنافقين وتحالفهم مع الكفار يهيء الأسباب والعقول لقبول فتنة المسيح الدجال، يؤيده حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عثمانُ إنك تلي الخلافةَ من بعدي، وسيريدك المنافقون على خلعها، فلا تخلعها، وصم في ذلك اليوم تفطِر عندي» رواه ابن عدي وابن عساكر[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه: «أولُ الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال»، زاد ابن عساكر في روايته: «والذي نفسي بيده ما من رجل في قلبه مثقال ذرة من قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره» [2].

---

(١) «الإشاعة في أشراط الساعة» للبرزنجي ص٣٩.

(٢) المصدر السابق ص٣٨.

مَظْهَرُ الفِتْنَةِ ورَمْزُها الأوّل

في هذا العنوان عود على بدءٍ لتتبع الانحراف من مبتدئه الأول، وليس في المنافقين فحسب وإنما بكافة أشكال الانحراف.

وقد أتى في النص أن المصطفى ... قد كان في أصحابه معتكِفا
إذ ذكَروا شخصاً جديراً بالثنا ... مصلياً وقانتاً مؤتمنا

يشير الناظم إلى مقتضى قضاء الله وقدره في سير الخير والشر في خطينِ متوازيين، وأن مرحلة الرسالة القائمة على الهداية والإيمان كان داخلَ خيمتها مظاهر أخرى تخدم سيرة الشيطان والدجال. ومن ذلك ما أشارت إليه الأحاديث الصحيحة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل يعجبنا تعبده واجتهاده، فذكرناه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصفناه بصفته، ففيما نحن نذكره إذ طلع الرجل، فقلنا: هو هذا يا رسول الله، قال: «إنكم تخبروني عن رجل على وجهه لسفْعةٌ من الشيطان»، قال: فأقبل على المجلس، فقال رسول الله: «أنشدك اللهَ.. هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في المجلس أحد أفضلُ مني أو خير مني ؟»، قال: اللهم نعم، ثم دخل ليصلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من يقتلُ الرجلَ؟» قال أبوبكر رضي الله عنه: أنا، فدخل فوجده يصلي، فقال: سبحان الله.. أقتلُ رجلاً يصلي وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ضرب المصلين! فخرج، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مه ؟»، قال: وجدته بأبي أنت وأمي يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من يقتل الرجل ؟»، فقال عمر رضي الله عنه: أنا، فوجده ساجداً، فقال: أقتل رجلاً واضعاً جبهته لله تعالى ؟ وقد رجع أبوبكر رضي الله عنه وهو أفضل مني! فخرج، فقال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مه ؟»، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وجدته ساجداً فكرهت أن أقتله واضعاً جبهته لله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من يقتل الرجل ؟»، فقال علي: أنا، قال: «أنت إن أدركته قتلته» فوجده علي قد خرج، فجاء، فقال: وجدته بأبي أنت وأمي قد خرج، قال: «لو قتلته ما اختلف من أمتي رجلان كان أولهم وآخرهم واحدا». اهـ [1].

قال الرسولُ: لست أدري شأنه ... ولم يطُل بالمصطفى بيانه
إذ جاءَ ذاك الرجلُ الموصوف ... ثم استقام خلفهم يطوف
قال النبي: هل ترى فيمن حضر ... أحسن منك ؟ قال: لا، حالي أبر
ولم يطُل بقاؤه بل ذَهبا ... لروضةِ المسجدِ يخْطُو غضباً
قال النبي: أيكُم يقْتلُه ... يريحنا من شر ما يحملُه؟
فذهب الصديق ثم عادا ... قال: يصلي لم يرم فسادا
وذهب الفاروق وهو منفَعِلْ ... يريد قطع رأسِه كما جِبِلْ
فعاد قال: ساجداً وجدته ... وليس لي حق بما عقَدته
قام علي قال: إني أقْدِر ... قال الرسولُ: أنت حقاً أجدر
فلم يجِده ثمّ عاد مخبراً ... قال النبي للجميعِ منذرا
لو تم قَتلُ الرجل المهول ... لم يفترق إثنان في منقول
لكن أمر اللهِ يجري قَدرا ... فانظر عجِيب القَدر الذي جرى
ومِن هنا بدا مسِير الفِتن ... حالاً بحالٍ عبر كُل الزمن

أشار الناظم في الأبيات التي أوردت جملة واحدة لاحتوائها على موضوع الحديث السالف تفصيل قصة هذا الحديث الغريب المعبر عن عمق الحكمة الإلهية

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١: ٢٢٣) تحقيق د. عبدالرحمن عميرة.

في مجريات القضاء والقدر، وفيها من عجيب مواقف الصحابة أمام ظواهر السلوك، وما يترتب على هذه المواقف من قضاء نافذ لا يملكه المرء ولا يتدخل فيه، كما أن فيها من عظيم علم المصطفى بالأمور الكائنة وتجسدها في الأفراد منذ بداية البعثة والرسالة ومعاصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه التحولات وأصولها، ومعايشته لمتناقضا ا وإشارته صلى الله عليه وآله وسلم من واقع العلم الذي يعلمه لسر بقاء الفتن والتحولات وأمره الصريح لأمثال أبي بكر وعمر كي يتصرفا بحزم أمام مجريات التحول.. فيجدا أنفسهما حبيسين لما يعلمان من أمر الشرع وغير قادرين على تجاوز العلم الذي علماه.

فهذا أبوبكر رضي الله عنه يقوم لقتل الرجل بعد أن أبرز النبي صلى الله عليه وآله وسلم سر زيفه وخيانته وفساد رأيه، فيرجع أبوبكر رضي الله عنه ليقول وجدته يصلي، وهذا يدل على أن للتعبد هيبة تمنع الحصيف من تجاوزها خشية الإثم مع أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أطلق الأمر، وقال: «من يقتل الرجل؟» ولم يحدد نوع السلوك أو الحالة التي ينتفي ا عنه القتل، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر بعد عودته وهو يبتسم: «قد كنت أعلم ذلك» أي: لست صاحبه.

وقام عمر رضي الله عنه ليقوم بذات المهمة عازماً جازماً وهذا شأنه في مواقفه، وهو أيضاً أول قتيل في الفتن، وهو أيضاً الباب الواقي من انتشارها في الأمة، وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، ولكنه أمام الرجل المشار عاد إلى رسول الله قائلاً: وجدته ساجداً لله، أي: إن عمر استهاب أن يقتل عبداً في حالة من حالات القرب عند الله، وهيبة المقام لرجل رجاع وقّاف عند أمر الله وكتابه تقتضي أن لا يضع سيفه إلاّ فيمن يستحق، ولعله رأى في مفهوم علمه أن هذا الساجد بين يدي الله لا يستحق القتل ولا يليق أن يتجرأ عليه، وكأنه نسي قول

النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ك «من يقتل الرجل؟» وأنه لم يبـين الحالة ولا الكيفية.

ويقوم الإمام علي رضي الله عنه ليقوم بالمهمة ويقطع دابر الفتنة ولكن بعد زمن قد فات، وجرى فيه أمر القضاء بما جرى، فقال له صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «أنت صاحبه إن أدركته» وكأ ا إشارةٌ منه صلى الله عليه وآله وسـلم للعلاقـة الشرعية في مدلول العلم اللدني منه لعلي ابن أبـي طالب وأفضليته في شأن تأهله لاجتثاث الفتن ومعالجتها؛ ولكنه علق على ذلك بقوله: «إن أدركته».

ودقائق المعرفة تشير إلى أن ترك الصديق والفاروق على غير تعمد بعـد الأمـر النبوي بقتل للفتنة واستمرائها داخل مظهر التعبد وفي أفضل مـواطن الإسـلام تأصيلٌ لها، وتثبـيت لقواعدها على غير مسؤولية أو تبعة عليهما، حيث أشـرنا سلفاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «كنت أعلم ذلك» بعد عودة كل منهما، ولما عاد الإمام علي رضي الله عنه وأخبر أنه لم يجد الرجل فيـه إشارة تتناسب مع قول رسول الله: «أنت صاحبه إن أدركته».

ولعل المتتبع لدقائق المعاني في هذا الحديث تبرز ملحظ الدول المتعاقبة، والتي كان فيها بدء نـزعات الاختلاف داخل الخيمة الإسلامية مع عدالة ما جرى بـين أصحاب رسول الله ρ.

والعجيب أننا لم نلحظ مكاناً لعثمان بن عفان في هذه المسألة.. وكـأن الأمـر يشير إلى عهده الذي برزت فيه قضايا الفتن عالية مدوية ولم تخمد بعد ذلك.

وقد جاء الإمام علي في موقع الدولة متأخراً، ولهذا كان يقول له صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت صاحبه أن أدركته»، ولكن الإمام علي رضي الله عنه جاء وقد انتشرت الفتنة خارج الخيمة الإسلامية، ونسجت عناكب الشر خيوط الصـراع والخلاف، وكان هو كرم الله وجهه أحد ضحاياها.

وفي ختام الأمر كشف صلى الله عليه وآله وسلم سر الأمر بالقتل للرجل فقال: ((لو قُتل هذا لما اختلف اثنان..)).

ولو كان صلى الله عليه وآله وسلم مأمورا بقتل الرجل لما تردد في قتله ؛ ولكن الحكمة الإلهية تبرز لنا سر معرفة رسول الله للفتن منذ باكورة الرسالة كما هو في ابن صياد، حيث قال الرسول لسيدنا عمر ابن الخطاب: ((إن يكُنه فلـن تسـلط عليه)) أي: إن كان ابن صياد هو الدجال، فالحق سبحانه يحميه منك لأنه جزء من حكمة الله في مجرى قضائه وقدره.

مَلحَظُ فِتْـنَةِ المُسْتَقبل

مِن غَزْوَةِ هَوازِن

مِن فقه عصر المُصطفى ما حصـلا   في **غَـزوةِ الطّـائفِ** لمَّـا **نـزلا**
نبينا يقسم الغنائمـا   **فجاء حرقُوص** يمـاري **قائمـا**
وقـال: اِعدل قِسمةَ الغنائم   **ومـا أردت الله** في **المقاسم**
فاحمر وجه المصطفى وقـال: مـه   **ويحك من يعدِلْ ومـن يقسمه؟**
إنْ لم **يكن عـدلي جـديراً بالثقـةْ**   **فمن عساه يقْسِمن الصدقةْ**
وحدق النبـي في **ظهـر الرجـل**   **وقال: مِن ضِئْضِـئِهِ شـر يصِـل**
يظْهـر قـوم منـه في **الأزمـان**   **مِيـزتهم قـراءةُ القـرآن**
يحسنونَ الصوت بالآيـاتِ   في **واقـع محطـم الغايـاتِ**

يشير الناظم في الأبيات السالفة إلى معنى الحديث الوارد في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقسم قَسماً أتاه ذو الخويصرة -وهو رجل من تميم- فقال: يا رسول الله..اِعدِل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويلك! ومن يعدل إن لم أعدل؟ قد خِبت وخسرت إن لم أعدل»، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله.. ائذنْ لي أضرِب عنقَه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»، وفي رواية: «... إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل

الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» .اهـ .

فاستأذنَ الفاروق أن يقتلَه — وقال: دعني عِبرةً أجعلَه
فقال: دعه إنّ مِن ورائِهِ — أرى رجالاً شأنهم كشأنِهِ
ولا يقولُ الناس: إنّ أحمدا — يقتلُ مِن أصحابِهِ مَن يسجدا

أورد الناظم في هذه الأبيات والتي سبقتها تحت مسمى «ملحظ فتنة المستقبل من غزوة هوازن»، والمقصود من هذا المسمى إبراز القراءة المستقبلية لدى صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم من واقع عصره، وكشف سر تطور الفتنة من مصدرها الأول مقارنة لبروز الشريعة من مصدرها الأول، وأن الحق سبحانه وتعالى جعل للخير أصولاً وثوابت وللشر مثل ذلك.

والحديث الشريف يبرز ملحظ الجرأة لدى أهل الفتنة وما تزينه لهم عقولهم في شأن نصرة الحق من منظور النفس والهوى والدنيا ووساوس الشيطان، فيفهمون الأثر القائل: «قُل الحق ولو كان مراً»، «ولا تأخذْكَ فِي اللهِ لومة لائمٍ على غير معناه ولا مبناه».

فهذا حرقوص بن زهير أو ذو الخويصرة فرد يحمل منهج مراحل وأسلوب جحافل، ظل ينسج حول نفسه مفاهيم الشرع بصورة الأنانية حتى برزت حقيقته في غزوة هوازن متجرئاً على رسول الله بما قال على مختلف الروايات.

(اِعدِلْ هذه قسمةٌ ما أُريد بها وجه الله)، وكل تلك المقولات دلالة على تحولٍ في الذات وطرحٍ خطير في أفضل المجتمعات، فلابد أن يظهر مقابل هذا التحول موقف ويبرز هذا الموقف في قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذات الرجل وما يخرج من أمثاله في مدرسة الإسلام من أقوام -وليس أفراد- ميزتهم الاعتناء التام بالقرآن، -وفي بعض الروايات- بصحيح السنة، ولكنهم مع هذا

الاعتناء بالنصوص يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لتشابه عنصـر الجرأة منهم على الذوات المؤمنة، كما تجرأ ذو الخويصرة علـى ذات رسـول الله يقول: اِعدِلْ، مع أنه يعتقد في نفسه معرفة حق الله والإسلام لما ورد فيه الروايـة الأخرى «إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله».

فالمنطق المطروح إنما هو غيرة على مراد الله، والحقيقة المنشودة في صدر الرجـل هو نقد موقف رسول الله، وكانت إرادة الله متجلية خلف هذا الحـدث الخطـير لتبرز أحكام المستقبل ممن لا ينطق عن الهوى، فيتقرر بذلك أن تاريخ التحـولات المستقبلية ليس له ضابط ولا قيد إلاّ النظر في هذا الفقه الخاص.

فقراءة الواقع الإسلامي على مدلولات هذا الفقه تبرز معنى البـيت:

يحسـنونَ الصـوت بالآيـاتِ في **واقـع محطـم الغايـاتِ**

والمشاهد في عالمنا المعاصر اهتمام الجيل الأوسع من المسلمين بـالقرآن طباعـةً وتجويداً وتلاوةً وتحسيناً للأصوات وتنافساً عليه مع واقع إسلامي محطم وضـعيف ومنهوك، تكتنفه الأمراض والأغراض والوهن والغزو الفكري الكـافر والـبرامج التعليمية والتربوية الماجنة بكل صورها ونماذجها.

وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» إشارةٌ إلى كثرتهم وقوة انتشارهم وعلو مظهرهم في آخر الزمان.

وهنا ملحظٌ هام في هذه العبارة، فقوله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «لـئن أدركتهم» وهو عليه الصلاة والسلام قد أدرك حرقوص بذاته ؛ ولكنه لم يقتلـه، فكيف لو قتله؟ أليس في ذلك قطعا للشر من أساسه ؟ والمعتقَد والله أعلم أن قوله: «يخرج من ضئضئ هذا» على معنيين:

الأول: من ذريته ونسله، وهذا يعني أن الرجل محفوظ بقدر الله وقضائه، فلـن يسلط عليه أحد، كما هو في شأن ابن صياد وذاك الرجل السابق ذكره، ولقولـه

صلى الله عليه وآله وسلم مشيرا إلى خطر الإشاعة التي لا يرجوها رسـول الله في مبتدأ التحولات «دعه.. لا يقول الناس: إن محمداً يقتل أصـحابه»، وفي روايـة أخرى: «دعه فإن من ورائه رجالاً..» «دعه فإن له أصحاباً».

الثاني: أن معنى قوله: «يخرج من ضئضئ هذا» أي: من مثالـه وعلـى رؤيتـه ومنهجه قوم أو أقوام، وله في المدينة أمثلة أي رجالاً وأصحاباً هـم علـى ذات طينته ورؤيته، فيعتبر القتل له في هذه الحالة غير مجدٍ ولا مفيد بل ربما صار الأمـر أشد خطراً وأثراً.

وتبرز هذه التحولات القائمة في عهد صاحب الرسالة سعة مشهده وبعد مقصده ورسوخ دعوته بأخلاقه ومواقفه، وهذا ما يؤكد بقاء هذا المعنى إذا عرفنـا سـر أخلاق نبويته، وأ ا الحافظ المناسب والأسلوب الناجح في استمرارية هذا المـيراث إلى جانب الأصلين «الكتاب والسنة».

فالآخذ لهما مجردين عن أخلاق النبوة يضرب لهما مضرب المثـل في حرقـوص ومثله ممن لهم اعتزاز بالإثم، ومن أخذهما بحقهما ومعادلهما الثالث عرف سر قوله تعالى: الذين آتيناهم الكتاب والحُكْم والنبوة فإن يكفر ا هؤلاء فقد وكلنا ـا قوماً ليسوا ا بكافرين .

مَدْرَسةُ الكِذْبِ

ومَواقِفُ مُسَيْلمَةَ الكَذّاب

ومن عجيبٍ فِقْهِ عصرِ المُصطفى ... ظُهورُ كذّابٍ بنجدٍ يقْتفى

قد كان قبلُ مسلماً طموحا ... أتى إلى طيبةَ كي يبوحا

بسِرِّ ما يرجوه من تقاسمِ ... مع النبيِّ في النظامِ العالمي

أشار الناظم في عنوان الموضوع إلى مدرسة كاملة تأسست منذ بزوغ فجر الرسالة وهي مدرسة الكذب وصاحبها مسيلمة [1] الكذاب وموطنها نجد، ومن خلال مواقف الكذاب المشار إليه تبرز معالم هذه المدرسة كنقطة تحول جديدة داخل خيمة الأمة الإسلامية، وتبرز معها مواقف جديدة يضع أسسها وقواعدها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي أبو ثمامة، ولد ونشأ باليمامة بوادي حنيفة بنجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمان، وكان يعرف برحمان اليمامة، طاف ديار العرب والعجم وتعلم الأساليب التي يستغفل بها الناس كالكهانة والعيافة والسحر واستخدام الجن وغيرها، وكان يدعي النبوة قبل إسلامه على ما ذكرته بعض الروايات، ويرسل أناساً إلى مكة ليسمعوا القرآن فينسج على منواله، وفي العام التاسع للهجرة أقبل وفد بني حنيفة يعلنون إسلامهم، وكان مسيلمة معهم، ففي رواية أن تخلف عن مقابلة رسول الله يحرس متاع قومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه: ((إنه ليس بشركم مكاناً))، فلما رجعوا أعلن شركته في النبوة معتمداً على قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنه ليس بشركم مكاناً))، قال بعض الشراح: إنما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنه ليس بشركم مكانا)) لا تعني أنه خيرهم، بل تعني أنهم أشرار، وليس هو بأكثر شراً منهم بل هو شرير منهم.

وإشارة الناظم إلى «**عجيب فقه عصر المصطفى**» أي: إلى فقه التحولات الطارئة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقوله: «**ظهور كذابٍ بنجدٍ يقتفى**» أي: يتبع، وقد اختلفت الروايات في وقت نبوءته، والإجماع على أن الرجل تنبأ وادعى أنه ينـزل عليه قرآن[1]، وفي بعض الروايات أنه أتى وأسلم ثم عاد إلى نجد وارتد بنبوءته، ومن مجموع الروايات يستفاد أن ظاهرة التنبؤ برزت في تلك المرحلة في نجد واليمن، فكان مسيلمة في نجد والأسود العنسي في اليمن، وإلى ذلك أشار صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى إليّ في المنام أن انفخهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أحدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة صاحب اليمامة». وقد أسلم صاحب صنعاء فيما بعد وحسن إسلامه وبقي مسيلمة على ادعائه حتى قُتل في معركة اليمامة.

وذكر الناظم ما روي أنه أسلم بادئ ذي بدء، وكان له طموح في شأن اقتسام المصلحة كما يعتقد ويرى في شأن حكم الأرض.

بسر ما يرجوه من تقاسم مع النبي في النظام العالمي[2]

---

(١) ذكرت الروايات أن مما زعمه قرآناً قوله: لقد أنعم الله على الحبلى. أخرج منها نسمة تسعى. من بين صفاق وحشا. فمنهم من يموت ويدس إلى الثرى. ومنهم من يبقى إلى أجل مسمى. والله يعلم السر وأخفى.

ومن قرآنه: يا ضفدع بنت ضفدعين. نقي ما تنقين. أعلاك في الماء وأسفلك في الطين. لا الشارب تمنعين. ولا الماء تكدرين. نقله الدكتور محمد الهلابي عن الطبري، انظر «الانشراح ورفع الضيق في سيرة الصديق» ص٢٦٢.

(٢) النظام العالمي إشارة إلى ما يدعيه مسيلمة الكذاب في مشروعية دعواه بأنه يوحى إليه، وأن له حقا في إقامة ثوابت الدين العالمي الأخير كذباً وافتراءً.

حيث ورد في الرواية أنه في العام العاشر للهجرة عندما أصيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمرض موته تجرأ مسيلمة فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزعم لنفسه الشركة مع رسول الله في النبوة وبعث رسالته مع عبادة بن الحارث الحنفي المعروف بابن النواحة، وفيها كتب: «من مسيلمة رسول الله (كَذِب) إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً لا ينصفون»، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى».

وحمل الرسالة إلى مسيلمة حبيب بن زيد الأنصاري، فلما أسلمها له قال مسيلمة: أتشهد أن محمد رسول الله ؟ قال: نعم، ويقول له: أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول: أنا أصم لا أسمع، ففعل ذلك مراراً، وفي كل مرة كان يقطع منه عضواً حتى مات.

وفي رواية أخرى أن الحوار بين رسول الله ρ ومسيلمة كان بالمدينة في منزل عبدالله بن أبي بن سلول، وكان مع رسول الله ثابت بن قيس ابن شماس، وتكلم مسيلمة، وقال: الأرض نصفها لي ونصفها لك، فرد عليه الرسول: «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده»، وأخذ عوداً من الأرض، وقال: «لو سألتني هذا ما أعطيتكه»، فقيل: إنه قال له: لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، فولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «وهذا ثابت ابن قيس بن شماس يخطب عني»، وإلى هذا أشار الناظم في قوله معتمداً على هذه الرواية:

وحل ضيفاً عند نسل ابن سلول   تعاضداً يحكِي لنا سِر المُيول

ويشير هنا إلى ما بين الرجلين من هدف العداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف يأتي تعاضد الكذب والنفاق في غرض واحد.

وجاءَ خيرَ الخَلقِ نحوه يرى … ما عنده من الطموح المُفْترى

فطالب النبي بالتقاسم … نِصفين حكْمِ الأرض والمغانم

فَحملَ النبي عوداً يابساً … يشير أنّ المُلك لله رسا

يورثُه بأمره لمَن يشا … فاشتاطَ ذاك غاضباً مرتعِشا

لأملأن الأرض خيلاً ورجالْ … عليك والحرب على الدنيا سِجالْ

فراح طه قائلاً: عني يقِف … نسلُ ابن شماسٍ خطيباً متصِف

ومنذ ذاك العهدِ والحق صراع … أمام زيفِ الباطل المُفضِي نزاع

يشير الناظم إلى استمرار معركة الحق والباطل بين مدرسة الإسلام الصادقة ومدرسة الكذب والمنافقة منذ ذلك العهد، حيث أشار النبي إلى تسلسل المنافحة، فحين يأتي من بعده بقوله: وهذا ثابت بن قيس بن شماس يخطب عنه، وفيه دلالة انتقال أمر المدافعة عن الإسلام إلى الأجيال اللاحقة، وهذا ما تشهد به الوقائع والحوادث من تضافر الكفر والكذب والنفاق في متارس واحدة أمام الحق الناصع.

تحولٌ في **الفكر والمواقفِ … وخِدعةٌ تلُوح** في **الوظائفِ**

إشارةٌ إلى ما أثمرته تحالفات الكفر والنفاق ومدرسة الكذب المسيلمية في تاريخ الأمة الإسلامية من خداع وتضليل في الفكر والديانة، وفي المواقف العالمية الإسلامية، واستمرار هذا الخداع والإفك في أجلى صوره ومعانيه.

وقوله: «**وخِدعةٌ تلُوح** في **الوظائفِ**» إشارةٌ إلى ما أصاب الأمة من جراء هذا التضافر بعد امتلاك الكافر قرار الأمة الإسلامية وبروز مرحلة الوظائف، فكان في وظائف هذه المدارس المنحرفة داخل الخيمة الإسلامية أن تضافرت مع قوى الشر العالمي في محاربة شعوب الإسلام وعقايدهم، وأدخلت إلى الواقع الإسلامي فكرة

القومية والحزبـــية والفئوية والصراع الديني والتعليم الانتقائي وغير ذلـــك مـــن المسميات ذات الأصول النفاقية.

موقع ابن صيّاد من فقه التحولات

مِن فِقْهِ عصرِ المصطفى المختارِ   وأوضحِ الأخبارِ والآثارِ

عن ابنِ صيادٍ وما بهِ وصِفْ[1]   مِن الغموضِ في النصوصِ قد عرِفْ

يشير الناظم إلى أنموذج آخر من نماذج الفتن والتحولات التي برزت منذ عهد صاحب الرسالة، وما كتب عنها من أخبار وآثار، وما اختلف فيه الصحابة ومن

---

(١) هو صافي بن صياد اليهودي، ولد بالمدينة، ويوم ولد أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أبا ذر) ليسأل أمه عن أمور منها كم حملت به، وما هي صيحته يوم ولد، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم خبره، وكان يقول عنه: ((يمكث أبوا المسيح الدجال ثلاثين عاماً لا يولد لهما، ثم يولد لهما غلام أعور)) وفي رواية: ((مستوراً مختوناً أضر شيءٍ وأقله نفعاً))، ويقول عن أبويه: ((أبوه رجلٌ طَوالٌ مضطرب اللحم طويل الأنف كأن أنفه منقار، وأمه فرضاخية عظيمة الثديين)) وفي رواية: ((طويلة الثديين)).

وعندما ولد الغلام وانطلق أبا ذر ليسأل قالت أم الغلام: إنما حملت به اثني عشر شهراً، وإن صيحته يوم ولد كانت صيحة ابن شهر، وفي رواية: ابن شهرين، عندئذ انطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه عبدالله بن مسعود حتى أتى داراً قوراء، فقال: ((افتحوا هذا الباب)) ففتح ودخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن مسعود، فإذا قطيفة وسط البيت، فقال: ((ارفعوا هذه القطيفة)) فإذا غلام أعور تحت القطيفة، فقال: ((قُم يا غلام، أتشهد أني رسول الله))، فقال الغلام: أتشهد إني رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أتشهد أني رسول الله))، فقال الغلام: أتشهد أني رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أتشهد أني رسول الله)) فقال الغلام: أتشهد أني رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((تعوذوا بالله من شر هذا مرتين)) رواه أحمد وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وانظر بتوسع ((بين يدي الدجال ص١٦-١٧)).

بعدهم حول شخصية ابن صياد، والغموض الـذي اكتنـف هـذه الشخصـية ومواقفها.

وأنّ طـه احتـار في **الإفصـاح عن كُنهِ مـا يأتيـهِ مـن أرواح**
فصـادق وكـاذب ينازعـه منذُ الصبا وليس مـن يضـارعه

أشار الناظم إلى ما أهم النبـي صلى الله عليه وآله وسلم من أمر ابـن صـياد حيث ظل مجهولاً في كثير من المواقف، فقد ورد أن النبـي صلى الله عليه وآلـه وسلم لقيه وهو غلام، وفي رواية: قد ناهز الحلم، فلم يشعر ابن صياد حتى ضرب النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ظهره بـيده، ثم قال: «أتشهد إني رسول الله ؟» فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، ثم قال ابن صياد للنبـي صلى الله عليه وآله وسلم: أتشهد أني رسول الله، فقال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم: «آمنت بالله ورسله» اهـ.

ولما أراد عمر بن الخطاب أن يضرب عنق ابن صياد برزت حقيقة خطيرة حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن يكن هو فلن تسلط عليه، وإن لا يكن هو فلا خير لك في قتله» وفي رواية: «إن يك الذي تخاف فلن تستطيعه»، وفي رواية «وإلاّ يكن هو فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد».

وفي مرة أخرى ذهب النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه نفر من الصـحابة نحو ابن صياد ناحية النخل، فأخذ النبـي صلى الله عليه وآله وسلم يختل بـين النخل ليفاجئ ابن صياد ويسمع منه شيئاً فسبقته أم ابن صياد، فقالت: يا صـاف هذا أبا القاسم، فلما جاءه النبـي صلى الله عليه وآله وسلم، قال له: «ما ترى؟» قال: أرى حقاً وأرى باطلاً وأرى عرشاً على الماء، قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم: «أتشهد أني رسول الله» قال ابن صياد: «أتشهد إني رسول الله»، فقال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم: «آمنت بالله ورسله».

وفي رواية: قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خبأت لك خبيئاً فما هو؟» وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخفى في نفسه قول الله تعالى: فارتقب يوم تأتي السماء بدخانٍ مبين وهي آية الدخان التي هي من علامات الساعة، فقال ابن صياد: الدخ.. الدخ.. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اخسأ اخسأ» فلما ولي صلى الله عليه وآله وسلم، قال القوم: ماذا قال؟ فقال بعضهم: «دخ»، وقال بعضهم: «ذخ»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا وأنتم معي مختلفون، فأنتم بعدي أشد اختلافاً».

وفي عبارته هذه صلى الله عليه وآله وسلم إشارةٌ إلى تحولات المستقبل في الاختلاف حول النصوص والألفاظ، وحمل كل فريق معناها على غير محمل الآخر.

حتى استفاض القولُ في **شخصيته بأنه الدجالُ** في **ذاتيته**

يشير النظم إلى ما ساور العديد من الصحابة أن ابن صياد هو الدجال، وخاصة بعد أن ثبت قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب: «إن يكن هو فلن تسلط عليه».

قال الأستاذ سعيد أيوب في كتابه «عقيدة المسيح الدجال»: يعتبر ابن صياد صورة محدودة للمسيخ الدجال، ومهمته في حدود صورته التي ظهر بها، هو دجال لكنه يعمل في مجتمع عصم الله نبيه من الناس والله يعصمك من الناس وعصمه من غير الناس بالمعوذتين وعصم منهجه بالحفظ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

وقد كان النبي يرصد الحدث منذ بدئه فيقول للصحابة: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه» وفي رواية: «إن يخرج المسيخ الدجال وأنا فيكم حي كَفَيتكُموه» أي: سيظل في صغارٍ وصغارٍ حتى يأتي قدر الله.

وكان بعض الصحابة يرون ابن صياد هو المسيح الدجال، قيل للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من هو المسيح الدجال ؟ قال: «صاف ابن صياد»[1].

وقال أبو ذر: لأن أحلف عشر مرات أن ابن صياد هو المسيح الدجال أحب لي من أحلف مرة واحد أنه ليس به، وذلك لشيء سمعته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.اهـ.

وأبو ذر كما سبق هو الذي بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزل ابن صياد يوم ولادته، فلعله سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يشير إلى ذلك.

وقال محمد بن المنذر: رأيت جابر بن عبدالله يحلف بالله أن ابن صياد هو المسيح الدجال، فقلت: أتحلف بالله؟ قال: سمعت عمر بن الخطاب يحلف على ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينكره، وكان ابن عمر وجابر يحلفان أن ابن صياد هو المسيح الدجال لا يشكان فيه، فقيل لجابر: إنه أسلم، فقال: وإن أسلم، فقيل: إنه دخل مكة وكان في المدينة، قال: وإن دخل.

قال عبدالله بن مسعود: لأن أحلف بالله تسعاً أن ابن صياد هو الدجال أحب إلى من أن أحلف واحدة أنه ليس به، قلت: وعبدالله بن مسعود كان مصاحباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم ذهب إلى منزل ابن صياد يوم ولادته[2].

والتبس الأمر بنص آخر في شأنه من باطن وظاهر

يشير النظم إلى ما حصل من التباس بين العلماء والمحدثين حول معارضة النصوص لبعضها في أمر الدجال.. فما ورد عن ابن صياد هو الدجال يعارضه ما

---

(١) «عقيدة المسيح الدجال» لسعيد أيوب.

(٢) راجع «بين يدي الدجال» للمؤلف ص١٣-٢٢.

ورد في البخاري عن تميم الداري وحديث الجساسة، وأنه لقي الدجال مسلسلاً بالأغلال في كهفٍ بجزيرةٍ.

والشأنُ كل الشأن في التمويهِ لحكمةٍ تخفى على النبيهِ

يشير النظم إلى حقيقة حال المسألة وما في تمويه الأمر واختلاف العلماء حوله من ستر لأمر وقد قدر، فالاختلاف في شأن الدجال له حكمة بالغة في إخفاء حقيقته حتى لا يعرف ولا يميز، كما هو الحال في كثير من قضايا الغيب التي موه الشارع فيها الأمر، ولم يفصح فيه ببيان مجمع عليه كالإمام المنتظر وساعة الجمعة وليلة القدر وغيرها.

والمتأمل للنصوص بروية وتحقيق يستطيع أن يتفهم سر الإخفاء ويبرز له ما يستأنس به مسألة التحديد لظهور تلك الذات المخفية.

قال الأستاذ سعيد أيوب في «عقيدة المسيخ الدجال»: كان ظهور المسيخ الدجال لطفاً من الله تعالى كي تفقه الأمة الخاتمة أحداثه، لأنه خارج منها لا محالة، لأ ـا آخر الأمم بلا شك.

وظهور المسيخ الدجال لم يقتصر على الصورة التي ظهر ا لتميم في الجزيرة، بل ظهر مرة أخرى في صورة أخرى من أجل أهداف أخرى، لقد ظهر في صورة رجل يدعى «ابن صياد»، وظهور القوى الغيبية لم يقتصر فقط على تعدد ظهور المسيخ الدجال، فلقد ظهر جبريل عليه السلام في صورة «دحية الكلبي». اهـ [1].

---

(١) المصدر السابق.

وأضاف الأستاذ سعيد أيوب عند قوله في الحديث: «أتشهد إني رسـول الله»، فقال ابن صياد: أتشهد إني رسول الله، قال النبـي صلى الله عليه وآله وسـلم: «آمنت بالله ورسله».

قال الأستاذ سعيد: ابن صياد مقذوف قذف الله به لحكمة، هو رسول الله فتنـة له بصمات على جميع الفتن منذ ذرأ الله ذرية آدم، ورسل الله لهم ملامح عديـدة في كونه سبحانه وتعالى، فهناك مثلاً رسل مهمتهم هداية البشر بقوله تعالى: وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، فمن رفض منهج الهداية سـقط في سـلة رسل آخرين، قال تعالى: ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ، وابن صياد رسول ؛ لكنه «أضر شيء وأقله نفعاً، تنام عيناه ولا ينام قلبه» كما قال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم. وابن صياد رسول وعلامة من علامات الساعة، بل من أخطر علامات الساعة والنبـي صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال لمـن حوله: «تعوذوا بالله من شر هذا» (مرتين)، فإنه يعني بذلك «**المسـيخ الـدجال**» والتعوذ من ابن صياد مرتين، لأنه بداية الطريق - على عهد رسول الله - والثانية ايته في آخر الزمان، فأمرهم بالتعوذ من الظهور الأول «**ظهور التخويف**» والتعوذ من الظهور الثاني «**ظهور التدمير**» والنبـي صلى الله عليه وآله وسلم رغم علمـه بالحدث إلا أنه آخذ بالأسباب[1].

ملحظ هام: نجد في هذه العلامات المتواترة وجودها على عهد صاحب الرسالة يقيناً، وبروز مظاهر الدجل والخداع منذ اللحظة الأولى، وكيف تعامل صـلى الله عليه وآله وسلم مع هذه الآيات.

(١) المصدر السابق ص١٦ - ١٧.

١) قصة الرجل الذي أمر النبـي الصحابة بقتله فوجدوه يصلي حتى ذهـب ولم يدركه الإمام علي.

٢) قصة حرقوص بن زهير الذي قال النبـي لعمر: «لا يقـول النـاس: إن محمداً يقتل أصحابه».

٣) ابن صياد، وقول الرسول لعمر ابن الخطاب: «إن يكن هو فلـن تسـلط عليه».

وهذه المحاور الثلاثة مع محور مسيلمة الكذاب الذي قال النبـي صلى الله عليـه وآله وسلم للوفد: «إنه ليس شركم مكاناً» تبرز متمات الانحراف الرباعي الـذي تمتطيه قوى الشر في العالم، للدجل والتحريف والتزيف والعياذ بالله.

مَظَاهِرُ مَوْتِ المُصْطَفى

في فِقْهِ التَّحَولاتِ

كانت أخطر التحولات في عصر الرسالة موت النبـي صلى الله عليـه وآلـه وسلم، وهي -كما أشار صاحب «الإشاعة» في الباب الأول- من أعظم المصائب في الدين، بل أعظمها، ومن ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بـي، فإ ا أعظم المصائب» رواه ابن سعد.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أصيب منكم بمصيبة من بعدي فليتعز بمصيبته بـي عن مصيبته، فإنه لن يصـاب أحد من أمتي من بعدي بمثل مصيبته بـي» رواه الطبراني في «الأوسط».

وعن عوف بن مالك رفعه، قال: «أُعدد سِتاً بـين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بـيت المقدس... الحديث» اهـ.

مَظَاهِرُ تَحَوُّلاتُ ما بَعْدَ عَصْرِ الرِّسَالة

مات الرسـولُ وانقضـى بموتـهِ وحـي السـماءِ ورنـين صـوتِهِ
ولمْ يمت حتـى أقـام الحُجـجـا وأظهـر الـدين وصـار أبلجـا
يحفَظُــه الفُحــولُ والعــدولُ مِن كُـل حبـرٍ عـالِمٍ يصـولُ

أشار النظم إلى انتقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، وأن ذا الأجل المقضي انقطع عن الأرض وحي السماء الذي استمر ثلاثا وعشرين سنة، كما انقطع أيضاً رخيم صوت الرسول صلى الله عليه وآله وسـلم بـين أصحابه وأهله؛ ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يمت حتى أقام الحجج وجاهد في سبـيل الله وأظهر الدين عالياً بلجاً «يحفظه **الفُحول**» من الصحابة «**والعدول**» من العلماء والتابعين وتابعي التابعين.

وكانَ مـوت المُصـطفى علامـةْ لحَيــرةٍ في منصِــبِ الإمامــةْ

يشير النظم إلى إحدى علامات التحول في هذه المرحلة، وهي موته رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما أدى إليه ذلك الأمر من مواقف متنوعة.

وقد جرى في الموتِ بعض القَلَـق وحالــةٌ مِــن رجفَــةِ المُنطَلَــق

إشارةٌ إلى المفاجأة التي حدثت بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم في أصحابه وشمول القلق والارتجاف من هول الحدث.

فعمر الفَـاروق كـانَ لا يـرى موت النبـي إنَّما الـروح سـرى
وقال من نـادى بمـوتِ أحمـدِ قَتلتــه بالســيفِ دونَ المَســجِدِ

إشارة إلى ما طرأ على سيدنا عمر رضي الله عنه عند تلقي الخبر وإصراره علـى أن رسول الله لم يمت وإنما ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وإنه سيرجع، وصـعد

عمر رضي الله عنه على المنبر يصيح بالناس ويهدد القائلين بموت رسول الله بالقتل والنفاق.

ولمْ يــزل حتــى أتــى الصــديق وهــو الحَــري بالــذي يليــق

فقبّل المختار في الوجــهِ الوضِــي وقال: طِبت في الحيــاةِ والمُضِــي

أشار الناظم إلى موقف الصديق رضي الله عنه من مفاجأة الموت حيـث دخـل على رسول الله وكشف الغطاء عن وجهه وقبله، وقال: «طِبت يا رسول الله حياً وميتاً» ثم خرج إلى المسجد ورأى ما أصاب الناس من الفزع والهلع، وسمـع ابـن الخطاب وهو يتوعد وقد تيقن موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعاد للمســجدِ يــروي بثَبــات موت الرسول والجميع في شتات

وكان هذا موقفاً شجاعاً من سيدنا أبـي بكر الصديق أمام هـذا التحـول، فثباته أمام مفاجأة الموت أسهمت في لـم شعث أصحاب النبـي صلى الله عليه وآله وسلم وحسمت موقف الحيرة التي ضربت عقولهم وأفهامهم، إذ صعد المنـبر بعد أن أبى عمر بن الخطاب النـزول وتلا على الناس الآية ومـا محمـد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقـابكم ومـن ينقلب علي عقبـيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين .

ونــزل الفاروق لا يقْــوى علــى مشيٍ لمّا قد نال مِن جهــدِ الــبلا

وســمِع الآيــةَ تتلــى فبكَــى وضج بــيت اللهِ حزنــاً وشــكا

إشارة إلى وقع الآيات القرآنية على الصحابة، إذ أخذ سيدنا أبـوبكر الصـديق يرددها على الناس، فنـزل الفاروق منهار الجسم لا تحمله رجلاه، وضج النـاس بالبكاء والنحيب عند تيقنهم موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقـال بعضهم لما سمع الآية: والله كأ ا اليوم أنـزلت، حتى ورد في بعض الآثـار كمـا رواه الحافظ ابن رجب: ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اضـطرب

المسلمون فمنهم من دهش فخلط، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية.. اهـ [١].

وقال القاضي أبوبكر ابن العربي [٢]: واضطربت الحال فكان موت النبي قاصمة الظهر ومصيبة العمر.

فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فهجر وقال: ما مات رسول الله وإنما واعده ربه كما وعد موسى، وليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم.

ولما سمع أبوبكر الخبر أقبل على فرسٍ من مسكنه بالسنح حتى نزل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغشى بثوب حبرة[٣]، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموته الأولى التي كتبت عليك فقد مِتها، وخرج أبوبكر وعمر يتكلم، فقال: «اجلس يا عمر» وهو ماضٍ في كلامه، فقام أبوبكر خطيباً في الناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه فقال: أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا الآية، فنشج الناس يبكون، قال عمر: فو الله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت على الأرض ما تحملني قدماي.

وهذا من أعظم مواقف الصديق وثباته أمام هذا التحول الخطير، قال القرطبي: هذه الآية أول دليل على شجاعة الصديق وجرأته، فإن الشجاعة والجرأة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، و ذه الكلمات القلائل واستشهاد أبي بكر

---

(١) «الانشراح ورفع الضيق في ترجمة سيدنا أبي بكر الصديق» ص١١٥.

(٢) «العواصم والقواصم» ص ٣٨٠.

(٣) نوع من الملابس المحاكة.

الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً. اهـ.

وكانَ هذا أولَ التحول ولم يزل نبينا في المَنزل
وما جرى مِن مظهر السقِيفَةِ وجمع رأي القَوم في الخَليفَةِ

لما علم الصحابة رضي الله عنهم بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشر للهجرة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتداولوا الأمر بينهم في شأن الخلافة، ولحقهم أبوبكر وعمر إلى السقيفة فقام خطيب الأنصار فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهطٌ وقد دفت دافة [1] من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر»، وقام أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال: ما ذكرتمُ فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح.

فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات. وفي رواية أحمد أن أبا بكر قال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وأنت قاعد: «قريش ولاةُ هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهِم، وفاجر الناس تبع لفاجِرهم» فقال سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء.

---

(١) دفت دافة: أي عدد قليل.

وقام عمر بن الخطاب، وقال لأبي بكر: «أبسطْ يدك يا أبابكر» فبسط يده، فبايعه وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار[1].

وبرز في هذا التحول موقفان:

الأول: موقف سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي عرف كيف يقبض على زمام الأمور بكلمته في السقيفة كما قبض على زمامها في المسجد، وأيده سعد بن عبادة الذي كان له رأي آخر من قبل.

والثاني: موقف عمر بن الخطاب عند ظهور اللغط والاختلاف وبدء مبايعته لأبي بكر رضي الله عنه.

قال الناظم:

وفَلْتةٌ جاءَت كأجلى موقِفِ تزيل لُبس الأمر في السر الخَفِي

المقصود من «**الفلتة**» المشار إليها قوة الموقف الناشئ عن القيام بالحجة الدامغة حيث ألهم الله أبا بكر الصديق حجج الإقناع. فأدخل إلى قلوب الأنصار الحق دون أن يعرضهم للفتنة، حيث أثنى عليهم بما هم أهله، وذلك موقف هام، ثم أقنعهم بعد أن اعترف بفضلهم أنه لا يعني أحقيتهم في الخلافة، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نص على أن المهاجرين من قريش هم المقدمون في هذا الأمر [2]. وأشار ابن العربي إلى أن أبا بكر الصديق استدل على أن أمر الخلافة في قريش بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استوصوا بالأنصار خيراً، اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» كما احتج أيضاً بقوله: «إن الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين» إشارة لما ورد في آية للفقراء الذين أخرجوا من

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود برقم ٦٨٣٠.

(٢) «رفع الضيق» ص١١٥.

ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هـم الصادقون. والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان م خصاصة ومـن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون [الحشر: ٨-٩]، ثم قال: وقد أمـركم الله أن تكونوا معهم حيثما كنا فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين [التوبة:١١٩].

و ذه المواقف ومثلها توحد صف المسلمين، وقد ثبت فيما بعد ذلك أن أبابكر الصديق قام باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته واستحلفهم جهـاراً على ذلك.

فأبرز الإمام علي كرم الله وجهه موقفاً ثالثاً فصل في الأمر وأكد الخلافة، إذ قال الصديق: أيها الناس اذكُروا الله أيما رجل ندم على بـيعتي لما قام على رجليـه، فقام علي بن أبـي طالب ومعه السيف فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبة المنبر والأخرى على الحصى، وقال: «والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسـول الله فمن ذا يؤخرك». اهـ[1].

وبعد دفْن المُصطَفَى قـالوا: نـرى تناكُر الأحوال مِمـا قـد جـرى

إشارة إلى مدلول التحولات النفسية التي طرأت على الصـحابة عنـد فـراقهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذهابه عنهم فجأة، وقد ألفوا الاحتكام إليه والالتفاف والإجماع عليه والتشاور لديه، حيث ورد «ما نفضنا أيدينا من تـراب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنكرنا قلوبنا»[2]، وهذه ظاهرةٌ حقيقيةٌ تلحق مثل هذا التحول وتطرأ على النفوس والقلوب وحشة وانـزعاج، وخاصة

(١) «الأنصار في العصر الراشدي» ص١٠٨، «رفع الضيق» ص١٢١.

(٢) رواه البخاري، راجع «الإشاعة» الباب الأول.

أن كلما اختلف عليه القوم قبل كانت عصمة الوحي تفصل في الأمر وتجـزم في شأنه، وأما ما هم فيه الآن إنما يرجع لصِرف الفهم والاجتهاد.

ومن هنا تحول الأمر إلى صِرفِ اجتهادٍ في القرار والولا[1]

وهذا تحولٌ لزم أن يتبعه قرار وموقف..

وبرزت مواقف التحول ومثلها مواقف التعقل

وبعد هذه المرحلة التي انتقل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برزت على سطح الواقع الاجتماعي مواقف متنوعة أفرزها التحول الجديد ما بين مواقف تعقل واتزان ومواقف اندفاع وانفعال.

فمن مواقف التعقل والاتزان:

١- أن قيادة الأمة لا تقام إلا بالاختيار.

٢- وأن البيعة أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة.

٣- وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأكفاء ديناً وعقلاً وإدارةً.

٤- لا تدخل الخلافة السياسية ضمن الوراثة والقبلية إلا من داخل قرار النص الشرعي الذي لا يتعارض مع أصول الإسلام.

٥- الحوار الذي دار في السقيفة أدى إلى تسليم كافة العناصر للنصوص التي تحكمهم، حيث كانت المرجعية في الحوار إلى النصوص الشرعية.

٦- الإعلان من سيدنا أبي بكر الصديق بعد البيعة باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته وقيام الإمام علي رضي الله عنه قائلاً: «والله لا

---

(١) أي أنه بعد انقطاع الوحي بقي ترجيح الأمر قائما على الاجتهاد والشورى، خلافاً لما كان عليه الأمر خلال عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نقيلنك ولا نستقيلنك، قدمك رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم فمـن ذا يؤخرك» اهـ[1].

٧- اجتماع السقيفة يقرر مبدأ الشورى كأصل شرعي لنظام الحكـم في الإسلام.

٨- اختيار رجل الدولة بالشورى والبـيعة الحرة.

٩- شفْع الاختيارِ بالبـيعة العامة، أي: موافقة جمهور المسلمين.

١٠- خطاب رجل الدولة للمسلمين عند استلام الحكم.

مواقف الاندفاع والانفعال:

١- ما تخرص به الآخرون حول عقد البـيعة لأبـي بكر رضي الله عنه مع غياب الإمام علي رضي الله عنه عن السقيفة، وكان مستخلياً بنفسه قد استفزه الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومشغولا بحال فاطمة رضي الله عنها وأهل بـيتها، وهذا تحول طرأ عليه بسبب انتقال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم، ولكنه اتخذ بعد ذلك موقفاً ودخل فيما دخل فيه الناس، وبايع أبابكر على ملأ من الأشهاد، ولم يشذ أو يخالف أو يعلن تمردا أو طلبا بخلافة، وهذا هـو موقف الاقتداء والاهتداء.

٢- ما نسب لسعد بن عبادة من مجانبته البـيعة ومخالفته لأبـي بكـر وعمر، ومما يخالف علمه ومقامه، كما أنه لم يصح ما ورد في بعض المراجع أنـه بعد بـيعة أبـي بكر كان لا يصلي لصلاتهم ولا يفيض الحج بإفاضتهم.اهـ[2].

---

(١) ورد في رواية أخرى قول الإمام علي: «لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لديننا، ألا نرضاك لدنيانا ؟».اهـ. قال الباقلاني: يعني بذلك حـين قدمه للإمامة في الصلاة واستنابته في الحج. راجع «رفع الضيق» ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق.

٣- وما روجه البعض أن الطمع في الرئاسة سبب الانشغال بالخلافة عن دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- ما يقال من أن حديث «الأئمة من قريش» [(١)] شعار رفعته قريش لاستلاب الخلافة من الأنصار وأنه مجرد رأي لأبي بكر وليس حديثاً، وهذا القول من نوع التشويش والتشويه الذي يحلو لبعض العناصر المستفيدة من منهج التشويش والتشويه.

وبويع الصديق بالخلافةْ في فَلتةٍ أبعدتِ المَخافةْ

إشارة إلى اجتماع كلمة الأمة على خلافة سيدنا أبي بكر الصديق بدايةً من السقيفة ثم البيعة العامة، دون مخالفة أحد.. وقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً على أحقية أبي بكر الصديق بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفضله وسابقته ولتقديم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياه في الصلوات ولم يتخلف منهم أحد.

وقد وردت بعض الآثار التي أشارت إلى تخلف الزبير والإمام علي عن مبايعة الصديق كما أسلفنا، ولكن تلك الأخبار مردودة بما ورد عن مبايعتهما في اليوم الثاني لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال أبو سعيد الخدري: لما صعد أبوبكر المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير الزبير بن العوام فدعا بالزبير فجاء، فقال له أبوبكر: يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحواريه أتريد أن تشق عصا المسلمين؟ فقال الزبير: لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله، فقام الزبير فبايع أبا بكر، ثم نظر أبوبكر في وجوه القوم فلم ير علي بن أبي طالب فدعا بعلي فجاء، فقال له أبوبكر: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) حديث «الأئمة من قريش» ورد في الصحيحين وغيرها بألفاظ متعددة. راجع ص٢٥ / رفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وختنه على ابنته، أتريد أن تشق عصا المسلمين؟ فقال علي: لا تثريب عليك يـا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقام علي فبايع أبا بكر. اهـ[(١)].

وقد سأل عمرو من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، فقال له: أشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم، قال: حتى بويع أبـوبكر، قـال: سعيد يوم مات رسول الله كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعـة، قال: هل خالف أحد أبا بكر؟ قال سعيد: لم يخالفه إلا مرتد أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار فجمعهم عليه فبايعوه، قال: هل قعد أحد من المهـاجرين عـن بـيعته، قال سعيد: لا، لقد تتابع المهاجرين على بـيعته. اهـ.

وبرزت مواقف الإمام علي منذ بـيعته فلم يفارق الصـديق في وقـت مـن الأوقات، ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكـان يشـاركه المشـورة وتدبـير أمور المسلمين.اهـ[(٢)].

---

(١) رفع الضيق سير الصديق ص١٦٨-١٦٩.

(٢) الخلفاء الراشدون، للخالدي – ص٥٦/ راجع رفع الضيق ص١٦٩.

التَّحَولاتُ في مَرْحَلَةِ الصّدِّيقِ

الأولُ الإجماعُ بالخلافةِ إذ بايعوه دونَ أي آفةِ
وقام بالأمرِ وكان أهلَه والأمر شورى كلهم يجلُّه

يشير الناظم إلى أول مراحل الدولة الإسلامية تحت ظل الخلافة الراشدة، ويشير إلى أول إيجابيات التحول بالإجماع التام على خلافة الصديق وقيامه بالمسؤولية على أفضل الأحوال مجسداً مبدأ الشورى في حياة المسلمين.

إنْفَاذُ جَيْشِ أُسَامَةْ

وأنفذَ الصديق للجهادِ أسامةً والجيش باجتهادِ
إذْ كانَ رأي البعض ألاّ يرسِله لمّا يدور من جديدِ المرحلةْ
وكانَ في إرسالِهِ درءُ الخَطَر ومظهر الثباتِ والأمر استقر

كان من أول مهمات خليفة رسول الله في مسؤولياته المناطة بالتحول المفاجئ لموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنفيذ ما كان صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى به، حيث تم تجهيز جيش أسامة قبيل موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيومين فقط، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة رضي الله عنه، فقال: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش»، وظل الجيش معسكر بالجرف حتى وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجعوا إلى المدينة وتغيرت الأحوال بانتقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إلى ربه، حتى كانت عائشة الصديقة تصف الحالة بقولها: «لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتدت العرب قاطبة، واشرأب النفاق، والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كأنهم معزى مطيرة في حشٍ في ليلة مطيرة بأرض مسبعة».

وفي اليوم الثالث من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الصديق المنادي أن ينادي ليتم بعث أسامة «ألا لا يبقين بالمدينةِ أحد من جندِ أُسامة إلاّ خرج إلى عسكرِهِ بالجُرف».

واقترح بعض الصحابة بأن يبقى الجيش، وقالوا: إن هؤلاء جل المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين.

وأرسل أسامة من معسكره بالجرف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما إلى أبي بكر يستأذنه في أن يرجع بالناس، وقال: إن معي وجوه المسلمين وجلتهم ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون.

ولكن أبابكر أصر على استمرار تسيير جيش أسامة مهما كانت الظروف والأحوال، واجتمع الصحابة للتشاور في الأمر، واعترض ابن الخطاب على تسيير الجيش مبدياً أسباباً هامة وخطيرة تقتضي ذلك، فلم يكن من سيدنا أبي بكر إلا أن جمعهم مرةً أخرى، وقال: «والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته».

ففعل ذلك وأثبتت الأيام سلامة رأيه وصوب قراره، ثم قال لأسامة بعد أن جهزه للسفر «إذا رأيت أن تعينني بعمر فافعل فأذن له» وبقي عمر رضي الله عنه مع أبي بكر.

مَوَاقِفُ أَهْلِ الرِّدَّةِ نَمُوذَجٌ في التَّحَوُّلات

وارتـد أعـراب مـن الجزيـرة ورفضــوا العــودةَ للحضــيرة
فاتخـذَ الصـديق منـهم موقفـا ولم يهادِن أو يسـاوم مـن جفـا
حـارب م علـى الزكـاة والـولا حتى وإنْ صلوا وصـاموا في الملا
وحسم الأمـر بـذا الاجتـهاد ورسخ الإسـلام في كُـل بـلاد

يشير النظم إلى مظهر من مظاهر التحولات التي طرأت على مرحلة الخلافة عند انتقال الأمر من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عهد أبـي بكـر، ومن ذلك ما ذكر من ردة بعض القبائل العربـية، وقد ذكرت بعض المصادر أن انتقال الأمر من مرحلة إلى مرحلة بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفرز تحولاً في حياة العرب.

فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلاً وعاد إلى الوثنية وعبادة الأصنام، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من دعا إلى ترك الصلاة، ومنهم من بقي يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة ؛ ولكنه امتنع عن أداء زكاته، ومنهم من تحير وتردد وانتظر على من تكون الدائرة.

ولمّا كانت الردة سمع أبوبكر الصديق وجهات نظر الصحابة في شأن حـربـهم، فلما سمع وجهات النظر اتخذ القرار، لقد كان أبوبكر الصديق أنفذ القوم بصيرة في هذا الشأن، إذ فهم أن الزكاة لا تنفصل عن الشهادتين، وأنّ (لا إله إلا الله) بغـير

زكاة لا وزن لها في حياة الشعوب، وأن السيف يشرع دفاعاً عن أدائها كما يشرع دفاعاً عن (لا إله إلا الله)[1].

وبعد أن عمل الصديق على إعداد جيوش الإسلام لمحاربة المرتدين كتب لهم كتاباً عاماً أرسله قبل تسيير جيوش يتضمن ما يلي:

١- بيان أساس مطالبة المرتدين بالعودة إلى الإسلام.

٢- بيان عاقبة الإصرار على الردة.

٣- بيان أن العبد لا يعبد محمداً وإنما يعبد الحي الذي لا يموت، ولا عذر لمرتد.

٤- من رجع إلى الإسلام وأقر بضلاله وكف عن قتال المسلمين وعمل صالحاً فهو من مجتمع المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

٥- من يأبى الرجوع إلى صف المسلمين لا مفر من حربه ولن يعجز الله بأية حال.

وهكذا بعث الصديق قادة الجيوش إلى حيث كان مجمع القبائل المرتدة:

١- جيش خالد بن الوليد إلى بني أسد ثم إلى تميم ثم إلى اليمامة.

٢- جيش عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة في بني حنيفة ثم إلى عمان والمهرة فحضرموت فاليمن.

٣- جيش شرحبيل بن حسنة إلى اليمامة في أثر عكرمة ثم حضرموت.

٤- جيش طريف بن حاجر إلى بني سليم من هوازن.

٥- جيش عمرو بن العاص إلى قضاعة.

٦- جيش خالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام.

---

(١) «رفع الضيق» بتصرف ص٢٠٠ - ٢٠١.

٧- جيش العلاء بن الحضرمي إلى البحرين.

٨- جيش حذيفة بن محصن الغلفاني إلى عمان.

٩- جيش عرفجه بن هرثمة إلى المهرة.

١٠- جيش المهاجر بن أبـي أمية إلى اليمن (صنعاء ثم حضرموت).

١١- جيش سويد بن مقرن إلى امة اليمن. [١]

---

(١) المصدر السابق ص٢١٠ - ٢١١.

مَوْقِفُ أبـي بكرٍ واتخّاذُ قَرَارِ جمَعِ القُرْآنِ

وِمن عظِـيمِ موقِـفِ الصـديق تجمِيعــه للمصــحفِ الوثيــق
لمّا رأى القتلَ ـم قَـدِ اسـتحر من عصبةِ القـرآن سـبعين نفَـر
في أرض نجــدٍ شــهداءَ الــدين يحيـونَ بـالموتِ عـرى الـيقِينِ
فاستنطِق الحُفّاظُ عن آيِ القُـرآن عبـر الِثقـاتِ نقْلوهــا بأمــان

تشير الأبـيات إلى أحد مواقف الصديق رضي الله عنه عندما برزت علامـات التحول في شأن القراء حملة القرآن، فقد ثبت أن سبعين منهم قتلـوا في معركـة اليمامة خلال حروب الردة، فرأى الصديق خطورة الأمر وأن القرآن يحتـاج إلى حفظ وجمع خوفاً من ذهابه بذهاب القراء، فاستشار كبار الصـحابة في ذلـك فوافقه الأغلب إلا عبدالله بن مسعود ونفر معه؛ ولكن الصديق اتخذ الموقف وندب للجمع المبارك جملة من الصحابة تحت إمرة زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وقد اختلف الباحثون والعلماء حول مسألة كتابة القرآن، هل كـان القـرآن مكتوبا على صفة المصحف من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم كان مفرقاً في الأوراق والجلود والعظام ؟ ثم جمع على عهد أبـي بكر الصديق علـى صفة المصحف، وقد كتب في هذا الباب أستاذنا العلامة محمد بن أحمد الشاطري رسالة عن جمع المصاحف أثبت فيها وجود القرآن مكتوباً ومجموعاً منـذ عهـد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لم يمت عليه الصلاة والسلام إلا وقـد جمع المصحف بـين الدفتين كتابةً وتحقيقاً، وقد نشرت.

اِسْتِعْداداتُ الصّدّيقِ لِمَرْحَلَةِ التَّحَوُّلِ مِن بَعْدِهِ

لمّا رأى الصديق قُرب أجلهِ بمرض المَوتِ وقَطع عملهِ
أدار شأنَ الأمر بالتدبر ووضع ما يرجوه بالتفكّر
فاستخلف الفاروق واستشارا صحابةَ النبي فيما دارا
وبويع الفاروق قبل موتهِ وأجمعوا عليه في إمرتهِ

تشير الأبيات إلى استمرار مواقف الصديق الإيجابية طيلة خلافته وحتى مرض موته، ولما ثقل به المرض جمع الناس إليه واستشارهم في شأن الخلافة فأعادوا إليه الأمر ولم يخالف أحد إلا أبا طلحة الذي قال له في شأن استخلاف الفاروق: ما أنت قائل لربك إذا سألك استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبوبكر: أجلِسوني.. أبالله تخوفوني؟ خاب من تزود من أمركم بظُلمٍ! أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، ثم نبه من يرى غلظة عمر، فقال: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه[1]، ثم كتب عهداً باستخلاف عمر وأمر بقراءته على الناس في كافة الأمصار، وقُرئ في المدينة، ثم اختلى بابن الخطاب وأوصاه بالمسلمين خيراً، ودعا الناس إلى بيعته فبايعوه بالإجماع.

ولما حضرته الوفاة لم يفته أن يتخذ موقفاً هاماً في بيته، فقد كانت عائشة رضي الله عنها تعوده وتستشهد بقول القائل:

لَعمرك ما يغني الثّراءُ من الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

(١) المصدر السابق ص٣٩٢.

فنظر إليها كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المـؤمنين، ولكـن قـول الله أصدق: وجاءت سكرت الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيـد ثم قـال يـا عائشة: إنه ليس أحد من أهلي أحب إليّ منك، وقد كنت نحلتك حائطـاً وإن في نفسي منه شيئاً، فرديه إلى الميراث، قالت: نعم، فأرجعته رضي الله عنها.اهـ[1].

ومات رحمه الله تعالى ورضي الله عنه يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جماد الآخر سنة ١٣ للهجرة بعد أن مرض خمسة عشر يوماً[2].

وقد أبرز الصديق أمام التحولات مواقف جديرة بالإجلال، ومنها:

١) الموقف من حيرة الصحابة حول موت رسول الله.

٢) الموقف من قضية السقيفة وإقناع الأنصار.

٣) الموقف من بعث أسامة والإصرار على انفاذه.

٤) الموقف من محاربة أهل الردة.

٥) الموقف من مسألة الخلاف حول جمع القرآن.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٦-٣٩٧.

عصر عمر بن الخطاب

(عصر غلق الفتنة)

مَظْهَرُ التَّحَوُّلاتِ وبِناءُ المَوَاقِفِ على عَهْدِ الخَلِيفَةِ الثَّانِي [1]

وكــانَ عهــد عمــر الفــاروق عهــد البِنــاءِ وذُرى التطْبــيق

أقــام أركــانَ النظــامِ العــالمِي ونفــذَ الأحكــام في المَحــاكِمِ

عنوان الموضوع يشير إلى ما حصل من تحولات خلال عصر الفاروق، وما نشـأ عنها من مواقف، وهي كثيرة جداً.

أشار الناظم إلى هذه المرحلة بصاحبها المستخلَف سيدنا عمر الفاروق، الـذي تولى الخلافة بترشيح من سيدنا أبـي بكر الصديق وإجماع الصحابة على ذلـك فحسم بذلك أسباب الخلاف.

ويعد هذا العصر الذي تولى فيه الفاروق سدة الحكم من أزهى عصور الإسـلام وأكثرها امتداداً وحركة بل يعده البعض عهد تأسيس دولة المؤسسـات والنظـام الإداري والعسكري والاقتصادي، قال فيه ابن مسعود: «كان إسلام عمر فتحـاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمةً».

---

(١) هو ابن حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أول من سمي بأمير المؤمنين، وكناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبـي حفص لما رأى فيه من الشدة والبأس، والحفص لغة الأسد، ولقبه الرسول بالفاروق؛ لأنه كان يفرق بـين الحق والباطل، أسلم بمكة، وهو أول من جهر بالإسلام، وفرح المسلمون بإسلامه، بشره النبـي بالجنة وشهد له بأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه، وأن الشيطان يفر منه، عاش ثلاثاً وستين، واستمرت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمسة ليال، ولي الخلافة في جماد الآخر سنة ١٣ للهجرة يوم الثلاثاء.

كان هو صاحب المواقف أمام مظاهر عصره ومسؤوليات خلافته، فهو أول من كتب التاريخ الهجري في شهر ربيع الأول سنة سبعة عشر فكتبه من هجرة النبي من مكة إلى المدينة بمشورة الإمام علي بن أبي طالب، وكان هو أول من جمع الناس على صلاة التراويح بإمامة أبي بن كعب، وهو أول من عس بالمدينة، وحمل الدرة وأدب ا، وهو أول من فتح الفتوح، وهو أول من مصر الأمصار، وهو أول من وضع القضاة ا، وهو أول من دون الدواوين، وهو أول من حرك أساطيل السفن بالأرزاق والحبوب من مصر إلى البحر الأحمر والمدينة، وهو الذي أخرج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام.

ولمن أراد استزادة في شأن مواقفه فليراجع أمهات التاريخ والسير.

وكانَ باباً ضِد كُل الفِتن وسنداً للعدل دونَ وهن

يشير الناظم إلى علاقة الفاروق بمجموع الفتن، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شبهه بالباب الفاصل بين التحولات ووقوعها لحديث «هذا غلق الفتنة»، وأشار صلى الله عليه وآله وسلم بيده إلى عمر، وقال: «لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم» أخرجه البزار عن قُدامة ابن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون.

وفي صحيح البخاري أن عمر سأل حذيفة رضي الله عنهما عن الفتنة التي تموج كموج البحر، فقال يا أمير المؤمنين: «لا بأس عليك منها إن بينك وبينها باباً مغلقاً»، قال: «أيفتح أو يكسر»، قال: «لا بل يكسر»، قال: «ذاك أحرى أن لا يغلق» وفيه أن الباب هو عمر رضي الله عنه.

وروى الطبراني بسند رجاله ثقات أن أبا ذر لقي عمر رضي الله عنه فأخذ عمر بـيده فغمزها، فقال له أبو ذر: أرسِلْ يدي يا قُفْلَ الفتنة... الحديث، وفيه أن أبا ذر قال: لا تصيبكم فتنة ما دام فيكم هذا، وأشار إلى عمر. اهـ[1].

وكان عمر رضي الله عنه أيضاً كما أشار الناظم «**سنداً للعـدل دونَ وهـن**» وحكاياته في هذا الشأن وأخباره لا تخفى رضي الله عنه وأرضاه.

وقد روي أنه يوم استخلف قال: «اللهم إني شديد فليني وإني ضعيف فقـوني، وإني بخيل فسخني»[2].

وخطب في الناس فقال: أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بـي، وخلّفت فيكم بعد صاحبـي، ن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة، فمن يحسن نـزده حسناً ومن يسئ نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم.

ومن مثل ذلك ما ذكر أنه وفد على عمر رضي الله عنه الربـيع بـن زيـاد الحارثي فأعجبته هيئته ونحوه فشكا عمر طعاماً غليظاً أكله، فقال الربـيع: يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بطعام لين ومركب لين وملبس لين لأنـت، فرفـع عمـر جريدة معه فضرب ا رأسه، وقال: أما والله ما أراك أردت ا الله وما أردت ا إلا مقاربتي.. هل تدري ما مثلي ومثل هؤلاء؟ قال: وما مثلك ومثلهم؟ قال: مثل قوم سافروا فدفعوا نفقا م إلى رجل منهم، فقالوا له: أنفق علينا، فهل يحل لـه أن يستأثر منها بشيء؟ قال: لا يا أمير المؤمنين.

ثم قال عمر للربـيع: إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم وليشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم؛ ولكني استعملهم ليعلموكم كتاب ربكـم وسـنة نبـيكم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي، ليرفعها إليّ حتى أقصه منـه،

---

(١) «الإشاعة» ص٥.

(٢) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص١٢٤.

فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إن أدب أمير رجلاً من رعيته أتقتص منه؟ فقال عمر: ومالي لا أقتص منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقص من نفسه ؟[1].

قال الناظم:

وعِنده عِلمٌ بِسِر ما يقَع ۞ وما يكُونُ مِن مصِير المُجتمع

إشارةٌ في البيت إلى ما يعرفه سيدنا عمر من سر التحولات وحقيقة شأن رجالها، وما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم في تقلبات المراحل، وقد أكدت الأحاديث الشريفة أنه رضي الله عنه «ملْهم ومحدثٌ»، أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر»[2]

قال الناظم:

ويستشِير في شؤون المَرحلةْ ۞ كُل إمامٍ عارفٍ بالمَسألةْ

كَمِثل بابِ العِلمِ منطُوق الزمانْ ۞ أو صاحِبِ السِر حذَيفَةَ اليمانْ

كمِثْل عزل حاكِمٍ منافِق ۞ وتركِهِ جنازةً لمَارِق

يشير الناظم إلى استشارة عمر لمجموعة من الصحابة حوله ممن يعلم عدل رأيهم وسلامة مشورتهم وعمق فقههم بعلامات الساعة، ويأتي في مقدمتهم سيدنا الإمام علي بن أبي طالب الذي كان مستشاراً ناصحاً له ولمن كان قبله سيدنا أبي بكر الصديق، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يستعيذ من معضلة ليس لها أبو

---

(١) «الفاروق عمر بن الخطاب» لمحمد رضا ص٣١ - ٣٢.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٠٩

الحسن، أي علي بن أبـي طالب[1]. وكان الإمام علي يقول عند موت عمـر: «والله ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك يا عمر [2]».

ومن ذلك ما روي أن بنات ملك الفرس أراد عمر أن يبيعهن كـالجواري ويضع ثمنهن في بـيت المال وأعطاهن للدلال ينادي عليهن بالسـوق فكشـف الدلال عن وجه إحداهن فلطمته لطمة شديدة، فصاح الرجل (واعمراه) وشكا إليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالعصا، فقال علي رضي الله عنه: يـا أمـير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «أكرموا عزيـز قـوم ذل، وغني قوم افتقر» إن بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن، فقوموهن وكـن ثلاثـاً فأعطاه أثمانهن ووهبهن واحدة لمحمد بن أبـي بكر والثانية لعبدالله بن عمر والثالثة لابنه الحسن[3].

قال الشرقاوي في كتابه «إمام المتقين» استطاع علي بحسن المشـورة لعمـر أن يخفف من شدته، وأن يشد أزره في وجه أصحاب المطامع الذي أغـراهم الغـنى المفاجئ واطمأن عمر واتخذ علي بن أبـي طالب صديقاً على الرغم من أن عليـاً أصغر منه بنحو عشرين عاماً.اهـ.

وكان ممن يستشيرهم عمر رضي الله عنه في مرحلة خلافته حذيفة بن اليمان «**أو صاحب السر حذيفة اليمان**» [4].

---

(١) ص١٨ – إمام المتقين، الشرقاوي.

(٢)ص٢١ – إمام المتقين، الشرقاوي.

(٣) «إمام المتقين» ص ٩٨.

(٤) هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن ربـيعة بن مرة...إلخ نسبه من بني عبس المعـروف باليماني العبسي، أسلم حذيفة وأبوه أرادوا شهود بدر فصدهم المشركون وشهدا أحـداً فاستشهد اليمان بها، وروى حذيفة عن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير، استعمله

وقد ورد أن أمير المؤمنين كان يستشيره في بعض أمور الناس وخاصة في شـأن علامات المنافقين، ومنها: ما روي عن حميد بن هلال، قال: أُتى عمر بن الخطاب برجل يصلي عليه فدعا بوضوء ليصلي عليه وعنده حذيفة فمـرزه - أي قرصـه بإصابعه لئلا يصلي عليه - مرزة شديدة، قال عمر: "فصلوا على صاحبكم" مـن غير أن يخبرهم، قال عمر: «يا حذيفة أمنهم أنا؟ قال: لا، قال: ففي عمالي أحـد منهم ؟ قال: رجل واحد، وكأنما دل عليه حتى نـزعه من غير أن يخبره».اهـ[1].

وعِلمه بالبـابِ كَيـف ينكَسِـر إذْ دبر القَتـلَ المَجوسِـي الأَشِـر

عمر على المدائن فلم يزل ا حتى مات بعد مقتل عثمان وبعد بـيعة علي رضي الله عنه بأربعين يوماً سنة ٣٦هـ، وكان حذيفة يقول عن علم بفقه التحولات: لقـد حـدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان وما يكـون حـتى تقـوم السـاعة، وفي الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غـيره؟ يعني حذيفة.

وروى ابن سعد عن محمد بن سيرين قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عـاملاً كتب في عهده أن اسمعوا له وأطيعوا ما عدل عليكم فلما استعمل حذيفة على المـدائن كتب في عهده أن اسمعوا وأطيعوا وأعطوه ما سألكم فخرج حذيفة. وروى البخـاري ومسلم وأبو داود من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: لقد خطبنا النبـي صلى الله عليه وآله وسلم خطبة ما ترك فيها شيئاً من مقام الساعة إلا ذكره علمه مـن علمه وجهله من جهله، إن كنت لا أرى الشيء قد نسيت فأراه فأذكره كمـا يـذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه.

(١) «كنـز العمال» (١٣: ٣٤٤).

إشارة إلى أن سيدنا عمر رضي الله عنه لديه علم بشأن الفتنة من بعده، وأنه قد علم أن الرسول سماه «الباب»، وأنه يكسر أي يقتل، وكان قتله على يـد أبـي لؤلؤة ا وسي[1].

قال في «الإشاعة»: وحاصل معنى الأحاديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم شـبه مدة حياة عمر رضي الله عنه بحصن منيع فيه أهل الإسلام، وشبه شـخص عمـر بباب ذلك الحصن، وفهم عمر وسأل حذيفة: أيموت أم يقتل؟ فأخبره أنه يقتـل، فقال: ذلك أحرى أن لا يغلق، فإن الباب إذا كان موجوداً يمكن غلقه بعد الفـتح بخلاف ما إذا انكسر، وإنما كان هو الباب دون عثمان لأن وجود الباب يمنع مـن

(١) أبو لؤلؤة ا وسي غلام كان بالكوفة، طلب المغيرة بن شعبة من عمر أمير المـؤمنين أن يأذن له في دخول المدينة المنورة لما عنده من صنعة فيها منافع للناس فكتب إليه عمر رضي الله عنه، فأذن له أن يرسل به، وكان كافراً مجوسياً فلما وصل إلى المدينة طلب من أمير المؤمنين أن يرفع عنه شدة الخراج، فقال عمر رضي الله عنه: خراجك ليس بكثير في كفة عملك فانصرف ساخطاً يتذمر.

وفي رواية قال له عمر: وما عملك؟ قال: الأرحاء، فقال له عمر ألا تجعل لنا يرحى؟ فقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس ا فلما ولى، قال عمر: أوعدني العبد آنفاً، وفي رواية أنه قال: يكفينا الله قد علمت أنه يريد بكلمته غدراً، وأعد ا وسي عـدة القتـل فاصطنع خنجراً له رأسان وشحذه وسمه، ثم أتى به إلى الهرمزان (وكان حينها بالمدينة) وقال له: كيف ترى هذا الآن ؟ قال أرى أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته فتحين أبـو لؤلؤة حتى جاء في صلاة الفجر وعمر رضي الله عنه يوقظ الناس للصلاة حتى إذا أقيمت الصلاة، ويقول: أقيموا صفوفكم وكبر فطعنه أبو لؤلؤة ثلاث طعنات واحدة في كتفـه وأخرى في خاصرته والثالثة تحت سرته وقد خرقت الصفاق، وهي التي قتلته، وطعن معه ثلاثة عشر رجلاً وهلك منهم سبعة ورمى رجل على رأسه ببرنس فانتحر أبـو لؤلـؤة بخنجره.

دخول العدو الحصن، وإن الفتنة لم تظهر في حياة عمر رضي الله عنه لأن وجوده كان باباً مانعاً من ظهورها، وإنما ظهرت في حياة عثمان [١].

واستفْحلَ الأمـر ـذا وانفَـتح باب خطِـير في المَصِـير ورجـح

إشارةٌ إلى انطلاق الفتنة بعد كسر الباب كما هو مقرر في الأحاديث السـابقة، وكانت مواقف الفاروق مع هذا التحول الخطير أن سأل الناس بعد أن أفاق مـن غشيته وقال: هل صلى الناس ؟ قالوا: نعم، فقال: لا إسلام لمن تـرك الصـلاة، وكان قبل ذلك عندما طعن قال: قولوا لعبدالرحمن بن عوف فليصل بالناس.

ودعا رضي الله عنه بوضوء فتوضأ ثم صلى، وقال: من قتلني؟ قالوا: أبو لؤلـؤة ا ـوسي غلام المغيرة بن شعبة، فقال: الحمد الله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عنـد الله بسجدة سجدها له قط، ما كانت العرب لتقتلني، أنا أحب إليها من ذلك.

ودعا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعـل الأمـر شـورى بـينهم وألزمهم التشاور ثلاثة أيام، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس.

فلما قبض عمر، قال ابن عباس: خرجنا به إلى حجرة عائشة ودخل عبدالله بـن عمر، وقال: يستأذن عمر ابن الخطاب، قالت: أدخلوه فأدخلوه مع صاحبـيه[٢].

وبعد دفنه اجتمع أهل الشورى[٣] وتداولوا الأمر حتى استقر إلى عثمان رضـي الله عنه.

---

(١) ((الإشاعة)) ص٣٣.

(٢) كان ابن الخطاب قد طلب من عائشة وهو في مرض موته أن يدفن بجـوار صاحبـيه فأذنت إلا أنه طلب منهم التثبت بعد موته.

(٣) هم الذين اختارهم عمر الفاروق بعد إصابته، وهم: عثمان وعلي وطلحـة والزبـير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبـي وقاص، وجعل عبدالله بن عمر معهم مشيراً وليس منهم.

(أول الفتن)

(أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال.. والذي نفسي بيده مامن رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره)

«الإشاعة» ص ٣٩

مَظْهَرُ التَّحَوُّلاتِ والمواقف في عَهْدِ سَيِّدِنا عُثْمَان τ(١)

وجـاءَ عثْمـانُ يقِـيم الأمـرا ويرقَـع الخَـرق فـزاد شِـبرا

هذه الأبيات خاصة بمظهر التحولات على عهد سيدنا عثمان مبتدأً بخلافته رضي الله عنه، فقد كانت وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه متأثرا بجراحه تحولاً خطيراً في سلسلة الحكم والعلم واجتمع أهل الشورى الذين عينهم عمر رضي الله عنه فنظروا في الخلافة في بعده واختاروا بعد طول مداولة عثمان ابن عفان.

قال ابن عباس: لما فرغ من دفن عمر بن الخطاب اجتمع هؤلاء الرهط -يعني أهل الشورى- فقال عبدالرحمن بن عوف اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبدالرحمن، فقال: عبدالرحمن أيكم تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه فسكت عثمان وعلي، فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إليّ، قالوا: نعم، فأخذ بيد علي فقال: لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرت لتعدلن ولئن أمرت عثمان

---

(١) هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف، ويرتفع نسبه إلى لؤي بن غالب، ولد في السنة السادسة من عام الفيل، وأسلم قديماً بمكة المكرمة، وكان الصديق سبباً في إسلامه، هاجر الهجرتين وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تزوج بأم كلثوم، ولذلك سمي ذا النورين، وهو من السابقين الأولين وأحد العشر المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي عنهم رسول الله وهو راض، روى عن رسول الله مئة حديث.

لتسمعن ولتطيعن، قال: نعم، ثم خلا بعثمان، وقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثـاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي رضي الله عنه، ثم ولج أهل الـدار فبايعوه. اهـ[1].

وكانت مبايعته رضي الله عنه بعد دفن عمر رضي الله عنه بثلاث ليال، ومنذ أن ولي الخلافة قام فيهم بأمر الله وجيش الجيوش للفتوحات، ففي السنة التي ولي فيها فتحت الري وفتح في الروم حصون كثيرة.

وأول ما نقم عليه رضي الله عنه لما ولى الكوفة الوليد بن أبـي معـط وعـزل سعد بن أبـي وقاص.

وكان هذا العزل لسعد بداية التحول في علاقة الخليفة بالرأي العام وخاصة أنـه حكي أن الوليد صلى م الصبح أربعاً وهو سكران ثم التفـت إلـيهم فقـال: أزيدكم؟!

وخلال السنوات المتلاحقة أقام الخليفة عثمان عدداً من المنجزات الهامة، كغزوة قبرص ثم الأندلس.

وزاد عثمان في مسجد الرسول ووسعه، وفي سنة ثلاثين فتحت بلاد كـثيرة في خراسان وفتحت نيسابور صلحاً وكذا مرو بـيهق.

وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة منها سنين لم ينقم عليه أحد[2] إلا أنه بعد ذلك استعمل جملة من أقربائه وأهل بـيته ووصلت إليه شكايات الناس ببعضهم فكان يكتفي بعتا م ولم يعزلهم.

قال الناظم:

---

(١) ((الإشاعة)) ص٣٧.

(٢) ((تاريخ الخلفاء)) ص١٤٥-١٤٦.

إذْ كشرت مسببات الفِتن   أنيابها وهاج بحر الإحن
وجاءَ جِيلٌ لمْ يعِش عصر الهُدى   ومطلع الإيمان في أرض الندى
بل ورثَ الإسلام في الآباءِ   وخاض هم الأمر بالغلواءِ

يشير الناظم إلى ما جرى من سير الفتنة في أخريات عهد سيدنا عثمان، فقد ذكر المؤرخون أن مجريات التحولات التي عكستها سلوكيات بعض أقرباء سيدنا عثمان جعلت الناقمين يتخذون المواقف حيالها.

فجاء أهل مصر إلى عثمان يشتكون في عبدالله بن أبي سرح، فكتب عثمان إليه كتاباً يهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما اه عنه عثمان وضرب بعض من شكاه من أهل مصر حتى قتله، فخر من أهل مصر سبعمئة فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة ما صنع ابن أبي سرح، فذهب جماعة منهم إلى عثمان ومنهم علي بن أبي طالب، فقال لهم: اختاروا رجلاً أوليه عليكم، فأشار الناس على محمد ابن أبي بكر الصديق فكتب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما هم إليه، وفي الطريق إذا هم بغلام على بعير يخبط به خبطاً كأنه يطلب أو مطلوب فسألوه، فقال: إن غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر، فقيل له: هذا أمير مصر، فقال: ليس هذا أريد، فقال له محمد بن أبي بكر: غلام من أنت؟ فمرة يقول: غلام أمير المؤمنين، ومرة يقول: غلام مروان، ففتشوه فإذا معه كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد بن أبي بكر من كان عنده من المهاجرين والأنصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه «إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إلي بتظلم منك».

فلما قرؤوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة وأظهروا ذلك للناس، فاشتد حنقهم، وذهب علي رضي الله عنه بالكتاب والغلام إلى عثمان، فنفى عثمان أنه

بعث بالكتاب، وقال: لا أمرت به ولا علم لي به، قال علي: فالخاتم خاتمك، قال: نعم، قال كيف خرج الغلام ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك ولا تعلم، فحلف عثمان ما بعثت به ولا كتبت الكتاب ولا علم لي به.

وأما الخط فعرفوه أنه خط مروان وسألوه أن يدفع إليهم مروان، فأبى ومـروان عنده في الدار، فخرج القوم غضبى وحوصر عثمان ومنعوه الماء وذهب الصـحابة إلى بـيو م معتبـين، ومكث بعضهم على باب عثمان لحراسته، وتسور جماعـة الدار على عثمان، ولم يكن معه إلا امرأته، فدخل القوم عليه وقتلوه[1].

وكان قتله في أوسط أيام التشريق من سنة ٣٥ وقيل يوم الجمعة لثمـان عشـر خلت من ذي الحجة، ودفن ليلة السبت واختلف في تحديد وفاته[2].

---

(١) «تاريخ الخلفاء» ص١٤١-١٥٠.

(٢) ومن البديهي أن موقف عثمان كان موقفا سليما في كل الأقوال وإن اقتضـى الخطـأ الناشئ عن مروان بن الحكم ما اقتضاه من تعصب وفتنة، فرجل الدولة والخلافة لا يمكن أن يفتح باب الإثارة على موقع القرار رد اتخاذ الناس موقفا معينا، ولعل عثمان τ يريد أن يملي لمروان ويجمع خيوط مؤامرته لو تركه الثائرون دون ضعف ولا تحـد، وكـأني بالاندفاع الناجم عن الموقف المذكور قد أخرج القوم عن طور الاعتدال في المطالبة كما لم يجد لدى الخليفة منفذا يجاملهم به، بل كان موقفه السياسي سلبـيا، مما يؤكد بعـد نظره في معالجة المسألة، وهذا هو الشأن نفسه بعد ذلك في قضية الإمام علي كـرم الله وجهه وτ ومعاوية.

وبعد نظر الامام في شأن قتلة عثمان وأخذهم بعد جمع خيوط المـؤامرة، لم يقبلـه معاوية بل وقف ومعه عدد من كبار الصحابة بنفس الاندفاع الذي أدى في عهد عثمان إلى قتله، وهذا ما يعبر عنه بالفتنة، حيث أنصف النبـي ρ عثمان في موقفه وأشار إليه محددا موقف الضاغطين عليه بأ م منافقون، وفي هذا البـيان النبوي ملحظ هام جدا في تقييم سلوك المطالبـين عثمان بالخلع، وإن كانت عقلانية المواقف تفيد سلامة مطالـب

وقد أشار الناظم إلى هياج الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه، إذ كان وقودها سلوك جيل لم يعش العصر الأول عصر الرسالة، بل ورث الإسلام عن طريق الآباء، فكان من السهل على هذه الأجيال أن تتجرأ على أحد المبشرين بالجنة، وقد أشارت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه المرحلة وما يدور فيها، وأنها لا تقف عند مسألة الصراع على الإمارة، وإنما لها أبعاد أخرى، فقد ورد في الحديث عن الزبير رضي الله عنه أنه قال: «قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح رجلاً من قريش صبراً ثم قال: «لا يقتل من قريش بعد هذا اليوم صبراً إلا رجل قتل عثمان بن عفان فاقتلوه، فإلا تفعلوا تقتلوا قَتلَ الشاء» رواه البزار والطبراني.

إذن فمقتل عثمان تحولٌ أخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم، ويجب أن يتخذ فيه موقف، وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أطل على فتنة عهد عثمان وامتحان الولاء فيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال وعثمان رضي الله عنه محصور[1]: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنها ستكون فتنة واختلاف أو اختلاف وفتنة، قال: قلنا: مرنا يا رسول الله، قال: «عليكم بالأمير وأصحابه» وأشار إلى عثمان، رواه الحاكم والبيهقي. وفي هذا الحديث يحدد الرسول المواقف قبل حصول التحولات.

الثائرين كما كانوا يعتقدون لما في أيديهم من الأدلة القاطعة.

فعقلانية الدوافع لا تقوم بشيء أمام قدسية القرار الشرعي وإن بدا صاحبه مختل التوازن في معالجة الأمور، فالمحافظة على القرار مع اختلال توازن صاحبه أعظم عند الله من انتقال القرار إلى أيدي الغوغائية ومدبري المؤامرات.

(١) أي محصور بمكة عام عمرة القضاء.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم لعثمان: «إن الله مقمصك قميصاً - أي موليك الخلافة - فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه»[1]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم: «يا عثمان إنك ستلي الخلافة بعدي، وسيريدك المنافقون على خلعهـا فلا تخلعها، وصم في ذلك اليوم تفطر عندي» رواه ابن عدي وابن عساكر [2].

وفي هذين الحديثين إشارة نبوية على امتداد الرؤيـة النفاقيـة داخـل الجسـد الاجتماعي الإسلامي، وما سيحصل من تفاقم في التحولات وما يجب أن يتخـذ معه عثمان من المواقف.

ولم تقف مسألة عثمان عند هذا الحد بل تحولت إلى قضية عالمية ينـبني عليهـا مسيرة عصر بكامله ومراحل متقلبات كثر.

فعن حذيفة رضي الله عنه، قال: «أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال» وربط النبـي صلى الله عليه وآله وسلم بـين حركة العواطف وحقائق المواقف، فيقول فيما زاد ابن عساكر: «والذي نفسي بـيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره».

إذن فمقتل عثمان كان «مرحلة» ومنعطفا عالمياً في تحـولات الأمـة ومسـيرة الانحراف نحو منطلقات المسيخ الدجال.

قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» وأخرج عن سمرة قال: إن الإسـلام كـان في حصن حصين، وإ م ثلموا في الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان لا تسد إلى يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيه».

---

(١) «الإشاعة» ص٣٩.

(٢) المصدر السابق.

وأخرج محمد بن سيرين قال: «لم تفقد الخيل البلق في المغازي والجيوش[1] حتى قتل عثمان»، وفي هذا دلالة على تحول في شأن عزة الأمة وعلاقتها بالجهاد في سبيل الله ومواقفها من عدوها العالمي.

ولم يُختلف في الأهلة حتى قتل عثمان. اهـ[2].

واشتبكت مسائلُ السياسةِ لتنتهي بفتنةِ الرئاسةِ

ونازعوا عثمانَ في سياسته وقتلوه وهو في تلاوته

ولمْ يفِد وجود أهل العقْل وسادة العلم رواة النقْل

إذْ بلغَ السيلُ إلى حد الزبى واشتد حالُ المسلمين وربا

إشارة في الأبيات إلى فتح باب النزاع السياسي قبيل مقتل سيدنا عثمان، ودخول هيشات الأسواق في تسيير دفة الصراع، وبروز العديد من مظاهر الثراء والرغبة في الرئاسة.

أخرج ابن عساكر عن حكيم بن عباد بن حنيف قال: أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى سِمن الناس. أي: ظهرت الدعة والرفاهية التي لم تؤلف من قبل.

وسال دم أحدِ الصحابةِ بسيفِ من آمن بالإضاقةِ

أي: قتل سيدنا عثمان وهو أحد صحابة رسول الله والمبشر بالجنة على يد عدد من غوغاء مصر والمدينة ممن اجتمعوا في فتنة الصراع.

وقد أشارت بعض كتب التاريخ إلى أن محمد بن أبي بكر الصديق كان مع المتسورين الدار على سيدنا عثمان، دخلوا عليه من جهة دار رجل من الأنصار

---

(١) يقصد قتال الملائكة مع المسلمين.

(٢) «تاريخ الخلفاء» ص١٥٣.

دون أن يعلم بهم أحد ممن حوله، لأنهم كانوا فوق البيوت، ولم يكن معه إلاّ امرأته، فدخل محمد بن أبي بكر الصديق وأخذ بلحية عثمان، فقال له عثمان: والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني، فتراخت يده، ودخل رجلان آخران فقتلاه وخرجا هاربين من الدار، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة حتى صعدت امرأته على الناس، وقالت: إن أمير المؤمنين قد قتل، فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً[1].

وانتحب الإمام فَوق صاحِبه ... حتى استرابوا موته بجانِبه

وقال تباً آخر الدهر لهُم ... لم يحسِنوا صنعاً فخابوا كُلهم

يشير الناظم لموقف الإمام علي أمام خطورة التحول بقتل عثمان، فقد ذكر أن علياً بعث بالحسن والحسين، وقال: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحدا يصل إليه، وخضب الحسن بن علي بالدم على الباب حيث رماه أهل الحصار[2].

ولما علم الإمام علي بخبر مقتل عثمان وكان في أرضٍ له فقال: «اللهم إني لم أرض ولم أمالئْ».

قال الأعمش عن أبي جعفر الأنصاري قال: لما قتل عثمان جئت علياً وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء، فقلت له: قُتل عثمان ! فقال: «تباً لهم آخر الدهر».

(١) «تاريخ الخلفاء» ص١٥٠، ومما ذكره: أخرج عساكر عن كنانة مولى صفية وغيره قالوا: قَتلَ عثمانَ رجلٌ من أهل مصر أزرق أشقر يقال له: حمار.

(٢) المصدر السابق.

وروى الربـيع بدر بن سيار عن أبـي العالية أن علياً رضي الله عنه دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكي حتى ظنوا أنه سيلحق به [1].

لقد كان مقتل عثمان رضي الله عنه تحولاً خطيراً في تاريخ الـدعوة الإسـلامية كلها؛ لأ ا ارتبطت بالنص مباشرة وبرزت كإحدى الركائز الثلاث الـتي أشـار النبـي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خطور ا في الحديث الـذي رواه أحمـد في مسنده وابن شيبة في تاريخ المدينة عن عبدالله بن حوالة رضي الله عنه عن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من نجا من ثلاث فقد نجا» قـالوا: مـاذا يـا رسول الله ؟ قال: «موتي، وخروج الدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه»[2].

وكأني بالتبريرات التي تكتنف الأحداث تشير إلى أن الفتنة مختلطة ا بحيث تخفى على الحصيف فضلاً عن الغر والعجول، وأياً كانت عدالة المطلب الـذي اتخـذه المصريون أمام عثمان في تسليم مروان أو عقابه على ما فعل م وما فعل بعثمـان أيضاً فإن مجريات الأحداث كانت لا تحمل الحل من كل الوجوه، بل تحفز بالجميع نحو الفتنة، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم: «إن لله سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن عفان حياً، فإذا قُتـل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة» [3].

وهذا يفسر الفرق بـين النهايتين: اية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب و ايـة الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

---

(١) «الفتنة المعاصرة وموقف المسلمين منها» ص ١٣٨.

(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢: ٨)، وفيه إشارة للذين ساهموا في تأييد الناس على عثمان.

(٣) المصدر السابق.

قال ابن بطال: إنما خص عثمان بذكر البلاء[1] مع أن عمر قتل أيضاً ؛ لكـون عمر لم يمتحن بمثل ما امتحن به عثمان من تسلط القوم الذين أرادوا أن ينخلع من إمامته بسبب ما نسبوه إليه من الجور والظلم، مع تنصله عن ذلك واعتذاره عـن كل ما أوردوه عليه، ثم هجومهم عليه في داره وهتكهم ستر أهله..» [2].

وقد صبر رضي الله عنه صبراً جميلاً على ما حدث له وهو يعلم مصـيره، فقـد روي عن أبـي سهلة مولى عثمان، قال قال لي عثمان يوم الدار: إن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه. وحدث أيضـاً عـن عثمان رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم: «إنـك ستبتلى بعدي فلا تقاتلن» [3].

ويفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: إن الذين كفـروا بآيـات الله ويقتلون النبـيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من النـاس فبشـرهم بعذاب أليم قال: الذين يأمرون بالقسط من الناس: ولاة العدل عثمان وضربه.

---

(١) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم وبشره بالجنة على البلوى تصيبه.

(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢: ٩).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٠).

مواقف الصحابة من قتل عثمان

يعتبر مقتل عثمان رضي الله عنه منعطف تحول خطير في تقرير مصير المعاصـرين له، و ذا ولج كثير من الطاعنين في بعض الصحابة على غير تثبت تبعاً للتحولات التي طرأت وما نقله الأخباريون عنهم.

وقد أشار صاحب كتاب «تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة» إلى هذا الموضـوع بتفصيل مفيد، وأبرز مواقف الصحابة العدول، وأ م برآء من التآمر على عثمـان رضي الله عنه.

فقد أخرج أحمد في فضائل الصحابة عن عبدالرحمن بن أبـي ليلى قال: «رأيت علياً رافعاً حضينه، يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان».

عن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطئ الفرات فمرت سفينة مرفوع شراعها، فقال علي رضي الله عنه: يقول الله عز وجل: وله الجوار المنشـآت في البحر كالأعلام والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله» [1]، وعن ابن سيرين قال: «لقد قتل عثمان يوم قتل وما أحد يتهم عليـاً في قتله»[2].

وعن حذيفة لما بلغه قتل عثمان، قال: اللهم إنك تعلم براءتي من دم عثمان، فإن كان الذين قتلوه أصابوا فإني بريء منه، وإن كان أخطؤوا فقد تعلم براءتي مـن ذمته وستعلم العرب لئن كانت أصابت بقتله لتحلبن بـذلك لبنـاً وإن كانـت

---

(١) المصدر السابق (٢: ١٩).

(٢) المصدر السابق.

أخطأت بقتله[1] بذلك دماً، فاحتلبوا بذلك دماً ما رفعت عنـهم السـيوف ولا القتل».

وروى ابن شيبة عن طلق بن حنشاف، قال: قلت لعائشة رضي الله عنها فـيم قتل أمير المؤمنين عثمان، قالت: «قُتِل مظلوماً لعن الله قتلته»، وروى عـن بعـض أزواج النبـي صلى الله عليه وآله وسلم إ ن قلن حين قتل عثمان: «هجم الـبلاء وانكفأ الإسلام» [2].

وأخرج أبو نعيم في معرفة الصحابة بسنده إلى عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: «عثمان بن عفان ذو النورين قُتل مظلوماً، أوتي كفلين من الأجر» [3].

وروى ابن سعد في الطبقات بإسناده إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لو أجمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوط» [4].

وعن الزهري قال: «كان سعيد بن المسيب يسمي العام الذي قتل فيه عثمان عام الحزن» [5].

ومن هذه النصوص وغيرها ثبت سلامة موقف الصحابة من الوقوع في الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان رصي الله عنها لأ ا مرحلة تحول خطير وشر مسـتطير ولا يتناسب ما كان فيها من الخيانات على من أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) المصدر السابق (٢: ٢٨).

(٢) المصدر السابق (٢: ٣١).

(٣) المصدر السابق (٢: ٣٣).

(٤) المصدر السابق (٢: ٣٧).

(٥) المصدر السابق (٢: ٤٦).

وقد سئل الحسن البصري رحمه الله وهو شاهد عيان أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار، قال: «كانوا أعلاجاً من أهل مصر» ولما جـاء حذيفـة رضي الله عنه خبر مقتل عثمان وكان على فراش الموت، قـال: «اليـوم نفـرت القلوب بأنفارها، الحمد لله الذي سبق بـي الفتن قاد ا وعلوجها».

مرحلة التحول على عهد الإمام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه

(علي مع القرآن والقرآن مع علي
لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)

(أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب)

(عن أبي ذر (ماكنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب))

(إن الأمة ستغدر بك بعدي وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني وإن هذه ستخضب من هذا – يعني لحيته من رأسه –)

أخرجها الحاكم في «المستدرك»

مظاهر التحولات وبناء المواقف على عهد الإمام علي بن أبـي طالب كرم الله وجهه

وبويـــع الإمـــام بالخلافـــة والظـرف صـعب لبلـوغ الغايـة

يشير الناظم إلى ما جرى بعد مقتل عثمان رضي الله عنه من إلزام الناس الخلافة إلى الإمام علي رضي الله عنه والمرحلة تغلي كالمرجل، حيث أشارت كتب السـير والتاريخ عن اضطراب حال المسلمين بمقتل عثمان فقام كبار الصـحابة ودخلـوا على الإمام علي رضي الله عنه، فقالوا: «إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس مـن إمام ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلون حتى نبايعك، قال: ففـي المسـجد، فـإن بـيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا المسـلمين، فبايعـه المهـاجرون والأنصار ثم بايعه الناس[1].

ورويت في قصة بـيعته حوالي ثماني روايات كلها تشير إلى مشروعية خلافتـه، يقول ابن عساكر في تاريخه: بويع علي بن أبـي طالب بن عبدالمطلب بن هاشـم بن عبدمناف بالمدينة يوم الجمعة حين قتل عثمان لاثنتي عشرة ليلة بقيت مـن ذي

---

(١) المصدر السابق (٢: ٥٩-٦٠).

الحجة فاستقبل المحرم سنة ست وثلاثين.. ثم بويع البيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

ويقول الحافظ الذهبي في شأن البيعة: «لما قتل عثمان سعى الناس إلى علي، وقالوا: لابد للناس من إمام فحضر طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص والأعيان، وكان أول من بايعه طلحة ثم سائر الناس»[2].

وما روي غير ذلك من الروايات ففيها نظر[3]، قال صاحب تحقيق موقف الصحابة: والذي يظهر من هذه الروايات - بعد إيراد العديد من الروايات – أن التوقف في البيعة كان في البداية فقط كما كان علي ذاته يأباها فلما اتضح الأمر واجتمع الناس على بيعة علي بايع هؤلاء، وليس أدل على ذلك من قول الواقدي: ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم.

ويقول ابن كثير: فلما كان يوم الجمعة وصعد علي المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس.

وكان من قدر الله في تحولات هذه المرحلة أن شق بعض بني أمية العصا وهربوا من المدينة إلى الشام ومكة فراراً من بيعة الإمام، والذين ذهبوا إلى الشام حملوا معهم قميص عثمان رضي الله عنه مضرجاً بالدماء وأنامل زوجته نائلة بنت الفرافصة التي بترها القتلة وهي تدافع عن زوجها.

وعلق معاوية القميص على منبر جامع دمشق وأعلن العصيان على الإمام مطالبا بثار عثمان وأن لن يبايع حتى يسلم إليه القتلة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (٢: ٨٠).

(٣) المصدر السابق.

وواجه الإمام علي أمام هذه الأوضاع عدة مشاكل كانت سبباً في التحـولات المتداعية.

الأولى: مطالبة الخوارج له بقتلة عثمان قبل البـيعة، وهو أمر لا يتأتى في ظـل الوضع المضطرب.

الثانية: ضرورة عزله للولاة الذين يمثلون المرحلة الاستبدادية في وجهـة نظـر الناس.

الثالثة: التزامه رضي الله عنه مبدأ الصراحة والصدق دون مداراة فيما يعلم أنـه الحق.

وقد أشار عليه ابن عباس بتولية طلحة والزبـير على بعض الأمصار لتخفيـف حدة التوتر، ولكن الإمام أبى، وقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم قال: إن الولاية لا تعطى لمن يطلبها ولا لمن يحرص عليها».

وتفاقمت الأمور في الشام بتأليب الناس على قتلة عثمان، وأثارت الجمهور ضد بـيعة الإمام علي، فأرسل الإمام علي إلى معاوية يحذره من شق عصـا الطاعـة ويدعوه إلى إنفاذ البـيعة ودرء الفتنة ولكن معاوية لم يرد.

وتنادى الناس بالمدينة وما حولها واحتشدوا لنصرة الإمام علي عنـد بلـوغهم احتشاد أهل الشام؛ ولكن الإمام لم يأذن لأحد بالخروج حتى يعذر الذين خرجوا عن طاعته.

وجاءت إلى المدينة أموال من الخراج فاتخذ الإمام علي رضي الله عنه موقفاً عادلاً في التسوية بـين الناس في القسمة والأعطية على غير ما يعهدون في العهد السابق، فأثار ذلك الأمر التذمر لدى الكثير من الناس وفيهم بعض المهاجرين والأنصـار،

ولما عاتبوه في ذلك أبى وقال: «إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بتخمة غني» [1].

ونصحه المغيرة بن شعبة أن يثبت معاوية على الشام في الإمارة حتى يلتزم الطاعة فأبى، وقال: «إن أقررت معاوية على ما في يده كنت متخذاً المضلين عضداً، ولا يراني الله كذلك أبداً».

وعزل الإمام علي كافة عمال عثمان في الأمصار ولم يبق أحداً غير أبي موسى الأشعري، وأرسل سهل بن حنيف الأنصاري والياً عليها خلعاً لمعاوية بن أبي سفيان فتلقاه بتبوك فرسان من أهل الشام وهددوه بالقتل أن هو دخل الشام وردوه إلى المدينة.

فدعا الإمام علي كبار الصحابة ومنهم طلحة والزبير وعرض عليهم الأمر وذكر لهم أنه لابد أن يتجهز لقتال معاوية ولا ينتظر حتى يزحف على المدينة بجيش من الشام.

وفي هذه الأثناء كانت عائشة رضي الله عنها قد فرغت من الحج عائدة إلى المدينة فبلغها خبر مقتل عثمان رض الله عنه وهي بالطريق فعادت إلى مكة وأعلنت عن مطالبتها بدم عثمان.

وعلم الإمام علي بما يجري بمكة فأصابه الحزن والإشفاق من هذه التداعيات والتحولات، وجاءه طلحة والزبير سيتأذنا في الذهاب إلى العمرة فأذن لهما، وقال: ما العمرة تريدان إنما تريدان أن تمضيا إلى شأنكما فامضيا [2].

---

(١) «إمام المتقين» للشرقاوي ص٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٧.

وفي مكة اتفق شأن طلحة والزبير مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على الخروج إلى العراق للمطالبة بدم عثمان والنظر في الأمر ووصلت الأنباء إلى الإمام علي رضي الله عنه بخروجهم إلى البصرة فأخذ يجهز للرحيل.

وكان يرجو أنْ يقيم العدلا ... إذ كان معدوداً له بل أهلا

فاشتبكت مسائلُ التحول ... بطمع الجاهِ مع التمول

تشير الأبيات إلى ما برز للإمام علي رضي الله عنه من خطورة الموقف والتحولات وأنها استمرار خطير لما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم من الفتن المتلاحقة وكيف التبس الأمر حتى على جهابذة العلم والمعرفة ليقضى الله أمراً كان مفعولا.

ومن غريب آيةِ التحول ... ما كان من بعض الرجال الكُمَّل

كموقفِ الزبير أو كطلحةِ ... أو الحُميرا في مسير الفتنةِ

تنبحها كلاب ماءِ الحَوأبِ ... تحقيق قول المصطفى بيثربِ

فصممت على الرجوع إنّما ... قام رجالٌ يحلفُونَ القَسَما

بأن هذا الماءَ ليس ما ورد ... فصدقَت وأمر ربي قد نفَد

يشير الناظم إلى ما جرى من عجيب قدر الله في سلوك كبار الصحابة كما ذكرهم في الأبيات فهؤلاء كانوا على قدر عظيم من العلم والدين.

وقد ورد أن عائشة رضي الله عنها لما بلغ ركبها إلى ناحية من نواحي الطريق نبحت الكلاب، فسألت عائشة: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، فصرخت في ذعر، ما أراني إلا راجعة، وثبت الجميع وسألوها ؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لشأنه: «كأني بإحداكن تنبحها كلاب الحوأب!» ثم اتجه

إلي وقال: «إياك أن تكوني أنتِ يا حميرا» ؛ ولكن القوم جمعوا لها خمسين من الأعراب فحلفوا أن ماء الحوأب قد جاوزه أول الليل.

ومضى الركب في الطريق إلى البصرة واجتمع الجيشان جيش علي وجيش طلحة والزبير وعائشة، ونزل علي بذي قار ودعاهم ثلاثة أيام للصلح والتفاهم، وكان قلتة عثمان في الجيشين فخافوا أن يصطلح القوم فيكون فيهم قتلهم، فأخذوا يحرضون الناس على القتال.

ونادى علي الزبير وقال: تعال ولك الأمان، فخلا به، وقال: أنشدك الله.. هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وأنت لأمر يدي: «لتقاتلنه وأنت له ظالم ثم لينصرنّ عليك» ؟ قال: لقد ذكّرتني شيئاً أنسانيه الدهر.. لا جرم.. لا أقاتلُك» (١).

ونشبت المعركة في ظروف غامضة وقد كاد الفريقان أن يتفقا على أمر.

جاء في «تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة» فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير وتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو مثل من الصلح وترك الحرب، فافترقوا على ذلك وأرسل علي رضي الله عنه إلى رؤساء أصحابه، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما ما عدا أولئكم الذين حاصروا عثمان.

فبات الناس على نية الصلح وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة، وقال قائلهم: «إن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا، وتكلم ابن السوداء عبدالله بن سبأ وهو المشير فيهم فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً

---

(١) «الإشاعة» ص٤٩.

فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون.

فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة وما شعر م جيرا م إلا وقد وضعوا فيهم السيوف فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم وخرج الزبير وطلحة يسألان.. فقالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، وقال أهل الكوفة: طرقنا أهل البصرة ليلاً، ونشبت المعركة(١).

يقول الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين.

ويقول الباقلاني: وقال جلة من أهل العلم: إن الواقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة(٢).

وأشير بعقر الجمل الذي عليه الهودج وكان فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فلما عقر حمل الهودج بما فيه إلى أمير المؤمنين، وضربت عليها قبة، وكان معها أخوها محمد بن أبي بكر، فجاء إليها الإمام علي فسلم عليها، وقال: كيف أنت يا أم؟ قالت: بخير.. الله يغفر لك.

وأرسل ا إلى البصرة مع جمع من النسوة، ثم عزمت على الرجوع نحو المدينة، فبعث إليها الإمام بما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وأرسل معها أربعين امرأة من نساء البصرة وسير معها أخاها محمدا.

ولما ودعها قالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه لمن الأخيار.

---

(١) ((تحقيق مواقف الصحابة)) ص١١٦ - ١١٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٦.

فقال علي: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة.

وقد فعل الإمام علي مع أم المؤمنين ما فعل من الإكرام والأدب اعترافاً بفضلها ومكانتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وامتثالاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها».

ولما سئل رضي الله عنه عن موقعة الجمل: أمشركون هم؟

قال: من الشرك فَروا.

قيل: أمنافقون ؟

قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً.

قيل: فمن هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا [1].

ولما فرغ الإمام علي من معركة الجمل ورجع إلى الكوفة أرسل جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية بالشام يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ويبايع، فامتنع معاوية حتى يسلم قتلة عثمان، وأخذ معاوية في تسيير جيش من الشام وأخذ الإمام يعد العدة للمقاتلة فالتقيا في صفين، وحين عسكر الإمام بصفين أرسل وفداً إلى معاوية يدعوه إلى حقن الدماء والدخول في المبايعة فأرسل إليه معاوية: إن عثمان قتل مظلوماً فليدفع لنا قتلته حتى نسلم هذا الأمر.

فقال الإمام: ادخلوا إلى البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه، فقالوا: لا تستحق بيعة وقتلة عثمان تراهم صباحاً ومساءاً [2].

لقد كان الإمام علي رضي الله عنه غير مهادن ولا مساوم في مقتل عثمان وإنما كان يرغب في استيثاق الكلمة وإقامة الأمن ثم يكون الطلب وتقع الدعوى

(١) «الإشاعة» ص٥١ - ٥٤.

(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢: ١٥٣).

ويكون الجواب وتقوم البينة ويجري القضاء في مجلس الحكم، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة.

ويرى ابن العربي أنه تقرر لدى المسلمين وثبت بالأدلة الشرعية أن موقف الإمام علي هو الصحيح.

ونشبت الحرب بين الفريقين واقتتلوا اقتتالاً شديداً حتى بلغت القتلى ثلاثين ألفاً، ورجحت كفة الإمام علي رضي الله عنه في الحرب وقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((عمار تقتله الفئة الباغية)).

قال الناظم:

ومثله ما قيل في عمار ... يقتله الباغون بالبتار [1]

علامة حددها نبينا ... فحرف البغاة معنى بينا

وأعلنوا أن الذي قد قتله ... ذاك الذي للحرب طوعاً حمله

كان مقتل عمار رضي الله عنه تحولاً خطيراً في المواقف، وكاد جيش معاوية أن يهزم، وخاصة أن كثيراً من المقاتلة امتنع عن القتال لما عرف بالعلامة أن البغاة هم قتلة عمار، فما كان من مهندسي الفتن إلا أن بينوا الأمر على غير وجهه، وقالوا: إن الذي جاء بعمار إلى الحرب هو علي وفئته، فهي التي قتلته، وهي الفئة الباغية، وليس جماعة معاوية، واستمر القتال.

وعندما برز الحق وانكشف جيش الشام عمدوا إلى حيلة المصاحف ورفعها وطلب تحكيم كتاب الله.

وكلا الموقفين في فقه التحولات انحراف خطير في سنة العلم والحكم.

---

(١) في رواية البخاري ((ويح عمار تقتله الفئة الباغية)).

قال الناظم:

فصـار أمـر المسـخ والتحـول   في الأمر والعلـم عظـيم المشـكل

فالباغون حرفوا سنة الحكم برفض البـيعة، ثم حرفوا سنة العلم بمـا قـالوه في مفهوم الحديث: «عمار قتلته الفئة الباغية» وفي سياسة رفع المصاحف فوق الرماح مطلب تحكيم كتاب الله، وقد فطن الإمام علي رضي الله عنه للخدعـة والحيلـة، فصاح بجيشه كما نقله الطبري في تاريخه: إن أهل الشام لما رفعوا المصاحف علـى الرماح ونادوا بتحكيم كتاب الله في الخلاف لم يقبل الإمام علي رضي الله عنـه، ونبه القوم إلى إ ا مجرد خديعة ومكيدة بقوله: «عباد الله.. امضوا علـى حقكـم وصدقكم في القتال، ويحكم أ م ما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنا ومكيدة».

وبرز هنا دور الخوارج ودور الأتباع المتعصبـين للرأي، فقال قوم: ما وسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله، فقال لهم: «إني ما قاتلتهم إلا ليدينوا بحكم هذا الكتاب فإ م قد عصوا الله عز وجل في أمرهم ونسوا عهـده ونبـذوا كتابه».

فقال جماعة القراء: يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليـه، وإلا نـدفعك برمتك إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفان، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك.

قال: احفظوا عني يي إياكم واحفظوا مقالتكم لي، أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدالكم.

وقبل القوم التحكيم واختاروا أبا موسى الأشعري، وتبدأ المحاورة حول الصلح، وفي هذه الأثناء دخل على الإمام قوم من القراء فيهم حرقوص بن زهير السـعدي قائلين: لا حكم إلا لله، تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخـرج بنـا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال الإمام: «قد أردتكم على ذلك فعصـيتموني، وقد كتبنا بـيننا وبـينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهوداً ومواثيقاً»،

قال حرقوص: ذاك ذنب يجب أن تتوب منه، فقال علي: «ما هو ذنب ولكنه عجز في الرأي وضعف في العقل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه و يتكم عنه»، فأبوا وقالوا: لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله قاتلناك نطلب بذلك وجه الله ورضوانه[1].

وجرى التحكيم على الوجه الذي ذكرته روايات التاريخ إلا أن الإمام الباقلاني في «مناقب الأئمة» نقد رواية التحكيم كما نقدها القاضي ابن العربي، قال الباقلاني: فما اتفق الحكمان على خلعه، وعلى أنهما لو اتفقا على ذلك لم ينخلع. اهـ.

وتفرق القوم بعد التحكيم على غير وفاق ولا اتفاق، وبقي الإمام علي يجهز جيوشه لقتال أهل الشام مرة بعد أخرى إلا أن أمر الخوارج شغله عنهم.

إذ جعل الباغونَ أمر الاجتهاد — حقّاً لزيماً وظفُوه للفَساد

فاجتهدوا بالنص في قتل الإمام — واعتبروا القتلَ صلاحاً للأنام

يشير النظم إلى الخوارج واتخاذهم النصوص وسيلة لتحقيق مآربهم وغاياتهم، قال ابن حزم عنهم: وأسلاف الخوارج - هم القراء - كانوا أعراباً قرؤوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ولا من أصحاب أحد من علماء الصحابة، ولذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها، وكانوا قوما كثرا في جيش الإمام علي رضي الله عنه، وبرز دورهم الخطير في موقعة صفين،

---

(١) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢: ٢٢١).

وكانوا أكثر الناس عبادة وأقرأهم لكتاب الله ؛ إلا أن الخلاف كان متأصلاً فيهم، فلم يفعل أمير المؤمنين شيئاً إلا وخالفوه[1].

وقد اتفقوا بعد التحكيم على كفر علي ومعاوية معاً، فاعتزلوا أمير المؤمنين ونزلوا (حروراء)[2]، فأرسل إليهم الإمام عبدالله بن عباس فرجع بعضهم وأبى آخرون، وأخذ الإمام يقاتل الخوارج حتى هزمهم في موقعة النهروان فلما فرغ الإمام منهم، واستدل على ذي الثديتين في الحرب مقتولاً، قال أحدهم: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم، فقال الإمام علي: «كلا والذي نفسي بيده إن منهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد وليكونن آخرهم لصاصا حرادين».

وهذا من فقه التحولات لدى الإمام ومعرفته بامتداد الفتنة وسيرها عبر الأزمنة، ولم يطل الأمر بالإمام علي رضي الله عنه فقد حكم الخوارج بقتله وقتل معاوية وعمرو بن العاص في يوم واحد.

قال في «الإشاعة» ص٥٩: لما رجع علي رضي الله عنه من قتال الخوارج وتجهز للشام قُتل في سابع عشر من رمضان وهو خارج لصلاة الصبح، قتله أشقى الآخرين عبدالرحمن بن ملجم ضربه بسيف مسموم ليلة الجمعة سنة أربعين للهجرة.

قال الناظم:

فقام أشقى القومِ نسلُ ملجمِ	**غدراً يريقُ دم خيرِ مسلمِ**
فزادتِ الأمورُ نقضاً وانتقاص	**واشتبكت ولم يعد منها مناص**

---

(١) المصدر السابق (٢: ٢٠٤).

(٢) حروراء موقع في نواحي الكوفة.

إشارة من النظم إلى اختتام حلقة الخلافة الراشدة بالإمام علي رضـي الله عنـه وانتقاض الأمور من بعده واشتباكها.

تحولات عصر الإمام علي رضي الله عنه ومواقفه منها:

١) آثار مقتل عثمان وتبني القتلة سياسة المراوغة والدفع بالأمور.

٢) تشبث معاوية ومن معه في الشام بثأر عثمان حتى صار مطية للفتنة وسبباً في معركة صفين.

٣) تبني عائشة والزبـير وطلحة قضية ثأر عثمان بالعراق وسبباً موصـلاً إلى معركة الجمل على غير رضا منهم.

٤) انتشار ظاهرة الثراء والإقطاعات والمخصصات المالية التي حجزت الإمـام علي عن إرضاء الجميع واضطراره إلى إيجاد سياسة مالية جديدة لم يـرض عنـها الكثير.

٥) بروز فئتين معارضتين لموقف الإمام علي وأهل بـيته وأتباعه بعد معركة صفين وهم:

أ- **غلاة الشيعة:** الذين قبلوا التحكيم وألزموا الإمام به.

ب- **الخوارج:** الذين رفضوا التحكيم وخرجوا على الإمام.

وصارت هاتان الفئتان قوة سياسية ذات موقع وتأثير في الواقع الاجتماعي.

وقد قاتل الإمام علي الخوارج وانتصر عليهم، وأما الشـيعة فقـد انقسـمت جماعا م بعد ذلك إلى أقسام متنوعة، وتبنوا مبادئ مختلفة تماماً عن مواقف الإمـام علي وأهل بـيته إلا من عصمه الله.

ومن المعلوم أن هذه الفرقة الخارجة عن منهج السلامة لم يكونـوا إلا شـراذم شاذة، ولم يكن فيهم ذو فضل أو سابقة بل هم من الأعراب وحـديثي العهـد

بالإسلام من أبناء الأمم المفتوحة، ولم يكن فيهم أحد من الأئمة الأعلام الذين عرفهم تاريخ الإسلام[1].

---

(١) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢: ٢٤٠).

مرحلة الإمام الحسن السبط τ

(إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين)

أخرجه أحمد والبخاري

(نظر النبي ρ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)

رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة

(كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله)

الإمام الحسن بن علي

خِلافَةُ الإمامِ الحَسَنِ وتَنَازُلِهِ عَنِ الحُكْمِ(١)

وبــايع النــاس الإمــامَ الحَســنا — خليفــةً يرجــو الكــريم المُحْســنا
فَقَــام بــالأمر وجهــز الجُنــود — للشامِ كي يلْــزمهم أخــذَ العهــود
ثُم رأى فِي الصلح خــير المُســلمين — والصلح خير وهــو مِيثــاق مكِــين
وكتبــوا كِتــاب صــلح يلتــزم — مع اشتِراطِ كُل مــا خــص وعــم

يشير النظم إلى ما جرى بعد مقتل الإمام علي رضي الله عنه من الاجتماع على تعيين الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه خليفة للمسلمين، فتم الأمر على ذلــك وكان من أول مواقفه بعد تولي الخلافة تجهيز الجيوش نحو الشام امتداداً لما كــان والده الإمام علي رضي الله عنه يزمع فعله.

وتوجه بكتائب كثيرة نحو أرض الشام، كما قابله معاوية بجيوش أخرى متجهــة نحو الكوفة، ولما التقيا في الطريق رأى الإمام الحسن خطورة الموقف وإصرار القوم على إراقة الدماء، وأخذ يحاور الطرف الثاني على حقن الدماء بالشــروط فقبــل

---

(١) ولد الإمام الحسن السبط يوم الثلاثاء خمسة عشر من رمضان في السنة الثالثة للــهجرة، ويكنى «أبا محمد»، ويلقب «بالتقي»، حفظ عن جده جملة من الأحاديث وعن أبــيه وعن أمه، وكان الحسن أشبه الناس برسول الله ρ، فعن أنس τ قال: أشبههم بالنبــي ρ الحسن بن علي τ، وقال النبــي ρ للحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحــب مــن يحبه» رواه الترمذي، ولقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة وهو ماشٍ علــى قدميــه، وكان حكيما كريما صبورا، توفي لخمس خلون من ربــيع الأول سنة ٥٠ للهجرة النبوية وقيل سنة ٥٢ هـ ودفن في البقيع.

معاوية وأرسل إليه أن أطلب ما شئت واشترط فأني أوفي لـك بـذلك وأرسـل بـياضاً وختم في أسفله، فاشترط الحسن على معاوية ما يلي:

١) أن يكون بـيت مال الكوفة تحت تصرفه.

٢) أن يكون له خراج دار أبـي جرد.

٣) أن تكون الخلافة بعد معاوية له ولأخيه الحسـين، وفي روايـة أن تكـون للمسلمين يولوا من شاؤوا.

٤) أن لا يتعرض معاوية لأهل العراق ولا ينتقم منهم.

فتم الصلح والتوقيع على ذلك وقام الحسن بن علي خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن معاوية نازعني أمراً أنا أحق به منه، وإني تركته حقناً لدماء المسلمين وطلباً لما عند الله» [(١)].

وسميت تلك السنة «سنة الجماعة» لاجتماع الناس ورفع القتال، وتحقق للإمـام الحسن ما قاله فيه جده صلى الله عليه وآله وسلم: «إن ابني هذا سيد، وسيصـلح الله بـين فئتين من المسلمين يكون بـينهما مقتلة عظيمة»[(٢)].

(١) «الإشاعة» ص٩١.

(٢) المصدر السابق.

تحولات عصر بني أمية

الملك العضوض، الشح المطاع،
الهوى المتبع، الدنيا المؤثرة،
إعجاب كل ذي رأي برأيه
(هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش)
(لا يزال هذا الدين قائما بالقسط حتى يكون أول من يلثمه رجل من بني أمية)

مَظَاهِرُ التَّحَولاتِ على عَهْدِ بني أُمَيَّةَ

قال الناظم:

وكـم رأى الإسـلام مـن تحـول ... مـن بعـدِ عثمـانَ القتيـل الأول
وبعد بابِ العلـم ميـزان الهـدى ... وما جرى مِن بعـده مـن الـردى
فكـل عصـر الخلفـاءِ اللاحـق ... مِلْـك عضـوض لم يكُـن برائِـق

تشير الأبيات إلى مرحلة جديدة من مراحل التحول من تاريخ الإسلام، إذ هي مربوطة بما سبقها من التحولات كما أشار إليها الناظم: «**من بعد عثمانَ القتيـل الأول**». فبهذا الحدث طرأت على المسيرة الأزلية تحولات جديدة، وكذلك بمقتل الإمام علي رضي الله عنه.

وكأني بالأمة مع هذه التحولات الخطيرة تحتاج إلى موقف جديد يحمـل كـل معاني التضحية في سبـيل الله، فكان موقف الحسن بن علي رضي الله عنه - وهو من أجلى المواقف الهامة في مرحلة التحولات - يحمل من طياتـه علمـاً هامـاً ومشهداً جديداً في التعامل مع الأحداث، وهو سنة المواقف.

وسنة المواقف أن يتخذ المرء موقفاً اجتهادياً يخالف ما عليه الإجماع استناداً على الاقتداء بالمتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مواقفه مع الأعداء والمنافقين، حيث إن سنة المواقف ليس مصدرها الوجه المعروف للأحكام الشرعية الـ ـردة من السنة القولية والفعلية والتقريرية.

وإنما مصدره موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسن تعاملـه مـع الناس وما آلت إليه هذه المواقف من استيعاب أسوأ العقول وأشدها صرامة، وقـد رصدت كتب السنة أحاديث عديدة حول مرحلة بني أمية في الحكم.. باعتبارهـا

حلقة في سلسلة التداعيات والتحولات الموعودة، وهذه الأحاديث لا تنفي خيرية الأمة واستمرار فضلها، وإنما هي تقرير حالة شرعية حول مسألة القرار.

ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو يعلى والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت في النوم بني الحكم ينزون على منبري كما تنزوا القردة»، قال: فما رؤي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضاحكاً مستجمعاً حتى توفي [1].

لقد كانت هذه الرؤيا علامة من العلامات التي أبرزت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موقفاً لمظهر من مظاهر التحولات من بعده، إذ كان صلى الله عليه وآله وسلم يتفاعل مع الأحداث ويعيشها ولو قبل حدوثها، ومع هذا فقد جاء في رواية ابن المسيب ما خفف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموقف.

فقد روى البيهقي عن ابن المسيب رضي الله عنه، قال: «رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني أمية على منبره فساءه ذلك، فأوحي إليه: إنما هي دنيا أعطوها، فقرت عينه».

وعن الحسن بن علي عليهما السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك، فنزلت: إنا أعطيناك الكوثر ، ونزلت إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بنو أمية». قال القاسم بن الفضل:فحسبنا مدة حكم بني أمية فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص [2].

---

(١) المصدر السابق ص٦٣.

(٢) وهذا القول في بني أمية لا يشمل صالحي هذا البيت ومن استقام منهم، وإنما يختص بشأن القرار والحكم، حيث برز في بني أمية من العلماء والدعاة والصالحين من لا يعاب

قال الناظم:

واذْكُر أبا هرٍ الـذي كـان يصيـيح   عن عامٍ سِتين من الأمـر القبـيح

يشير النظم إلى ما كان يقوله أبو هريرة رضي الله عنه: اللهم لا تـبلغني عـام الستين، قالوا: وما عام الستين ؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يكون هلاك أمتي على يد أغيلمةٍ من قريشٍ»، وكأنه يشير إلى ما جرى من الفتن على يد أمراء بني أمية، وكان خلفاء بني أمية كما ورد في «الإشاعة» غـيروا سنة النبـي صلى الله عليه وآله وسلم في الحكم، وأول من نكث العهد معاويـة وابنه يزيد مع الإمام الحسن في شأن تولية العهد، ثم تتـابع الأمـر مـع الإمـام الحسين[1] رضي الله عنه، حيث أخذ معاوية البـيعة لابنه يزيد من أهل الشام بعيد علمه بموت الحسن ونكث العهد بعده.

شأ م ولا يستنقص دينهم.

(١) ولد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما بالمدينة المنورة لخمس خلون من شعبان السنة الرابعة بعد الهجرة، ولما أخبر به ρ جاء وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنـه اليسـرى، وسماه حسينا، وعق عنه بكبش، وقال لأمه: «احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضة وافعلي به كما فعل بأخيه الحسن»، كنيته «أبوعبدالله»، وله ألقاب كثيرة، منها: (الرشيد، والوفي، والسيد، والذكي، والمبارك)، وفيه وفي أخيه الحسن رضي الله عنهما قـال ρ: «إ هـا سيدا شباب أهل الجنة»، وقال في الحسين: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله مـن أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط» رواه الترمذي وابن ماجه.

كان في شبابه مقداما شجاعا، وكان أحد حراس عثمان أيام حصاره، شارك هـو وأخوه الحسن في معارك جمة مع أبـيهما الإمام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنهم، كان كريما مضيافا رحيما، تحلى بمجموع فضائل الخير، قال فيه ρ مخبرا عن استشهاده: «إن ابني يقتل بأرض يقال لها: كربلا، فمن شهد ذلك فلينصره» «الإصابة» (٨: ١٩٩).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ناولني رسول الله ρ كفا من تراب أحمر وقال:

ومات معاوية وبويع يزيد بالشام وغيرها، وانتقل الحسين من المدينة إلى مكة هرباً من بيعة يزيد فأرسل إليه أهل الكوفة أن اقدم إلينا نبايعك، فنهاه ابن عباس وذكر له مواقفهم، ثم أمره إذا أصر على الرحيل أن لا يرحل بأهله فأبى فبكى ابن عباس، وقال: واحسيناه، وقال له ابن عمر نحو ذلك، ثم قبله بين عينيه، وقال: أستودعك الله من شهيد، أو قال: أستودعك من قتيل.

وكذلك اه ابن الزبير، ولم يبق أحد بمكة إلا وحزن لمسيره،وأخذ البيعة للحسين بالكوفة مسلم بن عقيل وبايعه ا اثنا عشر ألفاً، فأرسل إليه زياد بن أبيه من يقتله بالكوفة، وتفرق عنه المبايعون وسار الحسين رضي الله عنه غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فسأله، فقال: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء.

وفي كربلاء جهز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل فقاتلوه مع أهل بيته ومن معه حتى قُتل رضي الله عنه، وقُتل معه من إخوانه وبنيه وبني أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً [1].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم في حياته قد وصف هذه التحولات وما يجري خلالها من مواقف، وتعددت الإحاديث في هذا الباب ما بين الصحيح والضعيف، وكلها تشير إلى تغير سنة الحكم في هذه المرحلة، ولا شك أن ذا التغير يسري التغير إلى العلم، وكأني برسول الله وقد عاش هذا التحول، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم عن أبي العالية عن أبي ذر رضي الله عنه: «أول

هذه من تربة الارض التي يقتل ا ابني - يعني الحسين - فإن صار دما فاعلمي أنه قتل»، وكان مقتله يوم عاشوراء سنة ٥١ للهجرة النبوية بكربلاء رحمه الله رحمة الأبرار. اهـ باختصار عن «قرة كل عين» للكابلي.

(١) «الإشاعة» ص٧٠.

رجل يغير سنتي رجل من بني فلان» يعني بني أمية، وأخرج أبو يعلى عن أبي عبيده مرفوعاً: «لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له: يزيد»[1].

ومن تحولات هذه المرحلة وتداعياتها استباحة جيش يزيد المدينة بعد موقعه الحرة الشهيرة التي وردت في العديد من كتب السير والتاريخ، حتى جالت فيها الخيول بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعطل المسجد الشريف ثلاثة أيام.

ثم حوصرت مكة الشريفة أربعاً وستين يوماً، ورمي البيت بالمنجنيق، واحترقت أستار الكعبة، ثم احترق باقي ما فيها، ومات يزيد بعد هذه الموقعة بثلاثة أشهر [2].

وبويع بعده لمعاوية بن يزيد وكان رجلاً صالحاً ومحباً لآل البيت خلافاً لأبيه، ولم تدم به خلافته بل صعد المنبر وخلع نفسه عنها، قائلاً في آخر خطبة: «شأنكم وأمركم، فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه، وخلعت بيعتي من أعناقكم والسلام»[3].

ولكن قومه لم يرق لهم موقفه وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات وعمره ثلاث وعشرون سنة وقيل: أقل من ذلك، وبويع ابن الزبير بعد معاوية بن يزيد وانتظم حكم الحجاز واليمن ومصر والعراق والشام، ولم يتخلف عن بيعته إلا بنو أمية ومن شايعهم.

وبايع بنو أمية مروان بن الحكم، وخرج بهم إلى دمشق من فلسطين، واقتتلوا مع عامل ابن الزبير فقتلوه، وهو الضحاك بن قيس، وغلب مروان على الشام، ثم

---

(١) المصدر السابق ص٧١.

(٢) المصدر السابق ص٧٤.

(٣) المصدر السابق ص٧٥.

توجه إلى مصر، وغلب عليها سنة خمسة وستين، وتوفي مروان في تلك السنة، وعهد إلى ابنه عبدالملك فقام مقامه، واستمر في محاربة عمال ابن الزبير حتى لم يبق معه إلا الحجاز واليمن، وجهز عبدالملك لمحاربته الحجاج بن يوسف الثقفي، فحاصر بن الزبير حتى قتله بمكة (١).

ثم تولى بعد عبد الملك ابنه الوليد ثم ابنه الآخر سليمان بن عبد الملك، ثم تولى عمر بن عبدالعزيز، قال الناظم:

حتى أتى عهد الإمام العادل	**مجددِ الدين الصدوق الفاضل**
العمر الموصوف بالعدالة	**عزيزنا من أيد الرسالة**
فاتخذَ المواقف المحمودةْ	**وشرع القواعد المنشودةْ**
أحيا لنا مواقف الأسلافِ	**ونصر الدين بلا خلافِ**
ولم يطل مقامه في الحكم	**بل سُقِي السم بغير علم**
فعادتِ الأوضاع للتحول	**عن الطريق العالي الأمثل**

---

(١) كانت مدة حكم ابن الزبير تسع سنين وزيادة، وقد ذكرت كتب السير والتاريخ نماذج من المواقف السلبية التي جرت على يد الحجاج، فقد هدم الكعبة وقتل ابن الزبير، وبلغت ضحاياه من الناس مئة ألف وعشرين ألف وأربعة الآف قتلهم جبرا، وأهان جملة من الصحابة منهم أنس بن مالك، ودس على عبدالله بن عمر من ضربه بحربة مسمومة وهو في الطواف فكانت سبب قتله، وقد أشارت الأحاديث إلى موقع الحجاج في التحولات، منها ما رواه البيهقي في «الدلائل» عن حبيب بن ثابت قال: قال علي رضي الله عنه لرجل: «إنك تدرك رجل ثقيف»، قيل: ما رجل ثقيف ؟ قال: «ليقالن له يوم القيامة: اِكْفِنا زاويةً من زوايا جهنم، رجلٌ يملك عشرين أو بضعاً وعشرين سنة، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها، حتى لو لم تبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها، يقتل من أطاعه بمن عصاه».

يشير النظم إلى عهد الخليفة الخامس **عمر بن عبدالعزيز** رضي الله عنه، والـذي تميز عصره بنموذج متفرد من التحولات والمواقف في قرار الحكم وخصوصاً.

مكث في الخلافة سنتين وخمسة أشهر، وكانت بـيعته في صفر سـنة تسـع وتسعين على ما ذكره تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢١٤.

وقد بدأت تحولات عمر بن عبدالعزيز ومواقفه قبل أن يكون خليفة فهو قد اتخذ موقفاً من تنعمه ورفاهيته التي كان يألفها، قـال السـيوطي في تـاريخ الخلفـاء ص٣١٣: كان قبل الخلافة على قدم الصلاح إلا أنه كان يبالغ في التنعم والاختيال في المشية حتى عزف بعد ذلك عن ذلك كله.

وبدأ بأهل بـيته وأقاربه فأخذ ما بأيديهم وأعادها إلى بـيت مال المسلمين، ثم أخذ ما بـيد زوجته فاطمة بنت عبدالملك.

قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص٢١٤ عن خلافة عمر بن عبد العزيز مـلأ فيها الأرض عدلاً ورد المظالم وسن السنن الحسنة. اهـ. حتى كان يقول وهـب بن منبه إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبدالعزيز[١]، توفي عمـر بـن عبدالعزيز بدير سمعان من أعمال حمص لعشر أو لخمس بقين من شهر رجب سنة إحدى ومئة وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر، وكانت وفاته بالسم، لأن عشيرته من بني أمية تبرموا منه لتشديده عليهم وانتزاع ما غصبوه رحمه الله رحمـة الأبرار.

وتولى بعده الحكم يزيد بن عبدالملك بن مروان، ومكث أربعين يوماً يسير بسيرة عمر بن عبدالعزيز، ثم عدل عن ذلك[٢].

---

(١) «تاريخ الخلفاء» ٣١٦.

(٢) المصدر السابق ص٢٢٩.

وكان قد كتب له عمر بن عبدالعزيز وصية قبل وفاته، قال له فيها: سلام عليك، أما بعد فإني لا أراني إلا لما بي، فالله الله في أمة محمد، فإنك تدع الدنيا لمن لا يحمدك، وتفضي إلى من لا يعذرك، والسلام(١).

وقتل يزيد بموضع قرب كربلاء لدى خروج يزيد بن المهلب على الخلافة في أواخر شعبان سنة مئة وخمس.

وتولى بعده الوليد بن يزيد بن عبدالملك، وكان فاسقاً منتهكاً لحرمات الله، قُتل في جماد الآخر سنة ست وعشرين ومئة، وقد ورد في مسند الإمام أحمد حديث «ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لهو أشد على هذه الأمة من فرعون لقومه»، وهو الذي رشق المصحف بالسهام(٢).

ثم تولى بعده يزيد الناقص أبو خالد ابن الوليد، ولقب بالناقص لأنه أنقص الجند من أعطياتهم، ومات من العام الذي تولى فيه سابع ذي الحجة سنة ست وأربعين بعد المئة، مات بالطاعون ثم تولى بعده إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك، بويع له بالخلافة سبع سنين، ثم خلع، خرج عليه مروان بن محمد الملقب بالحمار، وتنازل إبراهيم لمروان وبايعه، وعاش إبراهيم حتى سنة اثنتين وثلاثين، وقتل فيمن قتل من بني أمية على يد السفاح(٣).

وكان مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية، ولقب بالحمار لصبره وقوة جلاده في القتال، وقتل مروان مع ظهور بني العباس، وكان مقتله في مصر بقرية بوصير هارباً من العباسين في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين.

وبمروان الحمار اختتمت مرحلة الحكم لبني أمية.. وبدأ عصر جديد.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٤.

(٣) المصدر السابق ص ٣٣٥.

عَصْرُ بني العَبّاس

وجــاء للحكــم بنــو العبــاس **بقــوةِ الســلاحِ والمــراس**
وعــالجوا الأمــور بالسياســةِ **والمــال والطمــوح والرياســةِ**
حتى استتب الأمــر فــيهم ولهــم **لــبعض أجيــالٍ تتــالى أمــرهم**
وأبــدعوا في خدمــةِ الحضــارةْ **والعلــمِ والأشــعارِ والإدارةْ**
وانــدمجوا في الفُــرسِ والرومــانِ **وترجمــوا فلســفةَ اليونــانِ**
وأوغــلَ المــأمونُ في التفلســفِ **وقال في القــرآن قــول المُسْــرِفِ**
وأغــرق الحُكّــام في التمتــعِ **وأظهروا في النــاس بعــض البــدع**
إلا القليــلَ مِــنهم مــن أصــلحوا **وعدلُوا في النــاس حتــى صــلُحوا**

يشير النظم إلى مرحلة حكم بني العباس، وهي إحدى مراحل تحول القرار داخل الخيمة الإسلامية، ومن المراحل التي أشارت إليها أحاديث التحولات.

فمن هذه الأحاديث ما أورده السيوطي في «تاريخ الخلفاء»:

أخرج أحمد في مسنده عن أبــي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «يخرج رجل من أهل بــيتي عند انقطاع الزمان وظهور من الفتن يقال له: الســفاح، يكــون إعطاؤه المال حثياً» اهـ[1].

وقد ذكر صاحب كتاب الإشاعة أحاديث شديدة الوقع على مرحلة بني العباس، وقال البرزنجي بعد إيرادها: فتحمل الأحاديث -إن صحت- على شرارهم.

---

(١) المصدر السابق ص٢٣٨.

وأول خلفائهم أبوالعباس السفاح، ثم تولى بعده أبوجعفر المنصور، وكانت له ميزات في الحكم، وهو الذي ضرب أباحنيفة على القضاء ثم سجنه حتى مات بعد أيام لكونه أفتى بالخروج عليه [1].

وأول من أحدث مشي الرجال بين يديه بالسيوف والعمد والقس الموترة الهادي أبومحمد موسى بن المهدي المتوفي سنة سبعين ومئة، وكثرت الفتوحات في عهد الرشيد هارون، الذي غزا نقفور صاحب الروم بعد نقضه للهدنة، حيث كتب إليه يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ماتسمعه" ثم غزاه وقتله.

ومن خلفاء بني العباس المأمون ابن الرشيد، ولم يكن في بني العباس رجل أعلم منه، كان من تحولات عصره وحكمه قوله بخلق القرآن وحمل الناس على ذلك، وسار على نهجه من بعده جملة من الخلفاء، ومنهم المعتصم الذي كان أول من أدخل الأتراك إلى الديوان، وكان يتشبه بالأعاجم، وبنى مدينة "سر من رأى" وانتقل إليها مع علمائه وعساكره الأتراك.

وأول من عين سلطان من الأتراك في بلاط الخلافة الواثق ابن الرشيد، وهو حفيد هارون الرشيد، وسار على عقيدة خلق القرآن كجده المأمون، وامتحن الناس بهذه الفتنة أي امتحان، حتى إنه قتل الشيخ أحمد بن نصر الخزاعي -وهو من علماء الحديث- قائما بالبصرة على نشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فامتحنه في مسائل القول بخلق القرآن، ثم قتله بيده وعلقه في "سر من رأى" ست سنين

(١) المصدر السابق ص٢٤١.

مصلوبا، وكان له وزير مبتدع وهو أحمد بن داود المعتزلي الذي كان أيضا وزيرا لسلفه.

وفي أخريات عمر الواثق رجع عن فتنة القول بخلق القرآن، وكان سبب ذلك كما ذكره السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص٢١٩ أنه دخل عليه أبوعبدالرحمن عبدالله بن محمد الإدريسي شيخ أبي داود والنسائي وهو مقيد بالحديد في فتنة القول بخلق القرآن، فقال الشيخ: أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم إليه، أعلمه رسول الله ρ فلم يدع الناس إليه أم شيء لم يعلمه ؟ قال ابن داوؤد: بل علمه، قال: فكان يسعه ألا يدعو الناس إليه وأنتم يسعكم ؟ قال: فبهتوا، وضحك الواثق وقام قابضا على فمه ودخل بيتا ومد رجليه وهو يقول: "وسع النبي ρ أن يسكت ولا يسعنا"، فأمده بثلاثمئة دينار وأعاده إلى بلده ولم يمتحن الواثق بعدها أحدا، ومقت ابن أبي داود من يومه، مات الواثق سنة مئتين وثلاثين من الهجرة.

وبويع بعده بالخلافة للمتوكل على الله جعفر أبوالفضل ابن المعتصم، وكان على يده تحول هام لم يسبق له مثيل، وهو ميله لآل البيت النبوي وإكرامهم، وقطع القول ببدعة خلق القرآن، قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص٣٢٠: بالغوا في الثناء عليه حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة أبوبكر الصديق في قتل أهل الردة، وعمر بن عبدالعزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم (بدعة الجهمية).

ومن المآخذ عليه هدمه لقبر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وتحويله إلى مزرعة ومنع الناس من زيارته، وبعد موته وتولية ولده المنتصر بالله رد زيارة الحسين وأعاد لآل البيت فدك التي كانت لهم، ولم يتمتع بالخلافة إلا أشهراً معدودة، ثم قتل سنة ثمان وأربعين بعد المئتين.

وفي عصر خلافة المعتمد على الله أبـي العباس أحمد المتوكل ظهرت فتنة الزنج وقتل آلاف من المسلمين كما ظهرت القرامطة في آخر خلافته، وفي عهد المقتـدر ضعف شأن الخلافة العباسية واختل نظام الدولة وفي عهد المقتدر يضا قتل الحلاج، وظهر الفاطميون وغزوا مصر واستولوا على أكثرها، وبرزت أم المقتدر ونسـاؤه وحريمه في القبض على شؤون الدولة، وفي سنة ستة عشر وثلاثمئة ظهرت القرامطة وهزمت جيوش المقتدر بالله وانقطع الحج، وفي سنة سبعة عشر وثلاثمئـة خلـع المقتدر وبويع لمحمد بن المعتضد ولقب بالقاهر بالله، وفي اليوم الثاني قام العسـكر وخلعوا القاهر وأعادوا المقتدر بالله (١).

وفي هذا العام أيضا خرج الإمام المهاجر أحمد بن عيسى من العراق إلى المدينـة المنورة، وفي سنة ثمانية عشر بعد الثلاثمئة قتل القرامطة الحُجاج واستباحوا الحـرم الشريف ونـزعوا الحجر الأسود وأخذوه معهم مدة اثنين وعشـرين سـنة، وفي عهد المطيع بالله أبـي القاسم الفضل بن المقتدر اشتد الغلاء والجوع حتى أُكلـت الجيف ومات الناس على الطريق، وفي عهده أعيد الحجر الأسود إلى مكانـه، وفي عهده أيضا بدأ العمل على إقامة المآتم على الحسين بسنة اثنـتين وخمسـين بعـد الثلاثمائة، وفي ثاني عشر من ذي الحجة من ذات العام عمل عيد ديـرخم تحـت رعاية معز الدولة، قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: واستمرت هذه البدعة بعـد ذلك (٢).

وفي عصر المستظهر بالله ظهرت فتنة الباطنية وعاثوا في الارض الفساد وحار م الخليفة وهدم قلعتهم وقتل منهم عددا كثيرا.

---

(١) المصدر السابق ص٣٥٥.

(٢) المصدر السابق.

وفي عهد المسترشد بالله ابو منصور الفضل بن المستظهر ظهر امر الباطنية من جديد وكان على ايديهم قتل الخليفة في ذي القعدة سنة تسع وعشرين بعد الخمسمئة.

وفي سنة ثمانين بعد الخمسمئة حصلت فتوحات كثيرة على يد صلاح الدين في عهد الناصر لدين الله احمد وفتح بيت المقدس بعد بقائه في يد الافرنج احدى وتسعين سنة وفي عهده ظهر التتار سنة ست وستمئة.

قال الناظم:

حتى انتهوا لجمعةِ التتارِ ... من دمروا مظاهر الإعمار

يشير النظم إلى مرحلة التتار التي كانت بلاءً عظيماً على الأمة، وتحولاً خطيراً في تاريخ كل هجمة كما سبق، وأزمةً عبر عنها في «تاريخ الخلفاء» فقال: هو حديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوي كل الأخبار، وتاريخ ينسي التواريخ، ونازلة تصغر كل نازلة، وفادحة تطبق الأرض، وتملؤها ما بين الطول والعرض، يسكنون بأطراف الصين، وهم سكان براري ومشهورون بالشر والغدر، وكان أول خروجهم في سنة ست وستمئة من بلادهم إلى نواحي الترك وفرغانة وأخذوها، واستمروا في اجتياح البلاد حتى سنة خمس عشر وستمئة، فاستباحوا مملكة خوارزم شاه، وهي مملكة إسلامية جهة نيسابور، وأخذوا بخارى وسمرقند، حتى وصلوا إلى همدان وقزوين وأذربيجان وما حولها، وقتلوا غالب أهلها رجالاً ونساءً، وديانتهم عبادة الشمس، ويأكلون جميع الدواب وليس لهم نكاح يعرفون به.

ولما دخلت سنة ست وخمسين بعد الستمئة وصل التتار إلى بغداد يقدمهم هولاكو، قال الناظم:

وجاءَ هولاكو بجيشٍ جحفلِ ... يدمر الأرض بلا تعقُّلِ

حتى انتهى بجيشهِ إلى العِراق ... قتلاً ونهباً ودماراً واحتراق

قال في «تاريخ الخلفاء» ص٤٣٣: دخلوا بغداد يوم عاشوراء، وقد سبق ذكر ذلك.

وهدم المساجد الشريفة وقتل المستعصم الخليفة[(١)]
وأخرب البلاد واستباحا وروج الخناء والسفاحا

ودخلت سنة سبع وخمسين وستمئة والأمة بلا خليفة، واجتمع في الشام الأمراء والأعيان وكذلك بمصر، وقام الأمير قطز بحضور الشيخ عز الدين عبدالسلام ودار الحديث حول ما يجابه المسلمين، وفي هذه الأثناء تسلطن قطز ولقب «بالملك المظفر» وأخذ يعد العدة لملاقاة التتار.

ودخلت سنة ثمان وخمسين والبلاء بلا خليفة، والتتار يتقدم، ووصلوا في تقدمهم إلى أطراف الشام، ودخلوا دمشق وقد تحرك المصريون إلى الشام للقتال، وفي مقدمتهم الملك المظفر، فالتقى الجيشان عند عين جالوت، واصطفوا للقتال يوم الجمعة خامس عشر من رمضان، وهزم التتار شر هزيمة، وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا الأدبار، ودخل المظفر إلى دمشق مؤيداً منصوراً، وساق الظاهر بيبرس وراء التتار إلى بلاد حلب وطردهم عن البلاد، واختلف الظاهر مع المظفر حول بعض الأمور فاتفق بيبرس وبعض من معه على قتل المظفر فقتلوه في طريق العودة إلى مصر وغير لقبه إلى «الملك الظاهر».

ودخلت سنة تسع وخمسين بعد الستمئة والبلاد لا زالت بلا خليفة، فأقيمت الخلافة بمصر وبويع الخليفة المستنصر، وكان مدة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصف.

---

(١) يبدأ منذ هذا العهد عهد جديد في تاريخ التحولات، قال ابن الأثير في تاريخه: إن أحداث سنة ٦١٧ هـ التي وقع فيها غزو المغول تعج بأعظم كارثة حلت بالإنسانية. اهـ ص١٦١ من «الفتنة المعاصرة» لفؤاد علي مخيمر.

والخليفة المستنصر بالله هو أحمد أبوالقاسم ابن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد العباسي، وكان محبوساً ببغداد، فلما أخذ التتار بغداد أطلق فهرب إلى عرب العراق، فلما تسلطن الظاهر بيبرس وفد عليه فتلقاه السلطان خارج مصر وأدخله في حفل مهيب ثم بويع له بالخلافة، ثم ارتحل إلى العراق وودعه السلطان بيبرس وخرج معه جملة من الأمراء والحكام، وفي الطريق لقيه عسكر من التتار فتصافوا له فقاتلهم وقتل جماعة من المسلمين وقتل الخليفة المستنصر، وذلك في الثالث من محرم سنة ستين بعد الستمئة، وكانت خلافته دون الستة الأشهر [1].

وبويع من بعد المستنصر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن حسن ابن علي القُبي ابن الخليفة المسترشد بالله ابن المستظهر بالله، وكان قد اختفى أيام التتار ثم نجا وخرج من العراق ودخل دمشق، فلما جاء الملك المظفر بعد هزيمة التتار في عين جالوت اجتمع به وبايعه بالخلافة، وبقي في أنحاء الشام يقاتل التتار واستنصر عليهم في عدة مواقع، ولما رجع الظاهر بيبرس إلى مصر أرسل إليه ولكنه تأخر في الجهاد فبويع للمستنصر بالخلافة، ولما قتل المستنصر طلبه الظاهر بيبرس للدخول إلى مصر فدخل وأكرمه وبايعه بالخلافة وامتدت أيامه نيفا وأربعين وسنة[2].

وفي محرم من عام إحدى وستين بعد الستمئة جاء إلى مصر جماعة من التتار مسلمين مستأنسين، وكان ذلك بداية خفوت أمرهم وكفاية شرهم[3]، وفي سنة ثلاث وستين وستمئة مات الطاغية هولاكو.

---

(١) «تاريخ الخلفاء» ص ٣٣٩ - ٤٤٠ باختصار وتصرف.

(٢) المصدر السابق ص٤٤١.

(٣) المصدر السابق.

وفي سنة ثمانين بعد الستمئة عاد جيش التتار إلى الشـام وحصـل الإرجـاف، وخرج السلطان لقتالهم وانتصر المسلمون [1].

وفي سنة أربعة وتسعين وستمئة دخل إلى الإسلام «قمازان بن أرغون بن ابغابن بن هولاكو» ملك التتار، ففرح الناس بإسلامه وفشا الإسلام في جيشه.

وفي سنة ست وثلاثين بعد الستمئة، مات ملك التتار أبو سعيد، وهـو آخـر ملوكهم عدلاً، ولم تقم لهم بعد موته قائمة[2].

وفي جماد الأولى سنة ثلاث وستين بعد السبعمئة تولى الخلافة المتوكل علـى الله أبوعبدالله محمد بن المعتضد، وامتدت أيام خلافته خمساً وأربعين سنة، وولي الخلافة من ولده خمسة.

وكان من أعماله إحداث العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء من آل البـيت سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة، وقال في ذلك أبوعبدالله ابن جابر الأعمى صـاحب شرح الألفية:

جعلُـوا لأبنـاءِ الرسـول علامـةً إنّ العلامـةَ شـأنُ مـن لم يشـهر
نور النبـوةِ فـي كـريم وجـوهِهم يغنِي الشريف عن الطِـراز الأخضـر

وفي سنة ثمان وثمانمئة مات الخليفة المتوكل،وما جاء بعد هذه المرحلة كان ضعفاً مستطيراً وبلاءاً متفشياً، وقد سمى المؤرخون عصر اكتساح المغول لبغداد وسقوط الخلافة "مرحلة الا يار"، وما جاء بعدها يطلق عليه «عهد الدويلات» لعدم انتظام العالم الإسلامي والعربـي تحت دولة واحدة وقرار موحد.

(١) المصدر السابق ص ٤٤٣.

(٢) المصدر السابق ص ٤٤٦.

مرحلة الدويلات
وبروز مرحلة صلاح الدين الأيوبي

قال الناظم:

واحتـدمت مظـاهر التحـول ... ومـا جـرى مـن فتنـةِ التبـدل
تمزقـت ثوابـت الخلافـةِ ... وحـل بالعـالم كُـل آفَـةِ
وصـار حكْـم العـالم الإسـلامي ... بِضـع دويـلاتٍ بـلا انسجامِ

بعد أن أجهز المغول على الخلافة العباسية أصبح العالم الإسلامي ممزق الأوصال، كل دويلة يحكمها حاكم له أطماعه ورغباته، والشعوب مغلوب على أمرها تعيش حياة البؤس والهوان.

وكما سبق ذكره في الأحداث الجارية بعد سقوط دولة بغداد فإن الدويلات المتنازعة لا يستقيم لها أمر ولا يستقر لها كيان، اللهم إذا استثنينا مرحلة هزيمة المغول على يد المماليك وانتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين وتطهير بيت المقدس منهم(1).

قال الناظم:

واستطمع الكـافر فيهم وبـدا ... يجنـد الجيـوش يغـزو البلـدا
كذا الصليبيونَ عـاثوا في البلاد ... لولا صلاح الدين أحيا للجهاد
وخلـص القُـدس ورد الكَفَـرهْ ... ويـوم حِطـين الصـليب دحـره

---

(1) «الفتنة المعاصرة» ص١٦٤.

إعادة القرار ودولة الخلافة على يد بني عثمان

وجاءَ للحكمِ بنو عثمان دكوا صروح الإفكِ والبهتان
وأجمعوا على قرار الأمةِ تحت شعار الدين والخلافةِ

أشارت الأبيات إلى عهد جديد من عهود التحول في تاريخ الأمة، حيث عاشت الأمة الإسلامية منذ سقوط الخلافة على عهد اكتساح التتار لبغداد وما بعدها تشتيتاً للقرار، وعاشت حالة من التفكك والفوضى والصراع سواء كانت فوضى وصراع الغزاة والمتنافسين من المسلمين ضد بعضهم البعض، أو صراعهم مع الروم والتتار والصليبيين وغيرهم من الطامعين.

إلى أن جاء قدر الله لدولة بني عثمان في تركيا، إذ بدأ العثمانيون يقاتلون الروم ويناوشونهم حتى انتصروا عليهم واستولوا على عاصمتهم وهي «القسطنطينية» عام ١٤٥٣م، وجعلوها عاصمة لهم، وتمكنوا أيضاً من الاستيلاء على كثير من البلاد العربية المفككة والتي طمع فيها البرتغاليون، ووحدوا قرار العالم العربي والإسلامي بإعلان الخلافة العثمانية على أنقاض الخلافة العباسية، وكان ذلك تحولاً هاماً في تاريخ القرار الإسلامي العالمي بعد انتكاسه وتفككه.

تأسست الدولة العثمانية نسبة إلى صاحبها ومؤسسها الأول عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه التركماني الذي انتصر في حربه على جملة من القبائل في آسيا الصغرى، فارتفع أمره عند آخر الملوك السلاجقة السلطان علاء الدين فقربه وولّاه على البلاد، ولقب بالملك، وفي سنة ٦٩٩ هـ توفي السلطان علاء الدين وصفا الجو لعثمان وغزا بلاد الروم وحارب التتار وأخرج الروم من آسيا الصغرى،

وتواتر بنو عثمان على الملك وحاربهم تيمورلنك مع بداية استقرار ملكهم، وعاث في مملكته الفساد، وثبت آل عثمان في حربهم ضد تيمورلنك وجيوشه، كذلك حربهم مع المسيحيين من جيرانهم في المجر والصرب وغيرها، واستطاع السلطان مراد العثماني فتح العديد من البلدان رغم الخسائر والمناوشات الكبيرة التي عانتها بلاده.

وفي عهد محمد الفاتح العثماني استطاع أن يدافع عن مملكته ويسترد ما أخذ منها ويفتح القسطنطينية بعد أن أخذت منهم، وعاد إلى بلاد الصرب وما حولها ليفتحها، واستمرت فتوحاته في البلاد اليونانية وغيرها، ومات السلطان الفاتح في ربيع الأول سنة ٨٨٦هـ ودفن بالآستانة.

وتولى بعده الحكم ابنه السلطان بايزيد، وفي عصره استقرت أمور الدولة، ومات بايزيد في ربيع أول سنة ٩١٨ هـ وتولى الحكم سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح الذي حارب الدولة الصفوية بإيران واحتل تبريز، ثم تحول إلى فتح بلاد الشام ومصر.

وكان عصر السلطان حسن الغوري، والتقى جيشه مع العثمانيين قريباً من حلب في مرج دابق، وقُتل السلطان الغوري في المعركة، واستلم السلطان سليم بلاد الشام وأعاد أعمارها وأكرم علماءها، ثم سار إلى مصر ودخلها، وقامت معارك مع المماليك حتى قتل سلطانها طومان، ودخلت مصر في طاعة الدولة العثمانية [1]، واستبدلت العمامة بالطربوش، وأرسلوا لشريف مكة الشريف بركات في شأن الدخول في طاعة الدولة العثمانية فقبل الشريف، وأخذوا للسلطان البيعة في

(١) «شرح أشعة الأنوار» للبريحاني (٢: ٢٠٨) باختصار وتصرف.

الحرمين الشريفين، وعاد السلطان إلى تركيا ومات في ثمانية شـوال ٩٢٦ هـ ـ وعمره أربع وخمسون سنة.

وتولى بعده سليمان باشا القانوني وهو عاشر ملوك العثمانيين، وسمي بالقـانوني لأنه سن العديد من القوانين المدنية الموافقة للشريعة الإسلامية، وفي عهده فتحـت بلغراد، وفتح جزيرة رودس في البحر الأبـيض، وهي حصن منيع استعصت على من قبله، ووقع معهم معاهدة استسلام، وخرجوا من الجزيرة إلى مالطة، ودخلـت الجيوش الإسلامية الجزيرة، ثم احتل العثمانيون بلاد القرم، وطالت الحـرب مـع النمسا ولم يتمكن السلطان من فتحها لشدة البرد وبعد المسافات على التموين[1].

وفتح العثمانيون بلاد العجم من أرض فارس بعد تمردهم وبلاد ا ـر، ثم تقدم إلى بغداد وكانت تحت حكم العجم، ورفع عليها علم الخلافة العثمانيـة، وأصـلح المنشآت والقبور والمآثر، وعاد إلى تبريز، ومنها وصله الخبر بفتح الجزائر، وبدايـة غزو السواحل الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وفي سنة ١٥٣٤م احتـل تـونس؛ ولكن الإسبان أعادوا تونس مرة أخرى.

وجهز القانوني جيشاً من السويس بمصر لمطاردة البرتغـاليين في ميـاه المحـيط الهندي، ولتعزيز قوته في اليمن، وتجديد الحملة على عـدن، واسـتطاع الجـيش الاستيلاء على عدن وأخرج آخر حكام الطاهريين منها، وأصبح معظم اليمن بـل كله تابعاً لبني عثمان اللهم إلا بعض أجزائه التي استولى عليها أئمة الزيدية[2].

---

(١) المصدر السابق (٢: ٢١٧).

(٢) المصدر السابق (٢: ٢٢٢).

وبعد فتح عدن توجه العثمانيون إلى الهند لمقاتلة البرتغاليين براً وبحراً، ولكنهم انهزموا وعادوا إلى عدن[1]، وتواترت الحروب بين العثمانيين والزيدية حول صنعاء حتى توفي السلطان سليم القانوني في سنة ٩٧٤هـ.

وتولى الحكم بعد سليمان القانوني سليم الثاني وواصل فتوحاته وحروبه على نسق أبيه، وكان من أعمال سليم الثاني غزو قبرص، واستمرت تحت الحكم العثماني إلى سنة ١٣٩٥هـ، ثم تنازلت عنها تركيا للإنجليز أيام السلطان عبدالحميد الثاني[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (٢: ٢٢٩).

المرحلة الغثائية

بدء انهيار دولة الخلافة وبروز الفتن:

الأحلاس ، السراء ، الدهيماء ، الصّمّاءُ العَمْيَاءُ
(الاستعمار ، الاستهتار ، الاستثمار)

بدء ضعف الدولة العثمانية
وظهور مرحلة الغثائية

لما بـدا الضـعف بدولـةِ القـرار   وبرزت فيهـا شـروطُ الإنحسـار
وظهـرت معـالِم الحضـارةْ   في الغـربِ وازدانـت الإدارةْ
توجـه الأتـراك نحـو الإقتبـاس   فدخلَ النخـر إلى عمـق الأسـاس

يشير الناظم إلى بدء ما حل بدولة الخلافة ، حيث تواتر سلاطين آل عثمان مـن بعد سليم الثاني في مرحلة بدأت فيها أطماع الدول الأوروبـية، واكتشـف رأس الرجاء الصالح، وكانت البرتغال مملكة أوروبـية في الجنوب الغربـي من أسبانيا على المحيط الأطلنطي وعاصمتها «لشبونة»، وشعبها شعبا استعماريا، ولهذا طمعوا في السيطرة على البحار، ووجدوا في دولة آل عثمان ضعفاً في التسليح الحربـي مما يسر للبرتغاليين غزو الشواطئ، ولم ينتبه العثمانيون لهذا الخطـر إلا في عهـد سليمان باشا القانوني.

قال الناظم:

وأولُ العهـدِ قَـوِي مظهـره   دِينـاً ودنيـا وكـذاك جـوهره
وآخِـر العهـدِ انحسـار وا نهيـار   ودخن في الحُكْمِ من تحـت السـتار
أفْضـى إلى تـدخل اليهـودِ   ودعمِهـم سِياسـةَ التجدِيـدِ
تغلغلُـوا في الحُكْـمِ باسـمِ الـدين   إذْ أسـلموا زوراً بـلا يقيـين
وكوّنـوا سياسـةَ الأحـزابِ   وهيـؤوا الأوطـانَ للخـرابِ

تشير الأبـيات إلى مرحلة الدولة العلية العثمانية وما كانت عليه في بداية أمرها من القوة والمنعة والعزة، مما جعل لها في نفوس الأعداء هيبة ومكانـة في شـؤون الدين لما كانت عليه من نصر لمنهج الإسلام على منهج أهل السنة، و ذه الهيبـة انتشر المذهب السني في أطراف العالم، وتعزز مذهب أهل الـذوق «التصـوف» وساد رجاله وعلماؤه برغم مآخذ البعض على علا م من الإفـراط والتفـريط؛ ولكنها كانت مرحلة ذات أبعاد، ولكل مذهب ورؤية إفراط وتفريط في الغالب، والمتربصون دائماً لا يقفون إلا عند السيء أو الوجه المظلم لا غير.

وكفى أن هذه الإفراطات والتفريطات مع غيرها من العوامل كانت مـن أهـم أسباب ضعف الدولة فيما بعد، وبدء انحدارها في العد التنـازلي أمـام ضـربات أعدائها وسياسة أضدادها ومؤامرات أبنائها الذين ر م مظاهر الحضارة الغربـية وأبواق الدعوات التحررية، ففتحوا على أنفسهم أبواب كل شيء، فكانت مـن أخطر الأمور المؤدية إلى الا يار، وتتلخص هذه العوامل فيما يلي:

١) تأثر الدولة بالحضارة الغربـية والتمتع بالشهوات.

٢) اتصال المفكرين والمثقفين المسلمين بالأوربـيين وكثرة البعثـات إلى أوربـا والانغماس في الحريات الأوروبـية.

٣) تغلغل يهود الدونمة في الجمعيات والتكتلات السياسية، ووصولهم من خـلال الحزبـية إلى مواقع القرار، وتشجيع هذه الجمعيات على النمو واختراق الواقـع التقليدي.

٤) التأثر الأعمى بسياسة القوميات التي روج لها اليهود، كسياسة التتريـك [1] والتعريب وحركة الانفصال، وخاصة في شعوب البلقان المسيحية[2].

---

(١) التتريك: مبدأ تركيا للأتراك، وهي ما تسمى بالدعوة إلى الطورانية (القومية التركية).

(٢) كانت هناك دعوة تسمى (السلافية)، وهي توحيد صفوف نصارى البلقان ضد المسلمين.

٥) تأثر العديد من الحكام وبطانات البلاط العثماني والجند بدعوة العلمانية «فصل الدين عن الدولة»، وهو ما كانت تروج له الدول الأوروبية إبان مرحلة الثورة الصناعية.

قال الناظم:

فسميت بفتنة الأحلاس ... كما أتى في قول خير الناس

هرب وحرب وانتقاض الدول ... عن القرار الواحد المبجل

تشير الأبيات إلى ما سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «**بفتنة الأحلاس**» وهي من أمارات الساعة، وقد صنف العلماء هذه الفتنة بأنها من الفتن التي قد عبرت في فتن المراحل المتقدمة، جاء في ذيل «الإشاعة» قال الإمام الشاه ولي الله رحمه الله: يشبه والله أعلم أن تكون فتنة الأحلاس قتال أهل الشام عبدالله بن الزبير رضي الله عنه. ذكر ذلك في «الحجة البالغة» (٣: ١٩٦).

قال في «بذل المجهود» (١٨: ١٣٢) في شرح معنى «الأحلاس»، قال: جمع حليس وهو ما يبسط تحت حر الثياب فلا تزال ملقاة تحتها، وقيل الحلس: هو الكساء على ظهر البعير تحت القتب.

قال في المتن: كنا قعوداً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس، قال: «هرب وحرب» قال في شرح بذل المجهود: «**هرب**» بفتحتين: أي: يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة، «**وحرب**»: بفتحتين أي أخذ مال وأهل بغير استحقاق.

قال الشارح: والذي أظن أنها فتنةٌ حدثت في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه وثارت بعد المسلمين، حتى تمادت وبقيت إلى زمن معاوية، واتفق عليه بعد صلح الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه.

قال في «بذل المجهود» ص (١٨: ٣٩٦): فتنة الأحلاس حملها الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي في «حجة الله» (٣: ١٥٩) على قتال أهل الشام ابن الزبير رضي الله عنه.

وفي «البذل» (٥: ٨٨) على مقتل عثمان رضي الله عنه: قلت: وإذا كان المفسرون للحديث قد جعلوا «فتنة الأحلاس» هي ما جرى لابن الزبير أو مقتل عثمان، فإن سياق الحديث يشير إلى تلازم فئتين معاً لا يفصل بينهما زمن طويل ولا عهد متقادم، فالحديث الشريف يجمع بين مرحلتين متقاربتين كما هو في النص: «فقال قائل يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ فقال: «هرب وحرب، ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجلٍ من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون»، قال الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في «شرح الإشاعة» للبرزنجي عند هذا الحديث وقوله: «ثم فتنة السراء»: قال في «حجة الله» (٣: ١٥٩): هو تغلب المختار أو خروج أبي مسلم الخراساني لبني العباس، وفي «البذل» (٥: ٨٩): على فتنة شريف مكة سنة ١٣٣٤ هـ، قال في الحاشية: قال الإمام السهارنفُوري رحمه الله: والذي يظهر لي أنها هي الفتنة التي حديث في رمضان سنة ألف وثلاث مئة وأربع وثلاثين، ومنشؤها أن الشريف حسين بن علي كان في زمن حكومة الأتراك وحكومة النصرانية فلحق بالحكومة النصرانية سراً ووافق معهم على حرب الأتراك، فقتل الأتراك الذين كانوا في مكة المكرمة وسبى نساءهم، ثم تولى الحكومة بنفسه وسمى نفسه «ملك الحجاز»، وبقيت حكومته قريباً من عشر سنين، ثم اضمحل أمره واصطلح الناس على حكومة ابنه علي بن الحسين، ولم ينتظم له أمر، فبقي كورِكٍ على ضِلْعٍ، وإنما سمي هذه الفتنة فتنة السراء لأن مبناه وأسباب حديثها كان في السر، فإن الحكومة النصرانية أحالته إليها وأرسلت إليه من الجنيهات ألوفاً في السر ليبغي على حكومة الإسلام

وينحرف عنها، فقسم من هذه الجنيهات في البدو وتوافق معهم على قتال الأتراك المسلمين وكل ذلك في السر، واتفق أن قائد الأتراك الذي كان بمكة أُخبر بشـيء من تلك الفتنة فسأل الشريف عنها فحلف له عند الكعبة لأنه لا أصل لها، حـتى اطمأن قائد الأتراك، ثم وقع ما وقع» [1].

قلت والله أعلم: وعلى هذا التعليل الذي فسره الشيخ السهارنفوري رحمـه الله يكون أيضاً معنى فتنة «الأحلاس»: مرحلة ا يار الدولة العثمانيـة ومـا طـرأ في أخريا ا من مؤامرات غير واضحة ولا معلومة، لأ ا سبقت فتنة السراء التي ذكرها الشارح، وبـينهما تلازم زمني، فالأقرب على هذا المعنى المشار إليـه أن «فتنـة الأحلاس» -وفي اللغة: الحلس ما يبسط تحت الثياب إشارة إلى الخفا والتمويـه- هي تلك المرحلة الحرجة التي تحركت فيها قوى الاستعمار الأوروبـي بعيد ظهور الثورة الصناعية لتعمل على الاستبداد المبطن على ما سمي بتركة الرجل المريض.

ففتنة الأحلاس شملت العالمين العربـي والإسلامي بمؤامرة الـدول الأوربـ ـية عليها بأسلوب مبطن وخفي.

وفتنة السراء تجاوب حكام المسلمين فيها سراً مع الدول الأوروبـ ـية للقضـاء على قرار الحكم، واستتباع ـوكات اليهود والنصارى في المطالبـة بالقوميـات والحريات وغيرها، وما جرى بعدها من الحروب العالمية والمؤدية إلى تغيير خريطـة العالم العربـي والإسلامي وظهور القوى الجديدة في العالم.

قال الناظم:

وجـاء عهـد (فتنـةِ السـراءِ)   كما أتى عـن صـاحب الإسـراءِ

---

(١) «الإشاعة» ص٣٩٧.

تآمر الغـرب مـع الشـرق سـوا ضِـد الهـلال بطريـق الإلتِـوا

تشير الأبـيات إلى فتنة السراء التي أشرنا إليها سلفاً، وأ ا المرحلة التي خطـط فيها المستعمرون مع زعماء الدول العربـية ومشايخ العشائر بمعاهـدات سـرية تفصل العلاقة بـين هذه الدول وقرار دولة الخلافة العثمانية.

وقد تميزت هذه المرحلة مع مرحلة فتنة الأحلاس السابقة لها بما يلي:

أ) **فتنة الأحلاس:**

١- العمل السري المبطن من الدول الأوربـية ضد قرار دولة الإسلام المتمثل في تركيا.

٢- إثارة العرقيات والقوميات وبدء نشاط يهود الدونمة في تركيا والعالم.

٣- إنشاء الجمعيات السرية والعلنية والأحزاب السياسية.

٤- بداية الأطماع التوسعية في البلاد العربـية والإسلامية بعـد اكتشـاف رأس الرجاء الصالح وظهور مرحلة الثورة الصناعية.

٥- تحرك العصبـية الصهيونية ضمن هذه الفتنة لإيجاد وطن قومي لليهـود عبر المؤامرات والدسائس.

٦- ظهور الحركة الماسـونية وتحريـك أتباعهـا في العـالمين الإسـلامي والأوروبـي الشرقي والغربـي.

ب) فتنة السراء:

١- استجابة الشريف حسين لسياسة القوميات والتخلي عن دولة القرار.

٢- بدء المعاهدات السرية بـين الـدول الأوربـيـة الغازيـة، ومشـايخ وسلاطين البلاد العربـية والإسلامية لنقض العلاقة بـين الدولة العثمانية وهـذه الدويلات.

٣- اللقاءات السرية بين زعماء الدول والأحزاب والجمعيات العربية والإسلامية مع الدول الغربية.

٤- تأثر المفكرين والقادة العسكريين والمثقفين بالحياة الغربية والعمل المبطن من العائدين على تطبيق نماذج الغرب في الأوطان العربية والإسلامية(١).

٥- نشاط الحركة الصهيونية وعقد المؤتمرات المتتالية والمؤلفات ذات الصلة المباشرة بالحرب ضد الإسلام(٢) واستقطاع أرض فلسطين للقومية اليهودية والعمل على تحقيق ذلك بشتى السبل والأساليب.

قال الناظم:

وآخِـر الحُكّـامِ رمـزاً وشـعار عبد الحميدِ كـان مـأمونَ القـرار

حـتى أزيـح بالسـلاح والجنـود لمّـا أبى مـنح الأراضـي لليهـود

تشير الأبيات إلى آخر خلفاء الدولة العلية السلطان عبد الحميد الثاني، وهو السلطان المنقذ للدولة العثمانية ولقرار الخلافة في العالم العربي والإسلامي، رغم

---

(١) كتب هرتزل لعبد الحميد الثاني في هذا الشأن يقول: لي الشرف أن أقدم الاقتراح التالي: إني أدرك الصعوبة التي تواجه حكومتكم بسبب ذهاب شباب تركيا لتلقي العلم في الخارج وما يتعرضون له من ضياع، وبخاصة في تأثرهم بالأفكار الثورية، إننا معشر اليهود نلعب دوراً هاماً في الحياة الجامعية في جميع أنحاء العالم، وبهذا نستطيع أن نقيم جامعة في إمبراطوريتكم ولتكن في القدس مثلاً، وبهذا نخدم العلم والطلاب ونخدمكم أيضاً. اهـ ص٣٩ «اليهود في الوطن العربي» لداود عبدالغفور.

(٢) عقد في حياة هرتزل ستة مؤتمرات صهيونية كان آخرها مؤتمر عام ١٩٠٣م وعام ١٩٠٤م، توفي هرتزل ونقل رفاته إلى فلسطين عام ١٩٤٩ م بعد احتلال فلسطين، ودفن على جبل في القدس سمي باسمه «جبل هرتزل».

ما أحاط به من المؤامرات والخديعة وما كانت عليه الدولة من الضعف والإحباط والديون الكبـيرة.

وقد كانت فتنة الأحلاس وفتنة السراء إذا صح التفسير تدور حـول سياسـة الإطماع العالمية، وتفكيك الدولة العثمانية، والإحاطة ا وتفكيك شملها واقتسـام ثروا ا وحدودها. كتب الدكتور عبد الودود شلبـي في كتابـه «أفيقـوا أيهـا المسلمون» ص١٤ ما مثاله:

وقد كان القرن التاسع عشر ولا ريب أسوأ من كل القرون التي تقدمته، لأنـه القرن الذي نبعت فيه «**المسألة الشرقية**» [١] من بقايا الحروب الصليبـية، وكانت المسألة الشرقية تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبـية، وهـو دور التفاهم بـين دول الاستعمار على تركة الرجل المريض[٢]، وتبادل الأعضاء عـن كل طرف متفق عليه يقع في قبضة الطامعين فيه من المتنـازعين علـى التركـة وصاحبها على قيد الحياة[٣].

والدولة العثمانية كان لها دور لا يستهان به في تاريخ القرار الإسلامي، كتـب أنور الجندي في كتابه «الإسلام والغرب»: ولا ريب أن الدولة العثمانية هي القوة الإسلامية التي نشأت بعد الحروب الصليبـية وحمت العالم الإسلامي من الغـزو الغربـي مدة خمسة قرون كاملة [٤].

---

(١) كانت المسألة الشرقية تعني أول الأمر تخليص الممالك المسيحية من أيدي الدولة العثمانية، وفي مرحلة ثانية أصبحت تقسيم الدولة العثمانية والدول الإسلامية التابعة لها من قبـل الدول الأوربـية. اهـ «أيها المسلمون أفيقوا» ص١٤.

(٢) اصطلاح أطلقته الدول الأوربـية على الدولة العثمانية في مرحلتها الأخيرة.

(٣) «أيها المسلمون أفيقوا».

(٤) «الإسلام والغرب» ص١٢٦.

ويعزو بعض الباحثين نجاح الدولة العثمانية كون تشكيلها في جـوهره كـان (حربـياً)[(١)]، وكانت جيوش الدولة تخوض الحرب بحماسة دينية شديدة، وكانت عبارتهم المشهورة: «**إما غازي وإما شهيد**»[(٢)]؛ ولكن هذه المبادئ والمواقف تلاشى أمرها في نهاية الأمر مع اضطراب الدولة إلى مجارات الطوائف المتنوعة والسماح لها بحرية النشر وإنشاء المدارس الخاصة، وأيضاً استعانة السلطان محمود باشا في مرحلة خلافته بالعقل الأوروبـي في المناهج تحت شعار أثبت فشله «أن الطريق الوحيـد لمحاربة الغرب هي استعمال أسلحته» [(٣)]، وفتحه أيضاً باب خطة إصلاح الجـيش طبقاً للنظام الأوروبـي عام ١٨٢١م هي التي فتحت الطريق أمام الشباب العثماني أن يقع فريسة القوى التغريبـية الأوروبـية تحت شعارات الإخـاء والمسـاواة والحرية وما إليها[(٤)].

وقد أتاحت هذه الفرص الانفتاح الثقافي الغربـي وقيـام الجمعيـات السـرية والمحافل الماسونية تحت نفوذ الامتيازات[(٥)].

ولما تنبه السلطان عبدالحميد[(٦)] إلى هذا المخطط الرهيب كان الوقت متـأخراً، فالذين سموا بالاحرار قد نموا نفوذهم في داخل الجيش[(١)]، وأصبحت خطراً معقداً له مقوماته التالية:

---

(١) المصدر السابق ص١٣٢.

(٢) المصدر السابق ص١٣٣.

(٣) المصدر السابق ص١٤٦.

(٤) المصدر السابق ص١٤٧.

(٥)المصدر السابق ص١٤٧.

(٦) ترجمة السلطان عبدالحميد الثاني: ولد السلطان عبدالحميد عام ١٢٥٩م وتولى الخلافة بعد عزله لأخيه مراد الخامس سنة ١٢٩٣م وعمره أربع وثلاثون سنة، فكان عليه أن يسـير

١- يهود الدونمة في سالونيك ومحافلهم الماسونية.

٢- الارساليات التبشيرية في فروعها المختلفة وما تحتـوي مـن شـباب المسلمين والعرب.

٣- جمعية الاتحاد والترقي واحتواء المحافل الماسونية لها الأقليات الأجنبـية وتعاو ا الداخلي والخارجي.

٤- مشروع هرتـزل للبحث عن وطن قومي لليهود.

وتكاد هذه المقومات تشير إلى ما أثمرته «فتنة الأحلاس» المذكورة في الحـديث والذي مهد «لفتنة السراء» اللاحقة.

وسمح بحرية المطبوعات، وبرز في عهود وجمعية الاتحاد والترقي التي لعبـت دوراً خطيراً في محاربة قرار الخلافة وتغريب الدولة العثمانية، كما برز دور هرتـزل في المطالبة بوطن قومي لليهود ورفض الخليفة طلبه وحذره من ذلك، فعمل في الســر على الإطاحة بالخليفة، وكانت مدة حكم السلطان عبد الحميد ثلاث وثلاثين سنة قدم خلالها خدمات جليلة للإسلام والمسلمين.

وفي ٢٧ إبريل ١٩٠٩م أُجبر السلطان عبدالحميد على التنازل، ونقل إلى ولايـة سلانيك مع أسرته وبعض مرافقيه ثم نقل إلى أحد قصور إستانبول، حيث كتـب هناك مذكراته قبل وفاته في ١٠ شباط ١٩١٨م، واعتبر اليهود والماسونيون يـوم فاته عيداً لهم ساروا فيه بمظاهرة كبـيرة في مدينة (سلانيك) وطبعـوا صـور المظاهرات في بطاقات بريدية. اهـ.

بالدولة في بحر لجي مليء بالمتناقضات فحاول أن يجمع كلمة الأمة بدعم المسلمين ضـد أوروبا، وقرب العلماء ونظم المحاكم، وقام ببعض الإصلاحات وسايس الوضع العـالمي بإقامة سياسة التوازن وأباح التعليم وجعله إجبارياً.

(١) «الإسلام والغرب» ص١٤٧.

وبعده تسلط الأعداءُ ... وحكموا العالم كيف شاؤوا

وجاءنا عهد الغثاءِ والوهن ... عهد السقوطِ في مضلاّتِ الفتن

يشير النظم إلى ما كسبه العالم الإسلامي والعربي من الإطاحة بالسلطان عبد الحميد، حيث سلم الحُكم من بعده إلى شقيقه (محمود رشاد) وتسمى باسم السلطان محمد الخامس، وكان ضعيف الشخصية إذ كان لا يملك ولا يحكم، وتسلم الحكم أعضاء الاتحاد والترقي، وبدأت مرحلة جديدة من الخداع والقرارات الكافرة، وبعد فوضى داخلية تقلبت فيها الوزارة، وعقد مؤتمر لوزان عام ١٩٢١م حضره وفد مصطفى أتاتورك[1]، وضع الوفد الإنجليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا:

١- إعلان إلغاء الخلافة الإسلامية.

٢- طرد الخليفة خارج الحدود.

٣- إعلان علمانية الدولة.

---

(١) هو مصطفى كمال أتاتورك، ولد سنة ١٢٩٦هـ بتركيا، ونشأ مشتت العلاقة الحياتية، ودرس في المدارس الحربية، وتخرج من الكلية الحربية برتبة رائد، كون جمعية الوطن والحرية في الخارج، ثم انضم مع جمعيته إلى حزب الاتحاد والترقي، وكان مستهتراً بالقيم مدمناً للخمر، ترقى في مناصب عسكرية عديدة أهمها نائباً لقيادة الجيش الثاني المرابط في شرق تركيا، عند اية الحرب العالمية عين مفتشاً عاماً للجيوش، وكان له دور في مساومة الحلفاء لإنجاح طموحا م مقابل الوصول إلى الحكم، وجرت بينه وبين السلطان عبد الحميد مناوشات عديدة حتى تمكن مع يهود الدونمة من تحريك الجيش ضد الخليفة وعزله، ثم القيام بالتنازلات المتتالية للحلفاء للسيطرة على مقدرات الدولة وحدودها والزج بالدولة في حروب خاسرة، توفي مصطفى أتاتورك بعد حكم رئاسي استمر ١٥ عاماً، وكانت وفاته عام ١٩٣٨ م. راجع في ذلك ((السقوف المنهارة)) تحت الطبع للمؤلف.

٤- مصادرة أملاك بني عثمان.

ومنذ تلك اللحظة والدولة العثمانية تحت قبضة العلمانية ويهود الدونمة، وكلاهما يؤدي دوراً هاماً في إنجاح اللعبة.

تقَاسم الكُفّار أرض المسلمين **واستثْمروا حدودهم بِضع سِنين**

وطَبعوا البلاد بالتقسيمِ **وجهلوا الأجيالَ بالتعتِيمِ**

وأوغَلُوا في **نهبِ ما** في **القَصعةِ** **وابتدعوا** في **لُعبةِ القَومِيةِ**

يشير النظم إلى ما أثمرت عنه فتنة الأحلاس وما صنعته بعدها فتنة السراء من خيانات مبطنة أودت بالخلافة الشرعية، وبدأ عهد الطورانية القومية، القائمة على إثارة العصبية لدى العرب من جهة والأتراك وبقية الأمم من جهة أخرى، حتى انفصلت كثير من البلدان عن دولة القرار المنهارة.

وارتكز محور الانقسام والتجزؤ بثورة صربيا والبلقان والبلغار بحجة القوميات ضد الدولة الإسلامية، وإنشاء الدول الأوروبية حِلفا دفاعيا مشتركا ا ة الدولة العثمانية، ثم نشوب حرب بين روسيا وتركيا أدى إلى هزيمة تركيا وتوقيع معاهدات مجحفة ضد الدولة العثمانية، حصلت بموجبها الدول الأوروبية على نصيب من أراضي الدولة العثمانية.

وفي هذه الأثناء انتهزت إيطاليا فرصة انشغال الدولة العثمانية بمشاكلها الداخلية، فهاجمت ليبيا على حين غرة بمساعدة فرنسا، واحتلت طرابلس وبرقة رغم مقاومة الشعب الليبي، واحتلت فرنسا أرض الجزائر وتونس مدعية أ ا تدافع عنها عام ١٢٩٩هـ.

واحتلت بريطانيا مصر عام ١٢٩٩هـ ثم السودان، وتقاسمت بريطانيا شرق إفريقيا مع فرنسا وإيطاليا والحبشة.

وكانت هذه الحروب بدء اشتعال الحرب العالمية الأولى ووقودها، وهـي الـتي انتشر وارها في العالم كله.

وجاءت أثناء ذلك ثورة البلاشفة في روسـيا عـام ١٩١٧م عنـدما وصـل الشيوعيون محل القياصرة، وقاوم المسلمون الروس هذه الثورة أعواماً طويلة، حتى لما تم للبلاشفة السيطرة على المناطق فرقوها إلى قوميات وأسموهـا جمهوريـات، وأُعدِم زعماء المسلمين وأُحرِقت ديارهم وهدمت المساجد وحول بعضها إلى نوادٍ ليلية، ومنعت الجمعة والسفر إلى الحج، وأُغْلقَت مدارس القرآن والتعليم الشرعي.

وانتهت الحرب العالمية الأولى بخسارة الدولة العثمانيـة الصـورية كـثير مـن أراضيها(١)، وبدأ العمل على يئة مصطفى كمال أتاتورك لإعلان الدولة العلمانية بديلاً عن الإسلام، ومال إليه الحلفاء، ودعموه في كل مشاريعه الداخلية، ودعت بريطانيا إلى مؤتمر لندن لحل المسائل الشرقية حضره مندوبون من كافة الأطراف، ورجع المؤتمر دون اتفاق، وتحرك مصطفى أتاتورك لقلب الحكومة في أنقرة مرات عديدة حتى كان آخرها الحكومة التي قررت إلغاء السلطنة وإعلان الجمهوريـة في ٢٠ ربـيع الأول ١٣٤٢هـ ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٣م، وانتخـب مصـطفى أتاتورك رئيساً حينها بالإجماع ووقع بعدها الصلح مع الحلفاء، وإصدار مرسومات علمانية الدولة، وتخلى أتاتورك عن جملة من أراضي تركيا وسواحلها ومضـائقها للحلفاء، وأعلن الإجراءات التالية:

١- يمنع استعمال الطربوش التركي رمز الخلافة.

---

(١) عبر هنا بالدولة العثمانية الصورية إشارة إلى أن الحكم الفعلي بعد تنحية عبد الحميد الثاني لم يعد إسلامياً، وإنما كانت دولة إسلامية صورية، والحقيقة أن الأمر كان بـيد يهـود الدونمة وأعضاء حزب الاتحاد والترقي، وهم الذين هيؤوا الدولة للمرحلة الغثائية، و ـم بدأ الصراع بـين القوميات على مدى السنوات العجاف التي شهدت الحرب.

٢- إلغاء حجاب المرأة.

٣- تحويل العطلة من الجمعة إلى الأحد.

٤- تحويل الأذان من العربـية إلى التركية.

٥- منع التعامل بالأبجدية العربـية واستبدالها بالإنجليزية.

٦- إلغاء القوانين الشرعية، وإقامة الدستور المدني.

٧- تعميق مفهوم الطورانية، وتشريك الوظائف والامتيازات.

ومن ثمرات فتنة السراء قيام الحرب العالمية الثانيـة في ١٧ رجـب مـن عـام ١٣٥٨هـ ١ أيلول ١٩٣٩م، وكانت تركيا في هذه الحرب معزولة عن جبهات القتال، وتشهد التحول الداخلي في مؤسسا ا.

وفي هذه الحرب عمل الحلفاء على ما يلي:

١- تقسيم وتجزئة دولة الخلافة رسمياً.

٢- إعطاء اليهود أرض قومية في فلسطين والاعتراف ا.

٣- تثبـيت السياسة العلمانية في تركيا.

وقد نشط الإسلاميون في تركيا لمحاربة هذه التقسيمات وظهر حزب السـلامة الوطني وغيره، ولكن الغرب عدد الأحزاب وكرر الانقلابات في تركيا حتى ثبـت سياسة «فرق تسد»، وكون تكتلات حزبـية وتجمعات سياسية بلغت أحد عشر حزباً وتجمعاً أسهموا في الإغراب بسياسة الأمة إلى أتـون الصـراع والسياسـة الغربـية.

لقد أصيب الإسلام والمسلمون في أعز مقدرا م الشرعية وحقوقهم الإسـلامية منذ سقوط دولة القرار وسقوط قرار الدولة، ومنذ ذلك الحين وهم يتروضون على قبول سياسة التطويع والتطبـيع مرحلة بعد مرحلة وعصراً بعد عصر، وفي ذلـك تحقيق صار قائماً أخبر عنه من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسـلم الله

عليه وآله وسلم، الذي عاش هذه المراحل وحدد علاما ا وفند هويتـها وهويـة شعو ا ومواقف حكامها وعلمائها.

عَهْدُ فِتْنَةِ الدُّهَيْمَاءِ

والتَّحَولاتِ الغُثَائِيَّةِ

وجاءنا عصر الدهيماء التي أخبر عنها سيد الرسالة
تلطم كل حاضر وبادي وتدخلُ البيت مع البوادي
وهي التي تعبثُ بالتدين تنسف أهلَ الدين بالتلون

يشير النظم إلى مرحلة الغثائية التي جاءت إلى الحياة بعد فتنتي الأحلاس والسراء، وكانت كل واحدة منها مهيأة لظهور الأخرى، فبمقدار ما حصل من التحولات العالمية والمحلية من مرحلة الأحلاس، فقد حصل أيضاً في مرحلة السراء محلياً وعالمياً ما أغرب بالسفينة عن جادة الطريق، وأدخل العالم العربي والإسلامي إلى مرحلة الغثاء وما فيها من فتنة الدهيماء.

والمعتقد -والله أعلم- أن فتنة الدهيماء -وهي مرحلة الاستعمار- هي جزء من تحولات مرحلة الغثائية التي يغلب فيها على المسلمين «الوهن وحب الدنيا وكراهية الموت».

وإليها تشير الأحاديث الواردة في علامات الساعة، ومنها:

١- «كيف يا ثوبانُ إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه؟»

قال ثوبان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. أمِن قلةٍ بنا؟

قال: «لا.. أنتم يومئذٍ كثير، ولكن يلقى في قلوبكم الوهن».

قال: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: «حبكم للدنيا، وكراهيتكم للقتال».

٢- «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأَكَلَةُ على قصعتها».

قال: قلنا: أَمِن قلة بنا يومئذ؟

قال: «أنتم يومئذٍ كثير، ولكن تكونون كغثاء السيل، تنـزع المهابة من قلـوب عدوكم، ويجعلُ في قلوبكم الوهن».

قال: قلنا: وما الوهن؟

قال: «حب الدنيا، وكراهيةُ الموت».

وتكاد تكون هذه الأحاديث النبوي تنطبق على هذه المرحلة الخطيرة من حيـاة الأمة، وقد برزت هذه المرحلة بالمظاهر التالية:

١- سقوط دولة الخلافة، وإعلان علمانية الدولة.

٢- تقسيم تركة الرجل المريض بـين الدول الغازية.

٣- ظهور النظام الشيوعي.

٤- ظهور الأمم المتحدة كسقف عالمي بـيد الاستعمار.

٥- غرس إسرائيل في الوطن العربـي.

٦- تغيير أنظمة الحكم داخل الأوطان العربـية.

٧- ترسيم خرائط الحدود وربط الأنظمة بالسياسة الغربـية.

٨- نشوء الصراع الداخلي بالانقسامات والأحـزاب والتكـتلات الدينيـة والدنيوية والأطماع.

قال الناظم:

ويحكُـم اليهـود كُـل العـالَم دِينـاً ودنيـا في النظـامِ العـالَمي

إشارة من الناظم إلى الخطوط البعيدة التي يرسمها الكافر ضد الإسلام وأوطـان المسلمين، فالسياسة اليهودية هي المؤثرة في مسيرة التحول ولأجلها تتحرك الدول

والمنظمات، وبها تتشكل ولاءات المستقبل، ومن داخلها وضعت الخطوط المستقبلية لكل الفتن الساحقة الماحقة.

والجَور يزداد مع التكالُبِ على الحُطامِ والسلامِ الكاذِبِ

يشير النظم إلى نماذج من علامات الساعة في مرحلة الغثائية، وهو الجور والتكالب على الحطام والكلام كذباً وزوراً وبهتاناً عن السلام، تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «يكون أُمراءُ جورةٌ، ووزراءُ فَسقَةٌ، وأُمناءُ خونة، وإمارةُ النساء، ومشاورةُ الإماء، وصعود الصبيان المنابر»[1].

وروى أحمد والبخاري والحاكم عن ابن مسعود: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة[2]، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم، وظهور الشهادة بالزور، وكتمان شهادة الحق».

والهَرج والمَرج مع الجهالةِ وسلطةُ التحوتِ والحُثالةِ

نقْضٌ وقَبضٌ واتباعٌ للعِدا كذا غِناءٌ وخناءٌ واعتِدا

من مظاهر مرحلة الغثاء كثرة الهرج والمرج، والهَرج كثرة القتل وإراقة الدماء، والمرج كثرة الخوض في الباطل، يشير إلى ذلك حديث خالد بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الله عليه وآله وسلم قال: «يا خالد.. ستكون بعدي أحداثٌ وفتن وفرقةٌ واختلاف، فإذا كان ذلك فإذا استطعت أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل»[3].

---

(١) «الإشاعة» ص١٧٢ عن سلمان.

(٢) أي السلام على من تعرفه فقط.

(٣) رواه أحمد وابن أبي شيبة، انظر «الإشاعة» ص١٨٦، وورد في الحديث عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «العيادة في الهرج كهجرة إلي» رواه مسلم والترمذي، وعن أبي موسى الأشعري: «إن بين يدي الساعة أياما ينزل فيها

وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخون الأمين، ويؤتمن الخائن، وتهلك الوعول، وتظهر التحوت. قالوا: يا رسول الله.. وما الوعولُ وما التحوت؟ قال: الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم».

وأما النقض فدليله في مرحلة الغثاء والوهن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تمسك الناس بالتي تليها، أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة، ورب مصل لا أمانة له».

وأما دليل القبض قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي على الناس زمان يقبض فيه العلم، ويكثر الجهل» وحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه عن صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (١).

وحديث رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقبض العلماء ويقبض العلم منهم، فينشأ أحداث ينزو بعضهم على بعض نزو العير على العير، يكون الشيخ فيهم مستضعفاً».

مع انتكاساتٍ علـى كُـل مجـالْ ... كـذا غثـاءٍ أممـي وابتـذالْ

يشير الناظم إلى ما يحل بالمسلمين في مرحلة الاستعمار والاستهتار من الانتكاس في الثقافة والاقتصاد والإعلام والسياسة والتربية والتعليم وغيرها من مقومات الحياة حتى يبلغ الأمر إلى استتباع غثاء الأمم الأخرى، مما عابه الإسلام واستقبحه،

الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها المرج والهرج» رواه البخاري.

(١) رواه البخاري في باب العلم.

فيصير لدى المسلمين حسناً وتقدماً وحضارة وتطوراً، وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بقوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قيل: يا رسول الله.. اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[1].

ومثلها ثلاثٌ أشياءٍ تعز ... مالٌ حلالٌ وأخ في الله عز

وندرةُ العلمِ المفيدِ المستند ... من غير علم الخدماتِ المستبد

يشير الناظم إلى صورة من صور الغثائية في الأمة، وهي ندرة ثلاثة أشياء: درهم من حلال، وأخ في الله، وعلم مستفاد، وقد ورد ذلك في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يعز اللهُ عز وجل فيه ثلاثةً: درهماً من حلال، وعلماً مستفاداً، وأخاً في الله» رواه الديلمي.

وعن أبي داود وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد منهم إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره»[2].

وفي هذه الأحاديث إشارة واضحة إلى الانحراف الاقتصادي وسيادة الشبهات والحرام في المجتمعات الإسلامية، وذلك واضح كل الوضوح من خلال النظر إلى سياسة المال ورجال الأعمال المرتبطين طوعاً وكرهاً إلى السوق العالمية والمصرفية اليهودية البنكية.

قال الناظم:

صنفان أهلُ النار في بعض الطريق ... من حامل الأسواطِ في كل مضيق

ومثلُهن الكاسيات العاريات ... من فتياتِ المسلمين المائلات

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبو شعبة الخدري.

(٢) عن «الاختراعات العصرية» للغماري ص٣٧.

إشارة من الناظم إلى انفلات أمور العامة، مما يلزم المسلمين اتخاذ الشـرط الـتي تعذب الناس وتحمل السياط كأذناب البقر، تضرب ا الناس في تفريق المظاهرات، وحماية الحكام في المناسبات، واحتواء المسيرات، وما ماثلها من صنوف العـذاب والتعذيب في المعتقلات.

والصنف الثاني النساء الكاسيات في ظاهر الأمر، العاريات في حقيقة الحال عـن الأدب والأخلاق، والعاريات أيضاً بضيق اللباس الذي يصف العـورة ويحجمهـا وكأ ا ليست لابسة ثوباً.

وهذا كله يصل إلى الأمة بسبب الاستتباع لغثائية الأنظمة الكافرة وقوة تأثيرهـا على المسلمين بالوسائل الإعلامية وغيرها، شاهده حديث: «صنفان من أهل النار لم أرهما: رجالٌ معهم سياط مثل أذناب البقر يقفون على أفواه السكك يضـربون ا الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن مثـل أسـنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد مـن مسـافة كـذا وكذا».

أصـــا م في الـــدين داءُ الأمـــم	**حالِقَـــةُ الـــدين دمـــار المُسـِـلِم**
مـع اتبـاعٍ للنصـارى واليهـود	في **كلِّ شـيءٍ مـن فيـامٍ وقعـود**
تقليد مـا هـم فيـه مِـن تـرذل	**وهِـن وهـوهٍ وانفتـاحٍ مشـكِل**

يشير الناظم إلى ما تحدث عنه من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم في شأن داء الأمم الذي يحل بالمسلمين في مرحلة الغثاء والوهن، وهـو الأمـراض الاجتماعية الكافرة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أصابكم داء الأمم، لا أقول: (حالقة الشـعر)؛ ولكنها (حالقة الدين): البغضاء والحسد»، ومن هذا الداء رغبة الأجيـال رجـلاً ونساءً وكباراً وصغاراً في تقليد الأعداء على غير وعي أو تمييـز، حـتى وصـف

النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله فيما رواه البزار والحاكم من حديث ابن عباس: «لتركبن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع، حتى لو أن أحدكم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جـامع أمـه لفعلتم» وهذا ما يعبر عنه بالتقليد الأعمى.

والأخذُ بـالعلمِ الحـديثِ كبـديلْ عن دعوةِ الإسلامِ والشرعِ الجليـلْ

يشير الناظم إلى استحسانات الأجيال المسلمة في عصر الغثائية إلى دعوات العلم الحديث ودراسته بديلاً عن الإسلام وشرائعه العادلة، بحيث يصير الدين والشريعة نقصاً وعاراً، وتعلم النظريات الغربـية تقدماً وتطوراً، وفي ذلك يقول صـلى الله عليه وآله وسلم من رواية أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عارا، ويكـون الإسلام غريباً، وتبدو الشحناء بـين الناس، وحتى يقبض العلم، ويهرم الزمـان، وينقص عمر البشر، وتنقص السنون والثمرات، يؤتمن التهماء، ويتـهم الأمنـاء، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق، ويكثر الهرج وهو القتل» الخ... رواه الطبراني في الكبـير[1].

ومِثْلُ ما قد صـح في عـينِ الأثَـر لا الشرك أخشى إنما أخشى الضـرر
من زهـرة الـدنيا مـع التنـافس قـد أهلكَـت ممالِـك الطنـافِس

تشير الأبـيات إلى ما حذر منه صلى الله عليه وآله وسلم في خطورة التنـافس على حطام الدنيا، وأنه لا يخشى من خطر الشرك في هذه الأمة، إنما الذي يخشـاه عليها الدنيا والتنافس فيها، ففي الحديث: «إني لست أخشى عليكم أن تشـركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من

---

(١) راجع «كشف الأقنعة في الكشف عن الوجوه الغثائية المقنعة» للمؤلف ص٩٧.

كان قبلكم»[1] وحديث: «وإني قد أُعطِيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيهـا[2]»، وفي روايـة: «لست أخشى عليكم الفقر..»، وهذه الظاهرة قد برزت جلية في عصر الغثائيـة بحيث صارت علاقة الدنيا وقطيعة التشريك والتبديع صفتان متلازمتان.

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما أشار إلى اطمئنانه حول الخوف علـى الأمة من الشرك ؛ إنما يبعث برسالة إلى مستقبل الزمان لمن يمتطي الشبهة والحـرام ويملك أسباب الدنيا، وهي أن الوسيلة المتخذة في هذه المرحلة من الخوف أو القلق الصوري على الأمة من الوقوع في الشرك باطل من أساسه، وإنما حقيقة الأمر عند التمحيص لا يتعدى المنافسة على الحكم والمظهر والجاه والتملك.

وقد كشف الله لنبـيه ما سيصل إليه حال الأمة في هذه المرحلة الخطيرة، ولـبى رسول الله نداء الأمة المتهمة عند بعض الفئات، وأبرز الحقيقة الناصعة.

ولكن ومع هذا البـيان النبوي فهناك من يستغرب نفي الرسول مادة الشـرك عن الأمة مع وجود بعض الظواهر المشيرة إليه لدى بعض المسـلمين، والجـواب الحاسم أن الظواهر القائمة لدى بعض المسلمين ليست شركاً، وإنما هي حالة مـن حالتين: إما إفراط أو تفريط، وكلا النقيضين علـة في توجـه الأمـة المحمديـة، وللإفراط والتفريط معالجات شرعية، وأهمها نشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي مدرسة الإسلام من الوسائل ما يغني الصادق عن تكفير الأمة، إلا أننا نعتقد أن كلا النقيضين إذا برزا في شرائح المجتمع وصار لهما من يغذيهما فهنـاك علة أخرى أكبر من الإفراط أو التفريط، وهي السياسة، ولنا مع السياسة وأربابـها عود قريب.

---

(١) «منتخب الصحيحين» ص٧١.

(٢) المصدر السابق ص ٧٠.

ومِثْلُــه الــدينار صِــنو الــدرهم معبود أهل العصر عِجْــلُ المســلم
أحــدهم يبــ ــيع دِينــاً بعــرض فَــانٍ قليــلٍ لا يقــوم بــالغرض

من ظواهر مرحلة الغثاء والوهن ذات العلاقة بعلامات الساعة ظهور الوباء العام وهو حب الدنيا، وهو يضارع ما سبق ذكره في شأن السياسة، فكلاهمــا يمثــل وجهين لعملة واحدة، قال تعالى: وتحبون المال حباً جماً ، والحب الجــم يعــني الإفراط المطلق في التعلق ا حتى يؤدي ذلك إلى انفراط ثوابت أخرى، وهذا مــا سماه النبــي صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة العِجل، أو ما يفسر بــ (صــنمية المادة).

وتكاد هذه الشؤون تتخذ منحى حساساً وخطيراً لكون المرحلة قد خرجت عن الضوابط الإسلامية الأولى.

فعبادة العجل وصنمية المادة وبــيع الدنيا والدين ظواهر خطيرة تنشأ في أجيــال المسلمين بفعل فاعل، ويبدأ بروزها بوضوح مع مرحلة الغثائية.

وسمتها نقض قرار الإسلام المعبر عنه بالخلافة وانتقاله إلى الكــافر المعــبر عنــه بالعدو، وتبدأ المراحل المعادية للمبادئ الإسلامية الشرعية لتنشئ جيل الغثائية مــن داخل البرامج القاصرة والمنهجية الكافرة عصراً بعد آخر، وعلى مــدى ســنوات طويلة سماها النبــي صلى الله عليه وآله وسلم بالسنون الخداعة، والخداع مكــر وحيل وتسييس، ومن ظواهرها حب الدنيا والفناء في سبــيلها، وفي هذا يقــول صلى الله عليه وآله وسلم: «يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كــافراً، ويمســي مؤمنــاً ويصبح كافراً، يبــيع أحدهم -وفي رواية: يبــيع قوم - دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك على دينه كالقابض على الجمر» وفي روايــة: «كالقــابض علــى الشوك» رواه أحمد وأبو داود.

وقد ظهرت هاتان الصفتان في أمة الإسلام بشكل واضح في محورين: الاقتصاد والسياسة، الاعتقاد والحقوق المتبادلة، وقد أبرز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأحوال في جملة من أحاديث منها:

- «يأتي على الناس زمان همهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم، أولئك شرار الخلق عند الله» رواه السلمي عن علي رضي الله عنه.
- «يأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده» رواه أحمد عن علي رضي الله عنه.
- «يأتي زمان لا يسلم لذي دِينٍ دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق أو من جحر إلى جحر كالثعلب يفر بأشباله، وذلك في آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله، فإذا كان كذلك حلت الغربة، يكون في ذلك الزمان هلاك الرجل على يد أبويه إن كان له أبوان، وإلا فعلى يد زوجته وأولاده، وإلا فعلى يد الأهل والأقارب والجيران، يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها» رواه الديلمي عن أبي هريرة.
- «إذا كثر خطباؤكم ومنابركم، وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأفْتوهم بما يشتهون» رواه الديلمي عن علي رضي الله عنه.
- «إذا تعلم علماؤكم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم، واتخذتم القرآن تجارة» رواه الديلمي عن علي رضي الله عنه.

وكأني بهذه الأحاديث وأمثالها تروي قصة المراحل التي نعيشها بوضوح وصراحة في التشخيص أكثر من أحاديث العلماء والمفكرين والساسة.

يسود في العالم منهاج الربا وخلفه الكفار يحمون الوبا

يدخل بيت فاسق ومؤمن من مكثر أو كالغبار الهين

إشارة في الأبيات إلى انتكاس العالم الإسلامي والعربي من سياسة الاقتصاد الشرعي إلى سيادة الاقتصاد الربوي الكافر، حيث مهد الكافر بعد امتلاك القرار إلى إدخال سياسة البنوك والمصارف الربوية إلى كل بلاد، وشجع على الاستثمار الربوي، وما أسماه بالتسهيلات الاقتصادية، وقد عاش النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه المرحلة وكشف زيفها وزيف سقوفها العلمية والسياسية والاقتصادية، فقال فيما رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره»، وفي رواية أخرى: «سيأتي على الناس زمان يأكلون فيه كلهم الربا»، فقلنا: يا رسول الله: كلهم؟ «قال: نعم، ومن لم يأكله أصابه من غباره».

يصدق الكاذب في المحافل ويؤمن الخؤون ذو الرذائل

يهان أهل العلم والتدين ويرفع الفاسق ذو التلون

ومن ظواهر مرحلة الغثاء والوهن انقلاب القيم والأخلاق لكثرة التأثر بالكفر والكافر، وما يفرزه في الواقع الاجتماعي من سمومه ونفثات طباعه بسياسة الاستعمار وما يليه من الاستهتار والاستثمار، واللعب بعقول الأجيال في المدارس والجامعات والإعلام والثقافة والفنون وغيرها من أحابيل الانحلال والضلال المسيس، حتى يبرز بوضوح تصديق الكاذب علناً، ويكذب الصادق جهاراً، ويؤتمن الخائن على الأموال والأعراض والحكم والعلم، ويخُون الأمين ويحاصر ويعزل.

قال صلى الله عليه وآله وسلم واصفاً هذه الحال: «من أشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الأمين وائتمان الخائن» رواه الطبراني عن أنس.

وقوله: «يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذي عن أنس، كناية عن عدم المساعدة والتعاون على الدين[1].

وقوله: يكون في آخر الزمان عباد جهالٌ وقُراءُ فَسقَة» رواه الحاكم عن أنس.

وقوله: «إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكون المؤمن في القبيلة أذَل من النقد»[2] رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه، والنقد: صغار الغنم.

وأسعد الناس على الدنيا لُكَعٌ يهمه الدنيا وكم منها جمع

«لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع» رواه أحمد والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن علي كرم الله وجهه، واللكع: العبد أو الأحمق أو اللئيم، أي: حتى يكون اللئام والحمقاء والعبيد رؤساء الناس.

يصير دِين اللهِ عاراً وتهم وسبباً للمال والجاهِ الأعم

ويكثُر القُراءُ للقُرآن علامةٌ في آخر الزمان

منحصراً في نغمةِ الحناجر دعايةً لسلعةِ المتاجر

ومن ظواهر الغثاء والوهن في هذه المرحلة أن يعير المؤمن بالدين والتدين، ويكون التدين والديانة مة، وهذه ظاهرة عرفها العالم العربي والإسلامي مرحلتين: الأولى مرحلة الاستعمار مع شيء من الحذر والتلطف، فيسمى المتدين متحجرا متخلفا منغلقا، والثانية مرحلة الاستهتار، وفيها كشف الكافر اللثام على الدين والديانة وبلغت التهمة في هذه المرحلة أوجها.

---

(١) «الإشاعة» ص١٥٣.

(٢) المصدر السابق ص١٥٥.

فالمتدين كهنوت، وعنصر فاسد، وتردد على ألسنة الأحرار والثوار الجهلة شعار المرحلة: سحق الكهنوت واجب.

وفي جانب آخر وبلد أخرى وحدود إسلامية متجاورة ترى فيها الغثاء والعجب، يكون الدين والتدين على المنهج الإعلامي المرسوم سبباً في الثراء والنفوذ والاستعلاء، لأن كلا النقيضين: الملحد الفاجر والمتدين القاصر يحاربان هدفاً واحداً، ويواليان كفراً واحداً، وإن تعددت المسميات، ومن مظاهر هذه المرحلة كما أشار النظم كثرة القراء للقرآن، وانحصار المعرفة في اللحن، وتحسين الأصوات، وانتشار هذه الظاهرة.

وإلى هذا يشير صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: «مما أخافه عليكم رجل قرأ القرآن، حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك». قال: قلت يا نبي الله.. أيهما أولى بالشرك الرامي أو الرمي؟ قال: الرامي»[1].

من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن بعدي من أمتي قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم في الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهن قتل عاد[2]»، وأما قول الناظم عن القرآن في آخر الزمان: «**دعاية لسلعة المتاجر**» إشارة إلى ما ورد في الحديث: «واتخذتم القرآن تجارة»[3].

رويبضات العصر والحُثالةْ هم خطباءُ الدين والرسالةْ

مِن كُل غِر جعظري زنم مبطن الحِقْدِ سَلِيطٍ نهم

(١) قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد. انظر «السنة والبدعة» لعبد الله محفوظ الحداد ص١٩.

(٢) نقلاً عن «الاختراعات العصرية» للغماري ص٧٧.

(٣) الحديث رواه الديلمي عن علي، راجع «الإشاعة» ص١٦١.

يشير النظم إلى ظاهرة أخرى من ظواهر مرحلة الغثاء والوهن تدور في المجتمعات والأنظمة المتحدثة باسم الدين، وهذه الظاهرة تخدم سياسة الكفر، وتمهد للدجال، وهي ظاهرة الرويبضات التي عبر عنها صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الزمان كقوله: «ويؤتمن الخائن ويخون الأمين ويتكلم الرويبضة». قالوا: وما الرويبضة؟ قال: «يتكلم في الناس من لم يكن يتكلم، وينكر الحق تسعة أعشارهم» [1]، وفي رواية: قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: «التافه يدير شؤون العامة»، وفي رواية: «الفاسق يتكلم في شؤون العامة»، وفي رواية: «الفويسق يتكلم في شؤون العامة»، وفي رواية: «السفيه»، وفي رواية: «الوضيع من الناس» [2].

والغر الجاهل، والجعضري الجبار المتعجرف، والزنم الكذاب، والسليط كثير الكلام، يقال: سليط اللسان أي لا يضبط مقاله بالفحش.

(١) المصدر السابق ص١٦٩، والحديث عن سلمان.

(٢) «عقيدة المسيخ» لسعيد أيوب ص١٥١، ويتابع في بقية الصفحات شرح الكلمات في البيت: الغر، الجعضري، الزنم... إلخ.

غثائية الحكم والسياسة

لتنقضن قال خير الناس ... من العرى في الدين والإحساس

على المدى عروتنا الوثيقة ... نقضاً بنقض فافهم الحقيقة

يشير النظم إلى أخطر ظواهر مرحلة الغثاية، وهي نقض القرار وسقوط دولته، وأن للإسلام رأي ثابت وموقف عالمي من هذا التحول السياسي، ولا يعالج الإسلام القضية بما يعتقده البعض من قوى الدولة وضعفها المجرد، بل إن التعليل الشرعي أعم من النظر في سقوط الدولة لمجرد الضعف، وإنما هناك عوامل هامة تربط أول الزمان بآخره، وأحداث آخره بما سبق التنبؤ عنها في أوله، وشاهد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثْت أنا والساعة كهاتين»، فكأنه عليه الصلاة والسلام قد جعل المراحل المتقلبة من عصره إلى قيام الساعة تحت مجهره الشرعي ودعوته الشاملة، فما يحدث من حادث في مستوى القرار إلا وهو صلى الله عليه وآله وسلم يفند هويته وهوية علاقته بالإسلام أو بالكفر إن كان قراراً منحرفاً عن الجادة، منذ بروز ذاته وتعبيره عن ذلك بقوله ρ، حتى تأتي الساعة بعلاماتها فيما عبر عنه بلفظ «والساعة كهاتين» زماناً ومكاناً، ومن هذا المنطلق يشير صلى الله عليه وآله وسلم إلى موقفه من مرحلة نقض القرار العالمي الشامل، وما يلحق من نواقض خطيرة في مسيرة الأمة الإسلامية بعمومها.

وقد أشارت الأبيات إلى مدلول الحديث: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تمسك الناس بالتي تليها، أولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة، ورب مصل لا أمانة له».

وهذا الحديث الشريف أعظم شاهد على معايشة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآله وسلم للأحداث الجارية في مستوى القرار والسياسة عند نقض

العرى عالمياً، كما كان معايشاً لها خلال مراحل الفتن داخل الخيمة الإسلامية من قبل، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لُتنقَضن عرى الإسلام» إشارة إلى تفكـك عرى الدين والشرع بأيد متنوعة غير مرئية، لأن الفعل -كما هو ملاحظ- مـبني للمجهول «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة»، وكأ ا في الأصل عرى منتظمـة كحبات المسبحة، فبدأ النقض لها من مستوى القرار: أولهن نقضاً الحكم، وبنقض الحكم وسقوط دولته يبدأ العمل الخفي والظاهر بصور شتى على ملاحقـة بقيـة عرى الإسلام، والناس في ا تمعات الإسلامية لا يستطيعون إعـادة مـا نقضـه الفاعلون، لأ م تحت قرار فاعل وسلطة مهيمنة، فيلتزمون ما بعدها محافظين عليها ما استطاعوا، حتى يتم نقض العرى متتابعة.

«أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»، والحكم أعلى سقف هام في حياة الأمة، والصلاة أطول شرعة يتعبد الناس ا مولاهم عبر العصور، حـتى يقـع الفسـاد المتلاحق في المصلي ذاته «ورب مصل لا أمانة له».

وهذا الحديث الهام يضع القيادات الحاكمة في قفص الا ام، ويشير بالإصبع إلى موقع الفساد والتعفن في مسيرة الحياة، خلافاً لما يفعله الحكام والسياسيون اليـوم من إلهاء العوام والشرائح الاجتماعية بالمتناقضات والصراع الطبقـي والسياسـي والاعتقادي، ليحجبوا خطر التهمة عن أنفسهم، وهم يصنعون المستقبل الـدجالي في العالم مع الشيطان وأعوانه.

فعنـدما تنـتقِض الثوابـت ... تمسـك النـاس وهـذا ثابـت
إذ لا يهـم الحـاكم المفتونـا ... بحكمـه دِينـاً غَـدا مطعونـا
وأولُ الـنقض جـرى في الحكـم ... والآخـر الصـلاةُ دونَ فهـم
إذ لا ائْتمـانَ في المصـلّي آنـذاك ... ولا أمـانَ منـه عنـد الإرتبـاك
وكـم مصـل مـا لـه أمانـةْ ... علامـةُ الشـك كـذا الخيانـةْ

يشير النظم إلى مدلولاته حديث النقض للعرى، وقد أشارت جملة من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلى معنى ذلك، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله».

وروى الطبراني عن ابن مسعود قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يسود كل قبيلة منافقوها، وكل سوق فجارها».

وفي إطار الحكم والحاكمية الغثائية يشير صلى الله عليه وآله وسلم إلى ظهور المؤسسات القائمة على الهمز واللمز والغمز والوقيعة والتربص والتجسس وغيرها، فيقول عليه الصلاة والسلام: «إن من أعلام الساعة وأشراطها أن تكثر الشرط والهمازون والغمازون واللمازون، وأن يكثر أولاد الزنا» رواه الطبراني عن ابن مسعود، قال السخاوي: وهم الآن أعوان الظلمة[1].

وقوله في المنظومة: "**لا ائتمان** في **المصلي**" إشارة إلى الحديث: «ورب مصل لا أمانةَ له» حيث تبقى الصلاة في الناس مجرد عادة أو إسقاط للواجب المكلف به وليس علاجاً و ذيباً وإصلاحاً كما هي وظيفتها الأساسية: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر».

وهذا النموذج في المصلين مستشرٍ وظاهر في مرحلتنا المعاصرة، ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تتناكر القلوب، وتختلف الأقاويل، ويختلف الأخوان من الأب والأم في الدين» رواه الديلمي عن حذيفة[2].

وفي بعض المعاني عن قوله: «ورب مصل لا أمانة له»: أي لا يؤدي الصلاة على وجهها الشرعي، ويؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من اقتراب

---

(١) «الإشاعة» ص١٥٦.

(٢) المصدر السابق ص١٦٢.

الساعة أن تصلي خمسون نفْس لا يقبل لأحدهم صلاة»، قال الشارح: ومعناه: أنهم لا يأتون بشروطها وأركانها، فلا تصح لأحدهم صلاة فلا يقبل منهم.

ويقْبض العالِم ثم لن تجد غير فتاوى الرؤساءِ المستبد من يسألونَ فيجيبوا في عجلْ بغير علمٍ فيضلوا من سألْ

إشارة إلى ما سبق من حديث النقض للعلم وقبض العلماء آخر الزمان، وهي إحدى ظواهر المرحلة الغثائية وثمرة من ثمرات تسييس الدعوة الإسلامية التي تجاوزت هذا المدلول من قبض العلماء.

وقد فسر العلماء القبض بمعانٍ عديدة، فمنه القبض عليهم وسجنهم، ومنه القبض أي الانقباض النفسي مما يشهدونه في الواقع من الجرأة والتسييس للدين فيعتزلون الواقع، ويظهر علماء المؤسسات الذين يكونون رؤوساً أو رؤساء يفتون فيفتنون ويفتنون في ذلك.

وهذه ظاهرة خطيرة تشمل المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة المسيسة، وفيها لا يستحيا من العالِم الحَق، ولا يتبع العالِم الصادق، يقول فيها صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي على الناس زمان لا يتبع فيه العالِم، ولا يستحيا فيه من الحليم، ولا يوقر فيه الكبير، ولا يرحم الصغير، يقتل بعضهم بعضاً على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، يمشي الصالح فيهم مستخفياً، أولئك شرار خلق الله، لا ينظر الله إليهم يوم القيامة[1]» رواه الديلمي عن علي كرم الله وجهه.

وفي هذا الجو المعتم من العلم والدين تبرز ظواهر المعرفة الهشة بوجود مظاهر القرآن والسنة، ووجود رموز العلم والعلماء الذين يصفهم الحديث بوصف حالهم:

---

(١) المصدر السابق ص١٦٦.

«لا تذهب الأيام والليالي حتى يخلَق القرآنُ في صدور هذه الأمة كما تخلَق الثياب، ويكون ما سواه أعجب لهم، يكون أمرهم طَمعاً كله لا يخالطه خوف، إن قّصر في حق الله تعالى منته نفسه الأماني، وإن تجاوز إلى ما نهى الله عنه قال: أرجو أن يتجاوز اللهُ عني، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أفضلهم في نفسه المداهن الذي لا يأمر بالحق ولا ينهى عن المنكر».

وخطَباءُ الذين يلقُون الكَذِب ويلزمونَ الناسِ فقهاً مغترب

إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم عن مظاهر الغثاء والوهن في المنابر من قوله في حديث طويل: «... وتقوم الخطباء بالكذب، فيجعلون حقي لشرار أمتي، فمن صدقهم بذلك ورضي به لم يرح رائحة الجنة»[1].

وهؤلاء الخطباء هم الذين يزينون للناس أوضاع الانحراف ويدافعون عن الظَلمة بأساليب ملتوية طلباً للوظيفة والمرتب والمقام لدى هؤلاء، وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها»[2].

قال الشارح في «الإشاعة» ص١٦٢: ومعناه: يمدحون الناس ويظهرون حجتهم نفاقاً، ويطرو م ويمدحون أنفسهم حتى يتسولوا إلى أخذ الأموال منهم».

يسود في القبائل المنافقونْ والسوق فُجار الزمان المفسدونْ

وهذا أيضاً من مظاهر الغثائية، وقد سبق إيراد هذا الحديث الشاهد على هذا المظهر، وكلا الحالتين رمز لمرحلة الغثائية التي تخول للكافر وأتباعه أن يتجنبوا وجود الصالح في سيادة القبائل أو تسيير أمورها، وكذلك في مسيرة الاقتصاد،

(١) المصدر السابق ص١٦٢.

(٢) المصدر السابق.

ويأتي هذا في مرحلة يكون فيه المنافقون على مستوى عالمي من العلم النظـري في الاقتصاد والسياسة وقضايا الحكم، كما يكون المفسدون من التجار والفجر هـم محركو الأسواق وحملة الأرصدة المالية، فيكون لهم الرأي والكلمة الفاصلة.

وزخرفـة مسـاجد الصـلاة مـع خـراب القلـوب والنيـات

وهذا المظهر بارز في هذه المرحلة الغثائية، وبصورة متميـزة، فحـتى القـرى والبوادي التي ظهرت فيها المساجد المتعددة والجديدة ذات الطابع الزخرفي والفـن العمراني المتميز تجدها تحوي شعوباً ومصلين خربت قلوبهم بالدنيا، وهذا ما أشـار إليه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أبـي الدرداء: «إذا زخـرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم»[1].

وفي رواية أخرى: «فعند ذلك تزخرف المسـاجد كمـا تزخـرف الكنـائس والبـيع، وتطول المنابر وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة وألسن مختلفة وأهواء جمة»[2].

وفي هذا المعنى حديث أنس بن مالك τ قال: قـال رسـول الله ρ: «لا تقـوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[3].

وحديث «إذا ساء عمل الأمة زينوا مساجدهم»، وحديث ابن عباس «ما كثرت ذنوب قوم إلا زخرفت مساجدها، وما زخرفت مسـاجدها إلا عنـد خـروج الدجال»[4].

---

(١) المصدر السابق ص١٦٧.

(٢) المصدر السابق ص١٦٩.

(٣) «السنن الواردة في الفتن» لأبـي عمرو الداني ص١٩٥ طبعة بـيت الأفكار الدولية.

(٤) المصدر السابق ص١٩٦.

وهذه الظاهرة عن المساجد تلحقها ظواهر عديدة تشير إلى هبوط الإيمان وسوء علاقة المصلين بالديانة مع التزام الحضور الصلاة وكثرة الصفوف، وفسر هذه الظواهر قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ويكثر ولد الزنى، وتفشوا الغيبة، ويعظم رب المال، وترتفع الأصوات في المساجد، ويظهر أهل المنكر، ويظهر البناء»[1].

ومن هذه الظواهر: «وحتى تتخذ المساجد طرقاً فلا يسجد لله فيها»[2]، وهذه الظاهرة ملاحظة في كثير من بلاد المسلمين وهي اتخاذ المسجد للعبور من شارع إلى غيره، وليس ببعيد أيضاً أن يحمل المعنى على ما يفعله بعض الجهلاء من أصحاب الطرق هدانا الله وإياهم حيث يسمرون وينشِدون في بعض المساجد حتى الفجر لمناسبة ما ولكنهم لا يعمرون هذه المساجد بالعبادة، بل ربما أخروا صلاة الفجر لسهرهم وسمرهم في المسجد ذاته، وهذه ظاهرة قبيحة وإن كان فاعلها محبا للخير والدين.

ويكْتفي الرجالُ بالرجال   كذا النساءُ في الخَنا البطّال

وهذه أيضاً إحدى ظواهر المرحلة الغثائية وشمولها حتى تدخل بلاد المسلمين، ويحصل الشذوذ الجنسي لدى الرجال والنساء، ويتفشى هذا الدمار بين الأبناء والبنات حتى يبلغ في بعض البلدان إلى اتخاذ النوادي الخاصة ذه المفاسد، كما عبر عنه القرآن في ذم قوم لوط: وتأتون في ناديكم المنكر وقد انتقل هذا الوباء إلى بلاد المسلمين من أوروبا.

(١) «الإشاعة» ص١٦٧، ومن الظواهر أيضاً ما قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم، فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة» رواه البيهقي عن الحسن مرسلا، المصدر السابق ص١٦٥.

(٢) المصدر السابق ص١٦٤، «فاتخذوا المساجد طرقاً» أي: لما أَلِفَته الطريق من ذكر أو حلقات إنشاد وغيره.

وفي هذا المعنى ثلاثة نماذج أشارت إليها الأحاديث من تحولات الأخلاق،

الأول: اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.

الثاني: يتغاير على الغلمان كما يغار على المرأة.

الثالث: نكاح المرأة في دبرها.

وكل هذه الظواهر الاجتماعية دلالة على مدى التأثر بالانحراف القادم من بلاد الكفر.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا استغنى النساء بالنساء، والرجال بالرجال، فبشرهم بريح حمراء تخرج من قبل المشرق فيمسخ بعضهم ويخُسف ببعض، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»[1].

وحديث الطبراني: «إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء»[2]، وحديث: «لا تقوم الساعة حتى يتغاير على الغلام كما يتغاير على المرأة» رواه الديلمي عن أبي هريرة[3].

ومنها أن تكون في آخر الأمة عند اقتراب الساعة أشياء منها نكاح الرجل امرأته في دبرها أو أمته في دبرها، وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله[4].

وتظهر المعازف المحظورة وتشرب الخمر بكل صورة

(١) رواه الديلمي عن أنس، المصدر السابق ص١٥٧.

(٢) المصدر السابق ص١٥٥.

(٣) المصدر السابق ص١٦٣.

(٤) المصدر السابق ص١٦٤.

وهذا البـيت في إشارة لمظاهر الغثائية فيما يسمى بالفنون والإبداعات، فالغالب على بلاد المسلمين في هذه المرحلة كثرة الفنانين والفنانات وكثرة الحفلات الغنائية والرقص والموسيقى والمعاهد الخاصة بهذه الفنون تبعاً لما جاء به الغرب.

وقد نبه النبـي صلى الله عليه وآله وسلم الله عليه وآلـه وسـلم إلى أن هـذه الظاهرة علامة من علامات الساعة في مرحلة الغثاء والوهن، وأنها ليست مطلبـا شريفا، وقد يعتقد البعض أن هذا مخالف لما هـو معـروف في عهـد العباسـين والأمويين ومن جاء من بعدهم، حيث كان لهم اعتناء بالفن وشيء من الـرقص والمنادمة، والصحيح أن هذه العصور وإن كانت أقرب إلى عصر الإسـلام الأول من حيث الزمن ولكنها تدخل في علامات الساعة وتعتبر في جوانب التسـاهل في الغناء والمجون، وليست حجة على الإسلام وإنما يحتج بالإسلام من خلال ما ثبـت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله عليه وآله وسلم قولـه: «واتخِـذَتِ القينات والمعازف»، وفي حديث آخر عن علـي رضـي الله عنـه: «وزخرِفَـتِ المساجد، وطُولَتِ المنابر، وفَسدتِ القلوب، واتخذوا القينات، واستحِلتِ المعازف»[1]، وقوله: واستحلت.. إشارة إلى استحلال ما كان حراماً إما بفتاوى العلمـاء وإما بالجرأة والكذب على الله ورسوله.

وأما شرب الخمر فهي أيضاً من ظواهر مرحلة الغثائية، وانهمك فيها المئات مـن أهل الإسلام، وظاهرها مقرونة بنقض عرى كثيرة أدت إلى شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها، حتى فتح لها في العديد من عواصم بلاد المسلمين المصانع والمستودعات الكبـيرة لتلبـية حاجة السوق، وقد أشارت بعض الروايات إلى ظاهرة شـرب الخمور إطلاقاً دون تعيين مكان، وفي أحاديث أخـرى: «وشـربت الخمـور في

---

(١) من حديثٍ طويلٍ رواه الترمذي وأورده صاحب «الإشاعة» ص١٧٧.

الطرق» وكأ ا إشارة إلى الحوانيت والبارات الخاصة وإلى شرب المارة والمتسكعين في الطرقات لها حيث لا يخشون رقيباً عليهم، وفي رواية: «وشـربتم الخمـور في ناديكم»، وفي رواية أخرى: «إذا استحلت هذه الأمـة الخمـر بالنبـيذ»، أي: يشربو ا ويسمو ا النبـيذ يتحيلون على الله في تغيير اسمها، وحديث الطـبراني: «إن من أعلام الساعة وأشراطها أن تظهر المعازف وتشرب الخمور»[1].

وشـرطةٌ لضـبطِ أحـوال المُـدنْ ... مِـن كُـل غَمـازٍ وهمـازٍ لَسِـن

وقد سبق تناول هذا المعنى في شرح حديث «صنفان من أهل النار».

لا يسـلم الـدين سِـوى لهَـاربِ ... مِـن شـاهقٍ لشـاهقٍ مجانِـبِ

موافـعَ الحيـاةِ والحضـارةْ ... كثعلـبٍ يفِـرُ للمغـارةْ

تشير الأبـيات إلى ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم من اختلاط الأمـور في عصر الغثاء حتى يضطر الراغب في حفظ الدين من مضلات الفتن أن يبحث عـن ملجأ أو معاذ يلجأ بدينه إليه.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق، أو من جحر إلى جحر، كالثعلب يفر بأشباله» وذلك في آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله».

وحديث أبو نعيم عن عمر: «سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد لا ينجـو منه إلا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه وقلبه، فذلك الذي سـبقت لـه السوابق، ورجل عرف دين الله فصدق به» [2].

ومن يعِش في الناس عاش مسـتراب ... ويقتلـوه حنقـاً قتـل الكـلاب

---

(١) المصدر السابق ص١٥٥.

(٢) المصدر السابق ص١٦٥.

يشير النظم لمن حاول التعايش من الصالحين مع الناس في عواصمهم وأسـواقهم وأسباب تطور حضارا م، فإنه يعيش في قلق وحذر لما يدور حوله مـن التـهم والشكوك، بل قد يؤدي ذلك في بعض الأحوال والاضطرابات إلى أن يقتلوه حنقاً كما تقتل الكلاب.

وهذه الظاهرة قد لوحظت في بعض البلاد التي غز ا الغثائية الشرقية إبان مرحلة الصراع بـين القوتين العالميتين الغربـية والشرقية، فقد جعلت تلك القوى لها من المعاذير والسياسة ما تستأصل به العلماء والصالحين مـن خـلال تلـك التـهم والشكوك، حتى بلغ الأمر إلى سحل العلماء وقتلهم في شوارع المـدن، وحينـا بإصدار م سياسية كالحزبـية أو العمالة للقوى الأجنبـية لتبرير قتل العـالم أو الصالح، ويؤيد هذه الظواهر وحدوثها في الأمة قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «يأتي على الناس زمان يقتل فيه العلماء كما تقتل الكلاب، فياليت العلماء في ذلك الزمان تحامقوا» رواه الديلمي(١).

وحديث: «يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم كما يسـتخفي المنـافق فيكم» (٢).

قال الناظم:

هـم الشـعوب مأكـلُ البطـون والشـرف المعـدود في المـاعون

والـدين في الـدرهم والـدينار هـذا الـذي جـاء عـن المختـار

إشارة إلى ما أخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من ظواهر مرحلة الغثاء والوهن التي تصيب شعوب الملة في قوله عليه الصلاة والسلام: «يأتي على النـاس زمـانٌ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

همهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم، أولئك شر الخلق لا خلاق لهم عند الله».

تختلف الأقوالُ والقلوب ... ويكثر العصيانُ والذنوب

يختلف الإخوانُ في الديانة ... ويرفع الإيمانُ والأمانة

يشير النظم إلى ما يبرز جلياً من التداعيات الأخلاقية في الحياة الاجتماعية إبان المرحلة الغثائية، هدماً لما جاء به خير البرية من الأخلاق والقيم والآداب النبوية، وإلى ذلك أشار صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه الذي رواه الديلمي «لا تقوم الساعة حتى تتناكر القلوب وتختلف الأقاويل ويختلف الأخوان من الأب والأم في الدين» [1]، وقال عن الأمانة ورفعها ما ورد في البخاري من حديث حذيفة: قال ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان» [2].

وهذه الظواهر قد برزت في الحياة الاجتماعية بما لا يدع مجالاً للشك أنه المقصود في الأحاديث الشريفة، فنسأل الله العفو والعافية واللطف فيما تجري به المقادير.

يباشر المسلم قتل المسلم ... بشبهة تودي إلى سفك الدم

وتنطوي الأيام والليالي ... مسرعةً في الطي والتوالي

يشير الناظم إلى إحدى ظواهر التغير في مستوى الزمان وتحولاته، بحيث يحصل بين المسلمين سفك دماء مع أن الرسالة المحمدية قد أعطت قيمةً ومكانةً لدم المسلم، فقد ورد في الصحيح قوله في يوم النحر وهو يخطب: «فإن دماءكم

(١) رواه الديلمي في «كنز العمال» (١٤: ٤٩)، «الإشاعة» ص١٦٢.

(٢) راجع «فتح الباري» (١٣: ٤٢) كتاب الفتن، طبعة دار الفرات.

وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهرك هذا في بلدكم هذا.. ألا هل بلغت؟»، قلنا: نعم، قال: «اللهم اشهد».. إلى أن قال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (١)، وهذا الأمر بارز في نماذج القتل في الثأرات والصراعات الحزبية والفكرية والاغتيالات.

وأما «**طي الأيام والليالي**» فظاهرة تبرز في آخريات الزمان تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم ويكون اليوم كساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة» قال شارح الحديث: والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان(٢)، وقيل: قصر الأعمار بالنسبة إلى كل طبقة، وقيل: تقارب أحوالهم في الشر والفساد والجهل.

ويبدو أن تقدم الحياة العلمية وطي المسافة الزمنية بالوسائل الحديثة يبدي معنى من معاني التقارب المشار إليه في الحديث والله أعلم.

وكَثْرةُ الحُروبِ والمَلاحِم بين الجُيوشِ فِي المحيطِ العالمي

من مظاهر التحولات في المرحلة الغثائية كثرة الحروب والملاحم بين الجيوش، وأعتقد أن هذه الحروب لا تتحدد بالغثائية كمرحلة، وإن كانت في هذه المرحلة أشد فتكاً وضراوة لاستخدام الوسائل المتطورة في الحروب، فالحرب العالمية الأولى والثانية وما جرى بعدها من حروب إقليمية لها صلة بالدول العالمية تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الإشارات النبوية عن فتن وحروب وملاحم آخر الزمان، كحرب فيتنام وحرب الخليج وحرب أفغانستان وحرب الشيشان وغيرها.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (١٣: ١٩) كتاب الفتن.

وآخر الأمر حصار في العراق كذاك في الشام ومصر لا يطاق

فيه إشارة لعظمة التنبؤات النبوية عن مستقبل الزمان، فالحصار في العراق قد امتد أثره إلى ساعتنا هذه؛ وكأنه المعنى بحديث رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، قال: «يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم»، قلنا: من أين ذلك ؟ قال: «من قبل العجم، يمنعون ذاك»، ثم قال: «يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدى»، قلنا: من أين ذاك ؟ قال: «من قبل الروم»، ثم سكت هنيهة [1]، وللحديث بقية.

والحديث آية من آيات الله في إعجاز النبوة، وقد أبرزت لنا وقائع الأحوال نموذجا مما أشار إليه الحديث، وهو حصار العراق، وما من شك إلا وأن ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم كائن لا محالة، وكينونته علامة وملحظ، وقد أتم صلى الله عليه وآله وسلم الحديث بعد سكوته هنيهة، فقال: «ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جورا...» وفي رواية أبي هريرة في صحيح مسلم أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «منعتِ العراق درهَمها وقفيزها، ومنعت الشام مدِيها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، ثم شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه..» قال الإمام النووي في شرحه: والأشهر أن معناه أن العجم والروم سيتولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين. وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «وعدتم من حيث بدأتم» فهو بمعنى الحديث الآخر «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»[2].

---

(١) «صحيح مسلم» (٦: ٣٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦: ٣٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

قال صاحب كتاب «هرمجدون.. آخر بيان يا أمة الإسلام..» ص١٣ عن الهنيهة أو البرهة التي وردت في الحديث: «ثم سكت هنيهة»: هي الفترة الزمنية الطويلة، فالهنيهة تمتد آحاد السنوات، أما البرهة فقد تكون آحاد السنوات وقد تمتد إلى عشرات.

تقارب الأسواق في العواصم وقلة في الربح والمغانم

إشارة إلى ما قد لوحظ اليوم بالعيان من علامات الوهن والغثاء في العواصم العربية والإسلامية، فقد فتحت التسهيلات التجارية ذات الارتباط بالربا والشبهة، وصارت هي المثال الأوحد في أغلب المعاملات الدولية، وترتب على هذا الانفتاح الاقتصادي زيادة في الأسواق والمعارض وتقاربها في الموقع الواحد والشارع الواحد؛ بل بلغ ببعض البلاد أن يكون الشارع كله من صنف واحد للبضاعة، مع شكوى الجميع من قلة الربح وسوء الدخل وكثرة المصاريف، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أشراط الساعة تقارب الأسواق»، قلت: ما تقارب الأسوق ؟ قال: «أن يشكو الناس بعضهم إلى بعض قلة الإسابة» أي: الربح (١).

ومن حديث سلمان: «وتشارك المرأة زوجها في التجارة، وتتقارب الأسواق» قال: ما تقاربها ؟ قال: «كسادها وقلة أرباحها» (٢).

وحديث آخر «وأرى قوماً يذمون الله تعالى، ومذمتهم إياه أن يشكوه، وذلك عند تقارب الأسواق»، قال: وما تقارب الأسواق ؟ قال: «عند كسادها، كل يقول: ما أبيع ولا أشتري ولا أربح، ولا رازق إلا الله تعالى» (٣).

وعن سلمان حديث «حتى يبلغ إلى أطراف الأرض فلا يجد ربحاً» رواه الطبراني

---

(١) «الإشاعة» ص١٦٧.

(٢) المصدر السابق ص١٧٠.

(٣) المصدر السابق ص١٧٤.

عن ابن مسعود.

تشارك المرأة في التجارة وفي القضاء وكذا الوزارة

إشارة إلى ما ورد في حديث ابن مسعود فيما رواه أحمد والبخاري والحاكم «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة» [1]، وفي حديث آخر «وتكون المخاطبة للنساء» [2]، وفي حديث آخر «وأمارة النساء» [3].

وتركب البرذون والسروجا تقلد الكفار والعلوجا

إشارة إلى تحرر المرأة كما يقال «عن الجدران الأربعة» كظاهرة من ظواهر مرحلة الغثائية، وتركب ما يركبه الرجل من الوسائل، وقد سمى النبي المراكيب بثلاثة أسماء «السروج العظام - البراذين - المياثر، كما هو في نصوص الأحاديث، منها قوله: «وركب النساء البراذين [4]، «وتركب ذوات الفروج السروج» [5].

وحول إمارة النساء حديث «ليأتين على الناس زمان فيه استشارة الإماء، وسلطان النساء، وإمارة السفهاء» رواه ابن المنادى عن علي كرم الله وجهه[6].

والزعماء حجهم للنزهة والعلماء للريا والسمعة

إشارة إلى تأثر مظاهر العبادة بالغثائية والوهن حتى يكون الحج الشرعي موسماً لغير مقصده، فيحج الحكام للنزهة لما يحملونه معهم من وسائل الراحة والترفيه،

---

(١) المصدر السابق ص١٥٧.

(٢) المصدر السابق ص١٦٩.

(٣) المصدر السابق ص١٧٢.

(٤) من حديث طويل للإمام علي رضي الله عنه.

(٥) من حديث سلمان عن «الإشاعة» ص١٧٤.

(٦) «الإشاعة» ص١٦٤.

وينالوه في المناسك من الاحترام والتعظيم والتسهيل، فلا يتعرضون لما يتعرض له الحجاج من الإنهاك والتعب وحر الشمس ووطأة الزحام، ويكون حج الأواسط من الناس للتجارة[١]، وعلماؤهم للرياء والسمعة، أي: طلباً للمكانة بين الناس وإظهار الجاه والمقام والشهرة، ويكون حج الفقراء للمسألة، وهذا مشاهد في كثير من أحوال العصر، ويؤيد ذلك أحاديث في الموضوع منها «يحج أمراء الناس لهواً وتنزهاً، وأوساط الناس للتجارة، وفقراء الناس للمسألة، وقراء الناس للرياء والسمعة» [٢].

وفي رواية «يحج أمراء أمتي للنزهة، وأواسطهم للتجارة، وعلماؤهم للرياء والسمعة، وفقراؤهم للمسألة، أولئك شرار الخلق عند الله».

ويكثُر الطلاق والخَناءُ ويظهر الهَلاك والوباءُ

إشارة إلى ظاهرة الطلاق التي تغزو الأسرة المسلمة في المرحلة الغثائية، وأن هذه الظاهرة تكثر حتى يكون الغضب الإلهي بالأمراض والأوبئة الفتاكة، وهذه الأوبئة قد برز في عصرنا خطرها وهي تفتك بالناس في كثير من بلاد العالم كالإيدز والزهري وسارس الذي ظهر جديدا وغيرها، ونسأل الله السلامة.

إماتةُ الصلاةِ عن أوقاتِها وكثْرةُ العقُوقِ في ساحتِها

إشارة إلى ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم من ظاهرة التهاون بالصلاة في آخر الزمان، وأن من نماذج ذلك تأخيرها عن وقتها حتى يكاد أن يخرج، قال صلى الله

---

(٢) أي: للاستفادة من ظروف الحج وكثرة الناس في سوق العرض والطلب مما يشغل أواسط الناس، وهم سماسرة التجارة بين المستوردين والمستهلكين.

(٣) «الإشاعة» ص١٧٣ عن سلمان.

عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا إلخ الحديث... فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآياتٍ» [١].

وأما العقوق فظاهرة منتشرة وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن فشوه في مرحلة الغثاء لانعدام المربين والمعلمين فقال: «وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وقرب صديقه»[٢]. وفي رواية: «وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته» [٣]، وفي رواية: «إذا ظهر القول، وخزن العمل، وائتلفت الألسن، واختلفت القلوب، وقطع كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» رواه أحمد وابن أبي حاتم عن سلمان موقوفاً [٤].

تطاولٌ يظهر في البنيان والحكم إرثٌ في بني السلطان

ومن ظواهر الساعة على مدى تحولات الأزمنة ظاهرة التطاول في البنيان، وهي المفاخرة والمنافسة في الحصون الناطحة للسحاب كما تسمى، أو ما هو الآن بارز في بعض الدول العربية من بناء الأبراج الكبرى التي يبلغ بعضها إلى عشرات الأدوار طولاً رأسياً كما هو الحال لدى الكفار في عواصمهم، وكان الأولى لأولئك العرب أن يوسعوا مساحة الأعمار الأفقي في الصحراء لما فيه النفع للأمة جميعاً.

ومن مظاهر الساعة وعلاماتها توارث الحكم كحق أسري بعيداً عن مقصد الإسلام في وضع الرجل المناسب، وهذا الشأن قد استشرى كثيراً في العصرين

(١) المصدر السابق ص١٧٥.
(٢) المصدر السابق ص١٧٧ من حديث طويل.
(٣) المصدر السابق ص١٧٦ من حديث طويل.
(٤) المصدر السابق.

الأموي والعباسي، واستشرى الآن في المرحلة الغثائية في بعض الدول والممالك، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وآله وسلم «وصارت الإمارة مواريث» (١).

ولعب بالميسر الحرام والضرب بالمزمار للأنغام

إشارة إلى بعض مظاهر علامات الساعة عند ضعف الأمر في المسلمين وما يترتب على هذا الضعف من تجاوز للشريعة بظهور القمار وتداول اللعب به دون رادع ولا مانع، وقد حصل هذا في بعض عواصم العرب والمسلمين الآن، وفتحت بيوت القمار تحت رعاية الأنظمة والدول، وصارت عائدات هذه البيوت جزءاً لا يتجزأ من الدخل القومي للدول شأنه شأن حركة البنوك الحرام.

ومثله الضرب على آلة المزمار وغيرها من الآلات المصرح بحرمتها، والمزمار: آلة موسيقية شعبية عرفت قبل الإسلام وحرمها الإسلام، كما حرم ألواناً من المعازف الأخرى، ورد ذكرها في العلامات من مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولعبتم الميسر، وضربتم الكبر والتعزفة والمزامير» (٢).

وفي هذه المسألة خلاف بين العلماء يمكن العود إليه في مظانه من كتب العلم، حيث نعتني هنا بشأن العلامة كظاهرة وليس كفتوى، وأصل الجرأة التي حصلت في تاريخ التحولات كانت بسبب التساهل في الفتاوى إضافة إلى وجود الحماية الكافرة والرضا المبطن من قادة بعض الأنظمة التي برزت في المراحل المتقلبة، حيث تحولت مسألة التحريم للميسر والمزامير وغيرها إلى جانب معرفي وأدبي يسمى «بالفنون»، وصار لهذه الفنون أساتذة ومتخصصون ومعاهد ومدارس يتعلم فيها المولعون بهذه الفنون، ويتفقهون في ضرب الآلات وينالون عليها الجوائز والأوسمة

---

(١) المصدر السابق ص١٧٧ من حديث سلمان، وفيه قال الشارح: وأول من أحدث هذا بنوأمية.

(٢) المصدر السابق ص١٨٢.

والشهادات، ولم تعرف الأمة العربية والإسلامية مثل هذا الانحراف المعلن وبصورة رسمية إلاّ بعد أن ظهرت مرحلة الغثائية بسقوطِ دولة الخلافة، وتقَسمِ العالم العربي والإسلامي تركةً للدول الغازية والمستعمرة.

وقد أشار المصطفى للمشرق ... وقال: منها فتنةُ المنطلق
يشِير ما يأتي من الصراع ... وفتنةِ الشيطان والأطماع

يشر النظم إلى الربط بين انتقاض العرى في العالمين العربي والإسلامي في مرحلة فتنة الأحلاس والسراء، وبين ما سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بفتنة الدهيماء، «لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته، حتى يصير الناس فسطاطين» (١).

وكأني بمدلول هذه الفتنة حسب اعتقادي من خلال استقراء المراحل ومقارنتها بالأحاديث والله أعلم: أنها ترتبط بمرحلة «فتنة قرن الشيطان» التي قال فيها صلى الله عليه وآله وسلم وهو يشير إلى المشرق: «هاهنا أرض الفتن» وأشار إلى المشرق، يعني حيث يطلع قرن الشيطان، وفي رواية شعيب: «ألا إن الفتنة هاهنا» يشير إلى المشرق حيث يطلع قرن الشيطان (٢).

قلت: وفتنة الدهيماء إن صح هذا الفهم إنها مرحلة الصراع المدعوم من القوى العالمية بعيد مرحلة الاستعمار داخل البلاد العربية والإسلامية، والتي تميزت بالثورات والانقلابات ضد الهياكل السلطوية القديمة، وكذلك الحرب الفكرية ضد كل من المذهبية والتصوف وآل البيت، وكان وقودها «الدهماء»، وتصغيرها الدهيماء.

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٨.

(٢) «فتح الباري» (١٣: ٥٠) كتاب الفتن.

والدهماء عامة الناس، وهم من استخدمتهم القـوى العالميـة وسماسـر ا مـن «الطبقات الاجتماعية» لحرب المدارس والهياكل التقليدية [1].

والمعلوم أن لفظة «الدهيماء» مرحلة خطيرة ولو أن تنفيذها جاء على يد بعـض أبناء الأسر الصالحة، كما هو في بعض البلاد التي قاد ثورا ا وانقلابا ا شخصيات ذات اعتبار اجتماعي معين كانت لهم مواقف ضد سلبـيات الهياكل الحاكمة، أو لهم مواقف حركية تتلاءم مع التحولات الجديدة ورغبات في تحديث الأسـاليب والوسائل سواء في مستوى العلم أو مستوى الحكم.. لأ ا كانت «مرحلة نقـض للعرى»، وهذه المرحلة شملت بلدانا عديدة من بلاد الإسلام قام الغرب بتطويعهـا وتطبـيعها لتلائم مع سياسة الاستعمار وسياسة التجزئة، بل وتتلاءم أيضاً مع تبني السياسة الإقليمية بجذورها المصطنعة بديلاً عـن الجـذور الإسـلامية التقليديـة وتقسيما ا الإدارية المنهارة.

فقـال طـه هاهنـا مـن نجـدنا   يطلُـع قـرنُ شـيطان الأنـا

زلازلٌ وفـتن طـولَ الـزمن   وتسـعةُ الأعشـار كُفْـر وإحـن

تشير الأبـيات إلى جملة من الأحاديث التي تناولت أحاديث المشرق حيث يطلع قرن الشيطان، ومنها قوله: «اللهم بارك لنا في شامنا وبارك لنا في يمننا»، قالوا: وفي نجدنا... وفي الثالثة أو الرابعة قال: « ا الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن الشيطان» قال الخطابـي: القرنُ الأمةُ من الناس يحدثُون بعد فناء آخـرين، وكـان أهـل

---

(١) يستغرب البعض أن يعبر عن الصراع بأنه استخدام القوى العالميـة لحـرب المـدارس التقليدية، والمقصود هنا بالاستخدام إطلاق اليد وتوفير المناخ السياسـي والاقتصـادي والعسكري أحيانا، وعدم الاعتراض على ما تضعه القوى المتعارضة ضد بعضها الـبعض مادام الصراع يحقق شقة الخلاف بـين المسلمين ويسهم في اسـتثمار الكـافر لأبعـاد الصراع.

المشرق يومئذ أهل كفر، فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية، وأصل النجد: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور، فإنه ما انخفـض منها، و امة كلها من الغور، ومكة من امة. ص٥١ «فتح الباري».

قلت والله أعلم: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نجدنا»، قال: « ـا الـزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن الشيطان»، فيه ملحظٌ هام لمرحلة من مراحل الـدهيماء «التي لا تدع أحداً إلاّ لطمته».

فنجد العراق على ما ذكره الخطابـي أحد المعاني بلا شك، وكذلك ما ذكـره الشارح أن نجداً موضع مخصوص توهم بل إن كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليـه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غوراً.. ولا بأس في الاستدلال عند الحاجـة ـذه المعاني إذ هي قياسية لزما ا.

ولكن وقائع الأحوال تضع أيضاً معنى من المعاني التي تؤيد المعنى المشار إليـه في «فتنة الدهيماء»، وهو أن المراد بنجدنا: هي نجد مسيلمة الكذاب ذا ا، فهذه البلد قد برزت خلال مرحلة الدهيماء بروزاً ملحوظاً بما امتد منها من مذهب التشريك والتبديع في العالم العربـي والإسلامي حتى إ ا لم تدع أحدا إلا لطمته، وكان ا أيضاً معنى من معاني «يطلع» أو «يخرج قرن الشيطان» فالطلوع والخـروج هـو استكمال سير حركة القرن، والقرن مئة عام كما هو معلوم عند أهل العلم.

ولو نظرنا إلى «نجد مسيلمة» خلال المئة العام الماضية -وهي القرن المعـروف في الحديث «بقرن الشيطان» - لرأينا كيف جلب الشيطان بخيله ورجله خلال هـذا المدى الزمني ليثبت طلوع وخروج مجموعات هذا الفكر ومؤسساته، لتصبح نـاراً على علم ويتم رسمياً تتويج هذا المعنى الشرعي بقرار رسمي يصدر من ذات المنطقة بقيام الاحتفالات المئوية التي حشدت لها الجهات المعنيـة مـن المـال والـبرامج والملصقات والمظاهر ما يؤيد المعنى المشار إليه دون أن يفطن لهذا المعـنى أحـد أو

يتنبه له، بل دافع العديد من محققي هذا الحديث بالذات واعتبروا ان صرف حديث المشرق إلى نجد مسيلمة افتراء أو شنشنة من بعض أصحاب البـدع والأغـراض السيئة، ولسنا في معرض الإثبات أو النفي كما وقع فيه أولئك، بل نحـن هنـا في موقع التسليم بمراد الله سواء كان الأمر المعبر عنه في الحديث يخص نجد مسيلمة أو يخص نجد العراق أو يخصهما معا، فالنبوة لا تحابـي ولا تجامل، ونعتقد أن جـزءا كبـيرا من استقراء حوادث الزمان وخاصة مرحلة فتنة الدهيماء لصيقة جدا بنجد مسيلمة، وإن كان البعض يأبى ذلك ويستعظمه فعلامات الساعة متضافرة من عدة وجوه لإزالة قناع الشك عن القلقين بشأن نجد معين.

ومعنى قول الناظم: «**قرن شيطان الأنا**» إشارة إلى المدرسة الأنوية الـتي وضـع الشيطان مبدأها عند قوله: أنا خير منه ، وهي المدرسة المعادلة للمدرسة الأبوية التي رسمها آدم عليه السلام بأمر مولاه وعلم آدم الأسماء كلها .

والمدرسة الأنوية الإبليسية من مبادئها البتر والإقصاء واجتثاث للآخرين، وقـد برزت هذه المعاني جلية في وسائل الدعوة الممتدة من هذه المنطقة [1]، كما أن من وسائلها القسم بالله كذباً وبهتاناً كما أقسم إبليس لآدم وحواء بالنصيحة الكاذبة وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. فدلاهما بغرور ، وقد كان هذا أحد أساليب المدارس الأنوية كلها في مرحلة الدهيماء التي عبر عنها صلى الله عليه وآله وسلم، ويبدو أن فتنة الدهيماء قد جمعت ثلاث مراحل خطيرة في أرجاء العالم العربـي والإسلامي:

(١) وخاصة في مرحلة امتدادها.

أ) مرحلة الاستعمار، وبدأت بعد انتهاء مرحلة السراء ونجـاح الحـرب العالمية الأولى والثانية في تفكيك حدود العـالم العربـ ـي والإسـلامي، ومـن مظاهرها:

١- بروز المدرسة الشيوعية الأنوية بالثورة البلشفية.

٢- إقامة الكيان الصهيوني الأنوي.

٣- بروز الأمم المتحدة كغطاء عالمي أنوي.

٤- تقسيم العالميين العربـي والإسلامي إلى دويلات قومية وحدود متنـازع عليها.

٥- دعم البرنامج القبلي في جزيرة العرب لنقض عرى المـدارس التقليديـة (المذهبـية وآل البـيت والصوفية) ذات العلاقة بالقرار الإسلامي علـى عهـد الخلافة.

ب) مرحلة الاستهتار، ومن مظاهرها:

١- شطر العالم العربـي والإسلامي إلى: رأس مالي - شيوعي الحادي.

٢- الدفع بالإنقلابات والثورات الشعبـية.

٣- تشكيل الأحزاب السياسة.

٤- دعم الاقتصاد الربوي العالمي وفتح مصارفه في العالم.

٥- إشعال الصراع الطبقي والاعتقادي في بعض البلاد العربـية والإسلامية.

ج) مرحلة الاسثمار، ومن مظاهرها:

١- إعادة تشكيل النظام العالمي الموحد وإسقاط النظام الشيوعي العالمي.

٢- إحلال الصراع الاعتقادي المسيس بديلاً عن العداء الطبقي الشيوعي تحت مسمى الصحوة.

٣- توحيد القوى الاقتصادية العالمية تحت سياسة العولمة.

٤- اجتثاث القوى الحركية المسيسة - إسلامية أو غير إسلامية – وتطبـ ـيع العالمين العربـ ـي والإسلامي بمرحلة العولمة ذات القطب الواحد [1].

(١) ربما لا تروق هذه التحليلات المطروحة هنا لبعض الباحثين والعلماء المهتمين بعلامـ ـات الساعة وتناول الملاحم والفتن، وخاصة أن هذه التحليلات لا تملك الدليل القطعـ ـي في مطابقتها لشرح الواقع المتحدث عنه، والحقيقة التي وددت طرحها هنا أنني أقدمت على هذا التحليل لم أعتبرها جزما قاطعا، ولكني اعتبرت الاستنتاجات المشار إليهـ ـا إحـ ـدى الاحتمالات القريبة من مطابقة الواقع، فإن صح ذلك ففضل من الله، وإن لم يصح فالحق ما عبر عنه من لا ينطق عن الهوى ρ.

الفتنة الرابعة:

العمياء البكماء الصماء

قال الناظم:

وفتنةٌ رابعةٌ مدمرةْ ... يسوس أمر المسلمين الكفَرةْ
وتخبطُ الجزيرةُ الكبيرةْ ... بيدها ورجلها مثيرةْ
رياح شر وفُتونٌ وإحن ... على الحُطامِ والزمامِ والمِهن
حتى يهانَ الدين في قرارِهِ ... ويختفي الصادق جوف دارِهِ
يسير كُل الناس نحو الجُحرِ ... مِن رافضٍ وخادمٍ للكُفْرِ
كلاهما في سيرِه التزما ... لسلْطةِ الكفارِ مِن غير انتما
وأكثر الخدمةِ للنساءِ ... وأحمق من راوغٍ مرائي
يا رب واحفظنا وكُن عوناً لنا ... وثبِّتِ الإيمانَ فينا واهدِنا

يشير الناظم إلى ما سماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفتنة الرابعة: العمياء الصماء البكماء، وهذه الأوصاف وردت في أحاديث متفرقة أوردها أصحاب السنن وعلماء التأليف في الفتن.

وهذه الأحاديث بمجموعها تبرز خطر هذه المرحلة التي تحددت من خلال استقراء الحوادث بالتحولات العالمية التي شهدتها الأمة تمهيدا لسياسة العولمة في العالم، وما ترتبت عليها من إجراءات ومواقف محلية وعالمية على مستويات كثيرة، كان المحرك والقابض على زمامها (الكافر) بلا منازع، وقد برزت مدلولاتها التي أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحصولها خطوة خطوة، لا يعلم أحدا مداها

ولا مد ا إلا الذي يعلم السر وأخفى، وقد بينت الأبيات بعض هذه الظواهر، وما خفي كان أعظم، ونسأل الله الحفظ والعون.

المواقف الشرعية عند ظهور الفتن والتحولات الغثائية

بعد بسط مظاهر الفتن والتحولات حسبما تيسر لنا في هذه العجالة ووصلنا إلى مرحلة الغثاء والوهن باعتبارها مرحلة تجمع الكثير من العلامات والشواهد الـتي نراها في حياتنا المعاصرة، وسيلحقها أيضاً مرحلة الدجال والمنتظر وغيرها.

ولكن هنا نضع فصلاً هاماً من فصول التحول، وهو ما يتضمن المواقف الشرعية التي أمرنا ا صلى الله عليه وآله وسلم عند هذه التحولات الخطيرة، فقد ثبـت في السير أن كثيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توقفوا عن كثير من الأمور لما قرأوا أو سمعوا أو تذكروا شيئاً من العلامات.

قال الطبري: اختلف السلف، فحمل ذلك بعضهم على العموم، وهم من قعـد عن الدخول في القتال بـين المسلمين مطلقاً كسعد وابن عمر ومحمد بن مسـلمة وأبـي بكرة وآخرين، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها، ثم اختلف هـؤلاء، فقالت طائفة بلزوم البـيوت، وقالت طائفة بالتحول عن بلد الفتن أصلاً... الخ. وقد استطرد الشارح في هذا الباب كثيراً مما لا حاجة لنا به وليبحث عنه من يرده في موقعه.

قال الطبري: والصواب أن يقال أن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب لمن قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمـر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها.

وقيل: إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك، وقد وقع في حديث ابن مسعود، قال: قلت: يا رسول الله

ومتى ذلك؟ قال: «أيام الهرج»، وقلت: ومتى؟ قال: «حين لا يأمن الرجل جليسه» [١].

إذا طغت علائم التحول	**وفتنة العلم بغير العمل**
واستحكم الشيطان في الشعوب	**وكثر الران على القلوب**
فالمصطفى يشير في بيانه	**ألا يكون المرء عبد رانه**
وليطلع على البيان النبوي	**فالسر في العلم الشريف الأبوي**
ومقتضى الحكم التأني الدائم	**إذ في التروي مخرج ملائم**
وليقرأ العلائم المحددة	**وليتخذ من بعدها ما اعتمده**
من بعد أن يسأل أهل الدين	**من كل حبر ثابت اليقين**
ففتنة الدين بلاء وضرر	**والبعد عنها واجب مع الحذر**

يشير الناظم إلى ما يجب على المسلم الخائف الوجل على نفسه أن يفعله أمام بروز علامات التحول في العصر الذي هو فيه، وخاصة إذا برزت علامات الفتن المشار إليها، **والمطلوب من المسلم** «الاطلاع على البيان النبوي»، والمقصود به التأمل الواعي في الأصلين الكتاب والسنة إذ إن في هذين الأصلين «سر العلم الشريف الأبوي»، ويقصد به سر الأخذ بالتسلسل العلمي، حيث إن كثيراً ممن يتحدث بهذه العلوم لا يمتلك سر الأسانيد الأبوية، فيكون في الغالب مزلة للشيطان رغم علمه ووعيه [٢].

---

(١) «فتح الباري» (١٣: ٣٤-٣٥) كتاب الفتن.

(٢) أفضنا القول عن هذا المدلول الأبوي في كتابنا «الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية»، وفيه تفصيل وافٍ عن الفرق بين المدرسة الأبوية المسندة والمدرسة الأنوية الأبليسية المبعدة.

نماذج الأحاديث المعبرة عن المواقف:

عن الزبير بن عدي قال: شكونا إلى أنس ما نلقاه من الحجاج، فقال: اصبروا.. "إنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم" سمعته من نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم. رواه البخاري والترمذي.

قال في «فتح الباري» (١٣: ٢٣) من كتاب الفتن عند شرح هذا الحديث: وقد ذكر الزبير في الموفقيات من طريق مجالد عن الشعبي، قال: كان عمر فمن بعده إذا أخذوا العاصي أقاموه للناس ونزعوا عمامته، فلما كان زياد ضرب في الجنايات بالسوط أو بالسياط، ثم زاد مصعب بن الزبير حلق اللحية، فلما كان بشر بن مروان سمر كف الجاني بمسمار، فلما قدم الحجاج قال: "هذا كله لعب" فقتل بالسيف.

قال ابن بطال: هذا الخبر من أعلام النبوة لإخباره صلى الله عليه وآله وسلم بفساد الأحوال، وقد استشكِلَ الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، كعهد عمر بن عبدالعزيز، وهو بعد زمن الحجاج بوقت قصير، وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن عبدالعزيز بعد الحجاج، فقال: لا بد للناس من تنفيس، وأجاب بعضهم: أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة أحياء، وفي عصر عمر بن عبدالعزيز انقرضوا والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير القرون قرني»، وقوله: «أصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» أخرجه مسلم.

وأولُ الأمر اصطبار للبلاءْ وحسن سيرٍ في العداءِ والولاءْ

يشير النظم إلى أن أول مواقف المرء عند الفتن الصبر على ما كتبه الله مع حسن المعاملة مع الناس حاكماً أو محكوماً محباً أو مبغضاً عدواً أو صديقاً، إذ إن أساس المعاملة الأدب مع قضاء الله وقدره في العباد، قال الله تعالى: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

ثم **اجتناب الحمل للسلاح من غير حربٍ واضح الكفاح**

فحملُه دون الجهادِ مفْسدةْ إلاّ الذي أمن أجاد مقْصِده

تشير الأبيات إلى إحدى أبواب الفتن التي يجب الابتعاد عنها بادئ ذي بدء، وهي «**حمل السلاح**»، وقد خصصت الأحاديث النبوية حيزاً كبيراً لمعالجة هذه المسألة معالجة وافية، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حمل علينا السلاح فليس منا» رواه البخاري عن عبدالله بن عمر.

وحديث همام عن أبي هريرة، قال: سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يديه فيقع في حفرة من النار».

والحديث عن جابر أن رجلاً مر في المسجد بأسهم قد بدأ نصولها، فأمر أن يأخذ بنصولها لا يخدش مسلماً، وحديث أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها، أو قال: فليقبض بكَفهِ أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء».

وفي الأحاديث إشارة واضحة إلى خطر استعمال السلاح في غير الجهاد وتثبيت الأمن، سواء كان الحمل له في عصر الرسالة أو فيما تلاها من المراحل، وفي الحديث أيضاً إشارة إلى أن في حمل السلاح رعب على الناس سواء بقتالهم أو

بتخويفهم، ولهذا عبر صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «من حمل علينا فليس منا»، قال في «فتح الباري»: لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه، لا أن يرعبه بحمل السلاح عليه لإرادة قتله أو قتاله [1].

وقد انتشرت في المسلمين اليوم ظاهرة حمل السلاح دون حاجة ماسة له، وترتب على ذلك مفاسد كثيرة، ومنها تهديد الأحداث بعضهم لبعض، والعبث بالأسلحة النارية بقصد التعرف والتنظيف أو التجربة مما كان به حتف الكثير، وقد ورد في الحديث «الملائكة تلعن أحدكم إذا أشار إلى لآخر بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[2]، وحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتعاطى السيف مسلولاً» وفي رواية: «لعن الله من فعل هذا» [3].

وعندما يعم أمر الفتنة وارتبك الناس لهول المحنة
فليستعذ من فيه عقلٌ بمعاذْ أو ملجأٍ يحميه من شر اجتذاذْ

تشير الأبيات إلى ما أمر به صلى الله عليه وآله وسلم عند اجتياح الفتن وصعوبة الوقوف أمامها فالواجب على المسلم العاقل أن يبحث له عن ملجأ وعياذ، تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به» [4].

قال في «الفتح» (١٣: ٣٤): ووقع تفسيره عند مسلم في حديث أبي بكرة، ولفظه «فإذا نزلت فمن كان له إبل فليلحق بإبله..» وذكر الغنم والأرض، قال

---

(١) «فتح الباري» (١٣: ٢٧) كتاب الفتن.

(٢) المصدر السابق (١٣: ٢٨) كتاب الفتن.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق (١٣: ٣٣) كتاب الفتن.

رجل: يا رسول الله: أرأيت إن لم يكن له ؟ قال: «يعمِد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع» اهـ.

قال الشارح تعليقاً على هذا الحديث: والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل.

ويؤيد معنى الاعتزال عن الخلق في الفتنة حديث حذيفة الذي رواه البخاري: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخنه ؟ قال: «قوم يهدونَ بغير هديِي تعرِف منهم وتنكِر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله صِفْهم لنا، قال: «هم من جلْدِتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإذا لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: «فاعتزل تلك الفِرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

قال في شرح الحديث عند قوله: «وفيه دخن»: قال الشارح: "الدخن: فساد القلب"، ويشير المعنى إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً بل فيه كَدر. وقوله «يهدون بهدي» قال: وفي رواية «يكون بعدي أئمة يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي». اهـ كلام الشارح.

قلت: وفي هذه العبارة معنى عظيم لما يرد من الدخن على الأئمة، فالهدي النبوي فيهم وهو أتباع الكتاب والسنة وخدمة ثمراتهما بحثاً وتصنيفاً ودراسة وتعليماً ؛ ولكن السنة غير قائمة، والمقصود بالسنة حسب ما أعتقد والله أعلم أنها سنة

المواقف، وهي مواقفه صلى الله عليه وآله وسلم وإنصافه من نفسه وعدم انتصافه من أضداده، وهي «**سنة الأخلاق**».

وقوله: «تعرِف منهم وتنكِر» قال في حديث أم سلمة عند مسلم: «فمن أنكر برئ ومن كَرِه سلِم»[1].

قوله: «من جلدتنا» إشارة إلى أنهم من العرب، وقوله: «ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: لم يفصح الشارح فيه بأمر، وأعتقد أن معنى قوله: «يتكلمون بألسنتنا» أي يعبرون ويتحدثون عما نحن نريده ظاهراً، أي: يتكلمون بلسان رسول الله والشريعة وتنطق بذلك ألسنتهم وأجهزة إعلامهم وفي الباطن مخالفون.

ولا يشارك أحداً في فتنته   أو أنْ يكُونَ في حِماها بطانته

إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «من كثّر سواد قومٍ فهو منهم، ومن رضِي عمل قوم كان شريك من عمِلَ به» أخرجه أبو يعلى[2].

وإنْ بليت فعليك بالخواص   واترك عوام الناس إنْ شئْت الخلاص

يشير النظم إلى ما يصيب الأمة في عصر الغثاء والوهن من الضياع والشتات وسوء الاستتباع للأعداء، وكيف يكون موقف المؤمن الوجل؟! وإلى ذلك تشير الأحاديث من مثل ما رواه أبو هريرة في قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف بك يا عبدالله بن عمرو إذا بقيت في حثالةٍ من الناس وقد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا ؟» وشبك بين أصابعه، قال: فما تأمرني ؟ قال: «عليك بخاصتك ودع عنك عوامهم»، وفي رواية سهل ابن سعد

(١) المصدر السابق (١٣: ٣٩).

(٢) المصدر السابق (١٣: ٤١).

قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في مجلس فيه عمرو بن العاص وأبناؤه، قال: وذكر الحديث وزاد «وإياكم والتلون في دين الله» [1].

وفي معاني هذه الأحاديث إشارة واضحة إلى ضرورة الاعتزال عن مواقع الظهور والاختلاط بالعوام، ومظاهر الناس العامة وخاصة عند شمول الافتتان، ويقتصر المرء على الخواص، وهم الذين يطمئن إليهم المرء ويعلم استفاد م منه وصدقهم معـه، وخاصة في شأن الدين والعمل به.

وليعتزلْ في **البدو أو بعـض القُـرى** **كما أتى** في **النص عن خـير الـورى**

يشير النظم إلى ما يجب على المسلم فعله عند اشـتباك الفـتن، حيـث ورد في الصحيح جملة من الأحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «يوشـك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع ا شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينـه مـن الفتن» [2].

والمعلوم أنّ الإسلام يحث على بقاء المسلم في حواضر الإسلام، واعتبر التعـرب بعد الهجرة أي العودة إلى البداوة بعد السكنى في المدينة أو مكة من الكبائر علـى عهد صدر الإسلام، لحديث «من رجع بعد هجرته أعرابـياً»، وأخرج النسائي في حديث ابن مسعود «لعن الله آكل الربا وموكله» وفيه: «والمرتـد بعـد هجرتـه أعرابـياً»، قال ابن الأثير في «النهاية»: كان من رجع بعد هجرته إلى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد.

وقد أخرج الطبراني من حديث جابر بن سمرة رفعه «لعن الله من بدا بعد هجرته» إلا في الفتنة فإن البدو خير من المقام في الفتنة [3].

---

(١) المصدر السابق (١٣: ٤٣).

(٢) المصدر السابق (١٣: ٤٤) كتاب الفتن.

(٣) المصدر السابق (١٣: ٤٥).

وقد أذن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الصحابة في البـدو، ومنـهم سلمة بن الأكوع، فقد ورد في البخاري عن سلمة بن الأكوع أنه دخـل علـى الحجاج فقال: يا ابن الأكوع.. ارتددت على عقبـيك.. تعربت؟ قال: لا؛ ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذن لي في البدو.

وفي رواية: قدم سلمة المدينة فلقيه بريدة بن الخصيب، فقـال: ارتـددت عـن هجرتك ؟! فقال: معاذ الله.. إن في إذنٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمعته يقول: ابدوا يا أسلم - القبـيلة المشهورة التي منها سلمة وأبو برزة وبريدة المذكور - قالوا: إنا نخاف أن يقدح ذلك في هجرتنا، قال: «أنتم مهاجرون حيث شئتم» [1].

قال في «الفتح» عند قوله: «يفر بدينه من الفتن»: فمن يتحتم عليه المخالطة مـن كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليه، إما عيناً وإما كفاية بحسـب الحـال والإمكان، ومن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قـام في الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يستوي من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا تكون هناك فتنة عامة فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لمـا ينشأ فيها غالباً من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة، فمنـهم من ليس من أهلها كما قال تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلمـوا مـنكم خاصة [2].

ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه أبو داود والنسائي عن عبدالله بن عمرو بـن العـاص رضي الله عنهما، قال: قال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيـف بـك إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأمانا م واختلفوا وكانوا هكـذا ؟»

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (١٣: ٤٧).

وشبك بـين أصابعه، قال: فبم تأمرني؟ قال: «الزم بـيتك وأهلك، وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنـك أمر العامة» [1].

وعن أبـي موسى رضي الله عنه نحوه، وفي آخره: قالوا: بم تأمرنـا ؟ قـال: «كونوا أحلاس بـيوتكم» رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن أبـي ذر رضي الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يـا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالةٍ؟» وشبك بـين أصابعه، قال: ما تأمرني يـا رسول الله ؟ قال: «اصبر.. اصبر.. اصبر.. خالقوا الناس بأخلاقهم وخـالفوهم في أعمالهم» رواه الحاكم والبـيهقي في «الزهد» [2].

وفي هذا الحديث إشارة إلى مصانعة الواقع والصبر على أهله ما ستطاع إلى ذلك سبـيلاً من غير تجاوز ولا افتئات أو مذلة أو إهانة أو نقص في الدين، وعن أبـي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقربـوا الفتنة إذا حميت، ولا تعرضوا لها إذا عرضت، واضربوا أهلها إذا أقبلت» [3]، وفي هذا الحديث أيضاً إشارة إلى نموذج من نماذج التعامل مـع التحـولات، بحيـث يستطيع العاقل المؤمن أن يتجنب الانخراط المباشر في رياح التغيير المدمرة حقـائق الدين، وإذا ما اضطر إلى المواجهة عند إقبالها عليه فلا مخرج من حسن التصـرف مع أهلها.. إما بالتجاوز أو الاشتباك، وللضرورة أحكام كما يقال.. وقد فسـر حديث خالد بن عرفطة τ أن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «يا خالد إ ا ستكون بعدي أحداث وفتن وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فإن استطعت أن

---

(١) «الإشاعة» ص١٨٤.

(٢) المصدر السابق ص١٨٥.

(٣) المصدر السابق ص١٨٥.

تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل» رواه أحمد وابن أبـي شيبة ونعيم بن حماد والطبراني وغيرهم [(١)].

وخير حالٍ للفـتى إحسـانُ ظَـن   فيما استطاع مـع إحيـاءِ السـنن

يشير النظم إلى أن إحسان الظن بالناس فيما هو لازم فيه حسن الظن ما استطاع الإنسان وإحياءه للسنن أعمالاً صالحةً ومواقف أخلاقٍ مع البر والفـاجر وتجنبـه للفتن ومضلاتها كل ذلك أمر يفي بالنجاة في الحياتين، تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأنس رضي الله عنه: «يا بني إن قَدرت على أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل»، ثم قال: «يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقـد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة» رواه الترمذي [(٢)].

وفي سياق معنى الحديث إشارة لطيفة إلى حسن المعاملة وكمال الإعراض عـن صراع الحياة الدنيا، إذ هي سبب كل فتنة وغش وكدورة.

وإحياء السنن بهذا المفهوم العالي يربط حقاً بـين السنة والمواقف فيجعلها شيئاً واحداً فتصبح حقاً «**سنة المواقف**» هذه السنة التي لا تكون إلاّ من محب صـادق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يليق به هذا المصير العظيم في الجنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) المصدر السابق ص١٨٦.

(٢) المصدر السابق ص١٨٧.

بـين يدي الدجال
(الدجل.. الدجاجلة.. الدجال..)

(عن ابن ماجه قال: سمعت الطنافسي يقول: سمعت المحاربـي يقول: ينبغي أن يُدفع هذا الحديث – يعني حديث الدجال- إلى المؤدب حتى يعلمه الصبـيان في الكُتّاب)

الإشاعة ص٢٨٦

بين يدي الدجال

قال الناظم:

بين يدي الدجال أخطار كُثُر في **الدين والدنيا تأمل واعتبر**

إشارة إلى ذات المراحل التي سبق ذكرها، وأن بينها وبين مرحلة ظهور الدجال علاقة وطيدة، وخاصة ما تسمى (بفتنة الدهيماء) التي «لا تدع أحداً إلا لطمته، حتى يصير الناس فسطاطين: إيمان لا نفاق فيه ونفاق لا إيمان فيه، فانتظروا الدجال من يومه أو غده» [1].

ومع أن الأحاديث تشير إلى بدء زمن الفتنة الصانعة مرحلة الدجال بدءاً من عصر آدم إلاّ أن المسافة تتقارب جداً وتتضح علائمها بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتتوجه قضية الدجال في إطار واضح ومتلاحق، وحصاد هذا التلاحق تغيرات المراحل وتقلبا ا ومجريات الأحداث داخلية وخارجية وقديمة وحديثة لتصب مجملها في يئة العالم لبروز فتنته الساحقة الماحقة والعياذ بالله.. ولا شك أن قضاء الله كائن ولا مرد منه؛ ولكن الديانة تقف من التحولات موقف الوعي والإيضاح والبيان والإفصاح، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة .

وهذا هو سر الرسالات، وسر اتباع الأنبياء لاكتساب الحصانة بعد توفيق الله وما توفيقي إلا بالله .

ولم يهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء بعد قضية التعبد وهداية الناس إليها اهتمامه بشأن الفتن السالبة سر هذا التعبد، وخاصة تلك الفتن الممهدة

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٨.

لفتنة المسيح الدجال ؛ ولكن هذا الاهتمام متلازم مع العلم بعلامات الساعة وربط البشرية بركنية هذه العلامات، إذ أشار صلى الله عليه وآله وسـلم أن مشـكلة المشاكل في قضية الدجال وهيمنة غياب الصيغ الشرعية في الواقع الاجتماعي مـن خلال انحرافات علمية وعقدية داخل الخيمة الإسلامية ذا ـا، وتتـراكم هـذه الانحرافات مرحلة بعد مرحلة أخرى حتى يكون العالم بـين يدي الدجال كذات ومرحلة.

ومع تطور الانحراف تتطور أساليب التمويه والعماية في القلوب والعقول وتختلط الأوراق، لتحمل الجميع نحو قبول المرحلة الدجالية والدخول إليها بحماس وابتهاج وحيوية، وفق البرنامج الدعائي للطابور الدجالي المفتون، وهكذا تكون الفاجعة.

منها شـمولُ الـدجل والدجاجلـةْ   **من يزرعـونَ** في **الـورى مشـاِتله**

وفي هذا البـيت كما يقولون «**بـيت القصيد**» إ ا مرحلة «**ما بـين يـدي الدجال**»، ومن أخطر مظاهرها «**الدجل**»، وهو الصيغة العقلانية لقلب مـوازين الحق إلى باطل، وقبول ذلك لدى الناس، وقلب موازين الباطل لتصبح حقاً مقبولاً أيضاً لدى الناس، فيتعلمون أو يتضافرون على تحقيق هذا الانقلاب الفكري ثلاثة قوى:

الدجل، وهي مادة الفكر المعدة للتطبـيع.

الدجاجلة، حملة الفكر الماسخ سلباً وإيجاباً ما بـين تسييس الدين[١]، أو علمنة الدين[٢].

---

(١) معنى تسييس الدين: إرضاخ الدين ورجاله لتنفيذ سياسة دينية معينة مضـادة لأخـرى مثلها.

(٢) معنى علمنة الدين: إضعاف منهج التدين كليا وترجيح العقلانية ا ـردة ضد الغيبـيات والخوارق وقوانين الشريعة.

الدجال، الغاية التي أبرزت الانحراف في الوسائل لتهيئة ظهوره.

وغالب أحداث مرحلة ما بين يدي الدجال قد وردت ضمن ما سمي «بفتنة الدهيماء التي لا تدع أحداً إلا لطمته»، وآخر مراحلها المُفضية إلى إعداد العقل الإنساني عموماً والإسلامي خصوصاً للهيمنة الفاجعة، عند كون الناس في «خفة من الدين»، والخفة في الدين منهجةٌ إعلاميةٌ طويلةُ المدى بدأت قبيل مرحلة **فتنة الأحلاس** التي حددت عند بعض أهل العلم بانخراط يهود الدونمة وأشباههم في جسد الدولة الإسلامية، ورسم خطوط المؤامرات العلمانية للدول الكافرة، إبان امتداد الدولة الإسلامية العثمانية رمز الخلافة ومصدر القرار المسلم، واستمرت خلال مرحلة **فتنة السراء** التي طوت الحكام المسلمين والعرب في دوامة الحربين العالميتين الأولى والثانية، حتى رسخت ثوابت **مرحلة الدهيماء** القائمة على رسم سياسة الاستعمار والاستهتار والاستثمار... وها نحن اليوم في آخر مرحلة الاستثمار أخطر مراحل فتنة الدهيماء التي لا تدع أحداً إلا لطمته، فاللطم له معان جمة ولا يأتي اللطم لهذا العدد الهائل من البشر والمسلمين في زمن معين وأيام قلائل، ولكنه تتابع في لطم القلوب والعقول والوجوه بعدة وسائل، والوسائل هي آلة اللطم المؤثرة والتاركة خلفها بصمات اللاطم لا صورته.

و**فتنة الدهيماء:** مرحلة التحوت والأسافل من الناس الذين يتبعون كل ناعق، سماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هيشات الأسواق»، وهؤلاء هم مطايا الحركة الماسخة أجيالاً بعد أجيال، بدأ تركيبهم العلمي والنفسي والعقلي والعاطفي والإيماني والدجالي مع بداية الغزو الاستعماري العالمي، ليتحقق فيهم مرحلة بعد مرحلة مدلول **الخفة** في **الدين** و **الإدبار من العلم،** بدءاً من رموز الحكم والعلماء حملة الأمانة ولسان الشريعة وحماة التوحيد، و[غ]اية بطلاب المدارس والجامعات وجحافل النساء ذوات العلاقة المباشرة بفتنة الدجال، قال صلى الله

عليه وآله وسلم: «يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم فلا يبقى أحد يحاجه في أكثر الأرض، ويذهل الناس في ذكره، وإن أكثر مـا يتبعـه الأعـراب والنساء[1]».

إذن فنحن في حاجة إلى النظر فيما بـين يدي الدجال بدقة وموضوعية، والدقة والموضوعية تشيران حسب استقرائنا للأحداث والله أعلم إلى أنها مرحلة الاستثمار بمسمياتها المألوفة في واقعنا الإعلامي:

«**القطب الواحد**» النظام العالمي الموحد.. بكتلته السياسية والفكرية.

الصحوة بعناصرها وأنظمتها ومجموعاتها الغثائية.

العولمة بمظاهرها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وبإمكان الباحث الحصيف أن يتعمق في متابعة هذه النقاط المجتمعة أزمتها بـيد «**قوة عالمية واحدة**» يقبع خلف جدرانها الصفحة «**المسيخ الدجال**».

وبإمكان الباحث الحصيف أيضاً أن يتعمق في متابعة ظواهر العلامات التي تكلم بها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم ليفصح عن حقائق التـردي المتعمد في أجيال الأمة المسلمة، ومن مثل قوله محذراً: «لا تزال الأمة على شـريعة حسنة ما لم تظهر فيهم ثلاث:

١) مالم يقبض منهم العلم.

٢) ويكثر فيهم ولد الخنث.

٣) ويظهر فيهم السقارون.

---

(١) هؤلاء هم وأشباههم حملة فكره وأطروحاته قبـيل ظهوره بما في أيديهم من مقـدرات الحركة ومراكز التأثير في مرحلة «فتنة الدهيماء» الطويلة، ثم يكتسح صـنائعه ورمـوزه نظاماً بعد نظام ومجموعة خلف أخرى.

قال: نشوء - جمع نشء - يكونون في آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن» [1].

والتعمق المشار إليه في حديثنا هذا أن نرى كيف رسم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم صفة التردي في سياسة الدجال والأمة في غاية العماية والغفلة.

فقبض العلم من المسلمين، قد جرى بأطروحات السياسة التعليمية الغربية والشرقية في مؤسسات البلدان المستعمرة، وكثر في المجتمعات العربية والإسلامية انتشار الخناء والزنا وأبناؤه سراً وعلناً، وتكونت لهم الملاجئ والدور الراعية لهم المفضية إلى استغلال عقدهم النفسية للانتقام من البناء الأخلاقي في الأسرة المسلمة.

وأما ظهور «السقارون» فدلالة عظيمة من دلالات النبوة، حيث إن الكثير من أهل عصرنا يسمون السيجارة (سقارة)، والسقارة من هذا المعنى أنها من يشرب التنباك، وخص السيجار منه لكثرة من يحمله في الطرقات والمواصلات والبيوت حتى يصبح ظاهرة من ظواهر المجتمع العربي والإسلامي له «تجاره» السقارون بمواقعه وشركائه ومسيماته وأسواقه ودعاياته وجوائزه ومواهبه.

وهذه الظاهرة غزت بلاد الإسلام والمسلمين خلال (مرحلة الدهيماء)، وشوهد بالعيان تلاعن المدخنين عند لقائهم ورفع أصواتهم بالتلاعن في الملاعب والشوارع والمؤسسات، مع اختلاف بسيط بين مجتمع وآخر.

لقد كان حضور المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مرحلة الاستعمار واضحاً كما هو حضوره في سابق المراحل ولاحقها ؛ ولكن وقفات مع التحليل النبوي لظاهرة انعدام العلم من أهله، وكيف يكون ذلك ؟

---

(١) رواه أحمد والطبراني والحاكم، انظر «الإشاعة» ص١٦١.

يكون ذلك فيما بين يدي الدجال، فنراه حاضراً يقول: «إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر» رواه الطبراني عن أبي أمية الجمحي. ويستطرد شارح الحديث فيقول: ومعناه أن الأكابر[1] من أولاد المهاجرين والأنصار، بل ومن قريش يشتغلون بطلب الدنيا والجاه، ويبقى الأصاغر من الموالي وأخلاط الناس هم الذين يتعلمون، فيطلب منهم الفتاوى في الواقعات.

وقد أشرنا سلفاً إلى الثلاثة المحاور ذات العلاقة بالانقلاب الفكري في هذه الأمة، وهي:

الدجل، والدجاجلة، والدجال..

ويبدأ العمل على ترسيخ الفتنة من عهد آدم ونوح، وما من دجل إلا وله دجاجلة، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من فتنة من عهد آدم إلا وهي تصنع -أو قال: تضع- لفتنة الدجال»، ومن ثم حذّر الأنبياء أقوامهم من فتنته العظمى، فقد ورد في صحيح البخاري: «ما من نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال»، وعند أبي داود والترمذي عن أبي عبيدة رضي الله عنه، قال: «لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أنذر قومه الدجال»، وعند أحمد: «لقد أنذر نوح أمته والنبيون من بعده».

---

(١) لعل بعض القراء يتأففون من إيراد الشارح لفظتي «الأكابر والأصاغر»، ويرون في هذا التعبير فارقاً طبقياً، ولكني أعيد الجميع إلى المعلم الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي أمرنا بوضع كل إنسان في مرتبته من المعرفة والعلم وفقيها أكابر وفيها أصاغر؛ ولكنه سوى بين الجميع في التقوى وكرامتها وبين الحقوق والواجبات والمسؤوليات، وبين أن من علامات الساعة أن يتساوى العلماء بغير العلماء، والقرآن ينفي ذلك قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

ومع هذا الإنذار والتحذير من فتنة المسيح الدجال وأثرها على العقل الإنساني فقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن في حوادث الأزمنة وسير قضاء الله وقدره عبر التاريخ ما هو أكبر من الدجال.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال..» رواه مسلم(١).

والفتنة الكبرى في مسيرة الدجال حتى ظهوره هي "قلب الحقائق" «**الدجل**»، والدجال مشتق من الدجل، وهو الخلط واللبس والخدع، والعين مجبولة التأثر بما ترى، وكذلك بقية الجوارح، والتمويه يؤثر على العواطف والمبادئ والمواقف إلا من ثبت الله ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة..﴾، اللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا والآخرة. آمين.

والدجل ناجح التأثير والفعالية بعصبة الدجاجلة، والدجاجلة أفراد تتبعهم الأقوام والشعوب ولهم علامات ودلائل، وتبدأ ملامحهم في خيمتنا الإسلامية بوضوح من خلال مواقفهم التي رصدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقرونة بالفتن، منها فتن عامة غير محددة المكان والزمان كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لست أخشى عليكم الدجال وإنما أخشى علماء الفتنة»، وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» رواه أبوداود وابن ماجه (٢).

ومنها فتن خاصة محددة الزمان والمكان كان صلى الله عليه وآله وسلم يصفها بقوله: «إني أرى مواقع الفتن بين بيوتكم كمواقع القطر»، ويفصح عن هويتها

---

(١) «الاشاعة» ص ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق ص١٨٤.

في الفتنة التي صاحبت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فيقول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه حذيفة: ((أول الفتن قتل عثمان، وآخرها خروج الدجال))، زاد ابن عساكر في روايته: ((والذي نفسي بيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره)).

ويتحدد في هذا الخطر موقع المنافقين ودورهم في السياسة الدجالية، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا عثمان إنك ستلي الخلافة من بعدي، وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها، وصم في ذلك اليوم تفطر عندي)) رواه ابن عدي وابن عساكر[1].

ومنذ تلك اللحظة ومعالم الدجالية منطلقة بوضوح على أيدي الدجاجلة ((دجاجلة الحكم، ودجاجلة العلم..)).

وكلا الطرفين أوضح علاماتهم وسماتهم من لا ينطق عن الهوى عبر مسيرة التاريخ، ومنهم الذين ادعوا النبوة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكذابين من أمته، واختلفت الأحاديث في تحديد العدد، ونحن هنا نرى أن الخطورة لا تكمن في العدد وإنما في هوية الأفكار التي يحملها هؤلاء المدعون للنبوة، وقد أشرنا في سابق الشرح إلى نموذج من هذه الفتنة الدجالية وهو ((مسيلمة الكذاب)) حيث كانت فتنته المسيلمية من أخطر فتن الكذابين في الإسلام.

ومِثْلُه الثلاثةُ الدجاجلةْ **تحريفُهم يدخلُ كُلَّ عائلةْ**

بالمالِ أو بالجاهِ أو بالحكمِ **يسارعون في انتقاص العلمِ**

إشارة إلى ما ورد في الحديث النبوي عن الدجالين الثلاثة الذين يظهرون في فتنة الدهيماء، وقد جمعهم النبي في عبارة واحد دلالة على ظهورهم في عصر

---

(١) المصدر السابق ص٣٩.

واحد.، وقد ظهروا وانتشرت فتنتهم في سائر الأقطار، كما أوضح وأبرز الجانب المضيء في المسيرة الربانية النبوية الأبوية فيمن ساهم: "الخلفاء" «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» [1].

وأما الدجال كذات فقد بالغت الأحاديث الشريفة في وصفه ووصف مرحلته وفتنته وعلاماته، وكان صلى الله عليه وآله وسلم مهتم كل الاهتمام بكشف زيفه وكذبه وخطورة مسيرته في الخيمة الإسلامية، حتى قال عليه الصلاة والسلام: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه» [2].

والحديث يشير في أوله وآخره إلى تحريك مستوى القلق منه صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه كما ذكره النواس بن سمعان في قوله: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم ؟»، قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم.. وساق الحديث» [3].

وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم يعتبر معنى قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[4] فيفصح لهم أن مرحلة الدجال لست أخشاها عليكم أنتم بقدر ما أخشى عليكم فتناً أخرى.. وكأنه يشير إلى ما حصل بعد ذلك من الفتن في عهود التحولات.

قال الناظم:

وقد أشار المصطفى فيما ورد عن خطر الدجال في كُل بلد

---

(١) راجع هذا المدلول في أول المنظومة.

(٢) شرح مسلم (١٣: ٦٥) كتاب الفتن.

(٣) المصدر السابق (١٣: ٦٤) كتاب الفتن.

(٤) المصدر السابق (١٦: ٨٩).

وأنْ كُـــل الأنبـــياءِ حــذروا ... **مــن المســيخ للأنــامِ أنــذروا**
وأنّ مــــا مِــــن فتنـــةٍ وآدم ... **يعــيش إلاّ وهــي مســخ قــادم**
تؤســس القواعــد الخطــيرةْ ... **لفتنــــةٍ قادمــــةٍ مــــثيرةْ**
يهلــك فيهــا عشــرات الأمــم ... **ما بــين فِســق وخــرابٍ آدمِــي**
فمن نجــا بــين يــ**دي واطمــأنْ** ... نجا **من الــدجال حــ**تى في **الكَفَــن**
ومــن تــردى في **مهــاوي وعــدِهِ** ... **يعــذبوه لــو يكــن** في **لحــدِهِ**

يشير النظم في هذه الأبيات إلى خطورة المسيخ الدجال ذاتاً وفكراً ومرحلة، وقد سبق تناول شتى المواضيع عن ذلك، وبقي النظر في بعضها من مثل نجاة من نجا مما قبلها، قال صلى الله عليه وآله وسلم «لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة المسيخ الدجال، ولن ينجو أحد من مثلها إلا نجا منها» رواه أحمد والبزار، ولحديث «لو خرج المسيخ الدجال لآمن به قوم في قبورهم» رواه ابن أبي شيبة.

وفي هذا الحديث إشارة واضحة إلى خطورة العذاب على كافة أعوان المرحلة الدجالية، فالإشكال ليس في خروج الدجال ولكن الإشكال الأعظم في أثر فتنته ورؤيته الفكرية ومشاريعه العالمية في تاريخ المسيرة البشرية، وهي التي تسبق مرحلة ظهوره كذات: مرحلة بروز دور الدجاجلة، ومنهم الذين ادعوا النبوة.. سواء كانت دعوى رسالة أم دعوة انحراف فكري ضد مسيرة الحق الشرعي، ويؤيد ذلك ما أورده «الفتح» في شرح البخاري عند حديث «وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله..» قال في الشرح: ويحتمل أن يكون الذين يدعون النبوة منهم ما ذكر من الثلاثين أو نحوها، وأن من زاد على العدد المذكور يكون كذاباً فقط لكن يدعو إلى الضلالة كغلاة الرافضة والباطنية وأهل الوحدة والحلولية وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤيد أن في حديث علي رضي الله عنه عند

أحمد، «فقال علي لعبد الله بن الكواء: وإنك لمنهم» وابن الكواء لم يدع النبوة وإنما كان يغلو في الرفض [1].

---

(١) «فتح الباري» (١٣: ٩٣).

أخبار ابن صياد

قال الناظم:

وفي الحديث أن طه أنذرا — خفضاً ورفعاً فيه حتى أكثرا
قالوا ظننا أنه في النخل — فقال: إنْ يخرج فذاك شغلي
وإن أتى في لاحق الزمان — فكل فردٍ ليس في أمان
كل حجيج نفسه وأهله — والأمر أدنى من شراك نعله[1]

---

(١) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كل امرؤ حجيج نفسه)) إشارة إلى ما يكون عند ظهور الدجال من تحللات الناس واستتباعهم للمصالح رجاء ما في يده، وفي ذلك روى نعيم بن حماد في الفتن عن عبيد بن عمر: ((ليصحبن الدجال أقوام يقولون إنا لنصحبه وإنا لنعلم أنه لكافر، ولكنا نصحبه نأكل من طعامه ونرعى من الشجر، فإذا نزل غضب الله نزل عليهم كلهم)).

والأمر المطلوب شرعاً أمام الدجال عند ظهوره الوقوف بصلابة على نماذج وصور أخبر عنها صلى الله عليه وآله وسلم منها:

١- أن يتفل في وجهه لحديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: ((فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه)) رواه الطبراني.

٢- أن يثبت ويصبر لحديث ((وليكثر من التسبيح والتهليل فإنه قوت المؤمن في ذلك القحط، وأن من ابتلي به فليثبت وليصبر، وإن رماه في النار فليغمض عينيه وليستعن بالله تكن عليه برداً وسلاماً)).

٣- أن يلتجيء إلى أحد الحرمين فإنه لا يدخلهما أو إلى المسجد الأقصى أو إلى مسجد طور، ففي بعض الروايات: لا يدخله.

ومن عجيبِ أمره ما في الأثر   عن ابن صيادٍ وسر ما ظهر

أبرزت الأبيات خبر ابن صياد بعد أن كان الكلام عاماً عن الدجال والدجالية والدجل، وابن صياد شخصية شغلت ذهن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما شغلت من بعده المهتمين بشأن فقه التحولات، وقد تناولنا الحديث عن ابن صياد في فصل مستقل ضمن مرحلة التحولات على عهد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فليراجع هناك.

فانشغلَ المختار بالمتابعةْ   لكشفِ بعض أمره فتابعه

وحدد العلائم المعروفةْ   عنه، وقال: فتنةٌ مخوفةْ

تشير الأبيات إلى اشتغال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بابن صياد، ورغبته أن يتحقق من أمره، وقد ترجح لدى العديد من الصحابة أن ابن صياد هو الدجال، قال في الفتح: «مما يدل على أن ابن صياد هو الدجال حديث جابر رضي الله عنه الذي في البخاري أنه كان يحلف أن ابن صياد هو الدجال، ويقول: سمعت عمر رضي الله عنه يحلف عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينكر عليه.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عند مسلم وعند عبد الرزاق بسند صحيح، قال: «لقيت ابن الصياد مرتين، فذكر المرة الأولى، ثُم قال: لقيته أخرى، فإذا عيناه قد طفئت» وفي لفظ: «قد نفرت عينه وهي خارجةٌ مثل عين الجمل، فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري، قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إن شاء الله تعالى أجعلها في عصاك هذه، فمسحها ونخر ثلاثاً كأشد نخير حمار

٤- أن يقرأ العشر الآيات من أول سورة الكهف لحديث «فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم»، انظر «الإشاعة» ص٢٧٧.

سمعت، فزعم أصحابـي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت وأنا والله ما شعرت.

وفي لفظه: وكان معه يهودي، فزعم اليهودي أني ضربت بـ ـيدي صـدره، وقلت: اخسأ فلت تعدو قدرك، فذكرت ذلك لحفصة قالت: ما تريـد إليـه؟ ألم تسمع أن الدجال يخرج عند غضبة يغضبها. وفي لفظ: إنما يبعثه على الناس غضب يغضبه (1).

(1) المصدر السابق ص ٢٨٧.

الدجال في الجزيرة

قال الحافظ: وهذه الأحاديث كلها ليست نصاً صريحاً في أن ابن الصياد هو الدجال، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ردد فيه القول، فقال: «إن يكن هو» أي: وهذا كان عند أوائل قدومه صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، ثم لما أخبره تميم الداري، جزم بأن الدجال هو ذلك المحبوس الذي رآه تميم.

وأما حلف الصحابة وحديث أبي سعيد رضي الله عنه فغايته أن يكون ابن صياد أحد الدجاجلة وأحد أتباع الدجال الكبير [1]، وفقد ابن صياد يوم الحرة [2].

ومسلم روى حديثَ الداري	في **قصةِ الضياع** في **البحار**
رآه في **كهفٍ على جزيرةْ**	**عليه أغلالٌ فلم يثيره**
وسأل الداري عن ظواهر	**هل كان ما كان من المظاهر؟**
ووافق الأمر لدى المختار	**ما كان يخشاه من الأقدار**

تشير الأبيات إلى رواية الإمام مسلم عن الدجال من خبر تميم الداري، وهي مبسوطة في كتب الحديث، وأهم ما يمكن التعيين له هنا ثوابت التفرد في الرواية، وهي:

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٨، والدجال الكبير حسبما كان صلى الله عليه وآله وسلم يتوقعه ليس هو ابن صياد، وسيأتي خبره في آخر سياق الموضوع نقلا عن بعض الصحف القديمة والمخطوطات المؤيدة أنه صاحب تميم الداري.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٣.

١. قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: «والله ما جمعـتكم لرغبـة ولا رهبة ؛ ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء وأسلم وحـدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيخ الدجال».

٢. فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب، وفي رواية: فإذا أنا بامرأة تجر شعرها، قالوا: ويلكِ من أنت؟ قالت: أنا الجساسة.

٣. دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأينا قط خلقاً وأشده وثاقاً.

٤. قال: أخبروني عن نخل بـيسان هل تثمر؟ قلنا: نعم، قال: أما إ ا توشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة المـاء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغَر، هل في العـين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعـون مـن مائها، قال: أخبروني عن نبـي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونـزل يثرب.

٥. إني مخبركم أني أنا المسيح وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فـأخرج فأسير في الأرض ولا أدع قرية إلاّ هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبـة فهمـا محرمتان علي كلتاهما.

٦. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطعن بمخصرته: ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو، وأوحى بـيده إلى المشرق.

ويفهم من الأحاديث المتنوعة أن الدجال أحد النماذج الآتية:

١- شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، وهذا القول -كما قال الحافظ- لعل أصحابه تلقوه من بعض كتب أهل الكتاب.

٢- ابن صياد الذي احتار في أمره صلى الله عليه وآله وسلم ولم يؤمر بقتلـه، ويحلف بعض الصحابة أنه الدجال.

٣- صاحب الجساسة المحبوس في الجزيرة كما ذكره تميم الداري لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- أحد ولد شق الكاهن أو شق الكاهن نفسه[1]، قال الحافظ: وهذا واهٍ لم جداً.

وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال: أن الذي شاهده تميم موثقاً هو الدجال بعينه، وأن ابن صياد شيطانه ظهر في صورة الدجال في تلك المدة التي قدر الله تعالى خروجه فيها، والله أعلم.

٥- وهناك قول آخر ذكرته بعض المصادر الحديثة وهو أن السامري صاحب موسى هو الدجال بعينه، ودليل ذلك أن موسى لم يقدر عليه عندما دعا بني إسرائيل لعبادة العجل بل قال له: وإن لك موعداً لن تخلفه ، ولم يقتله إشارة إلى أن الدجال له موعد قادم يقتل فيه، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب «إن يكن هو فلن تسلط عليه».

وكل هذه الأقوال المتضاربة كما هي في النصوص لا شك أن وراءها حكمة إلهية تتلاءم مع الحدث ذاته، وأن اختلاف الأقوال جزء من التمويه الشرعي الذي يخفي به الله معالم الحدث ويصعب به التمييز حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولهذا فإن الجدل في هذه المسائل لا يخدم الهدف المرجو من ذكر الآية بقدر ما يظلم القلب ويشوش صفاء الذهن ويزيد في ضبابية الإفصاح، والشأن كل الشأن في الإيمان بالحدث ووقوعه في الساعة التي هيأها الله لها وبالصورة التي وضعها الله في عجائب مخلوقاته.

---

(١) قال في «الإشاعة»: يقال: إن الدجال من ولد شق الكاهن، وكانت أمه جنية عشقت أباه فأولدها شقاً، وكان الشيطان يعمل له العجائب، فأخذه سليمان عليه السلام فحبسه في جزيرة من الجزر؛ ولكن هذا القول واه ولا يعتمد عليه.

والمتأمل لهذا الإغراب في وصف الأحداث العظام يرى الإغراب يشمل أغلـب آيات الساعة كالمهدي المنتظر ويأجوج ومأجوج والدابة وغيرها، فالعقل الإنساني لا يملك القول الفصل وإنما يمتلك عرض النصوص وفق حدود المعقول والمنقـول والعلم بـيد الله لله الأمر من قبل ومن بعد ، وأهم ما نحن بصدد بعد عـرض النصوص أن نعلم خطورة المراحل التي يء لمرحلة ظهـور الـدجال وكشـف ملابسا ا وتبـين ثغرا ا لخطورة الوقوع فيها.

قال الناظم:

ثم اســتعاذ المصــطفى وحــذّرا مــن غَضــبةٍ تزعِجــه فيظْهــرا(١)

بــأي شــكلٍ فهــو مقــدور قُــدِر يأتي علــى وعــدٍ مــن الله ذُكِــر

إشارة إلى ظهور الدجال واكتساحه العالم في غضبة يغضبها، وهنا ملحظ هـام أشرنا إليه سلفاً، وهو ظهور المسيح الدجال، فالظهور المشار إليه غير متصل بدوام آثار فتنته العالمية التاريخية ؛ بل أن «**الهنيهة**» التي يظهر بعدها الإمام المنتظـر يمـلأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً تقطع تماما بـين ظواهر الفتن المتلاحقة وبـين ما يأتي من ظهور المسيح الدجال، وكأني ذه الفترة القصيرة في عمر الدنيا لا تتجاوز المتنفس للناس كما هو في عصر عمر بن عبدالعزيز الذي أقيم فيه العـدل مـدى سنتين فقط أو قريباً منها وعاد تيار الملك المعضوض، ولهذا كان تناولنا للـدجال والدجل وكذلك الدجاجلة قبل تناولنا الموضوع المتنظر لعالمية فتنة الدجال وطول استمرارها، حتى صارت قاعدة الحركة في بعض أزمنة التحولات.

---

(١) ظهور الدجال يأتي متأخراً عن ظهور الإمام المهدي، وقـد بـــينت ذاـك دلالات الأحاديث النبوية ؛ ولكن سياق الفتن المتلاحق منذ عهد آدم إلى فناء الدجال تجعل مرحلة المهدي مرحلة تنفّس بـين مسيرات الفتن؛ بل وتكون هي الهنيهة الأخيرة لغضبته الـتي يغضبها فيخرج.

ويشير الناظم إلى هذه الغضبة التي يغضبها الدجال نتيجة مراقبته مـا يـدور في العالم من انتصارات للإسلام على يد الإمام المهدي وجيوشه، فيبدأ طوفانه العارم أربعين يوماً تنشط فيها خلاياه الدجالية الكافية وتبرز على سطح المدن والقـرى عفونة التيارات والجماعات التي كان وجودها في العالم علـى ثوابـت مدرسـته المنحرفة، و ب العقليات المركبة من زخم الصراع والنـزاع والطبقية والعرقيـة لتساند حرية المنطلقات الدجالية حاملة لواء البرنامج العـالمي لحريـة الإنسـان الممسوخ، وتبدأ المعارك كما سيأتي لاحقاً في حديثنا عن الإمام المنتظر وملاحمـه، وظهور عيسى عليه السلام وكيف ينتهي الدجال علي يديه.

فمـن رآه أو أتـاه فليشـر	**عليـهِ بالآيـاتِ ينجـو ويقـر**
من سورةِ الكهـفِ ففيهـا مأمنـه	**والحفظُ من مولاي حقـاً فاضـمنه**
وانظر عجيب ما تـرى مـن حيلـه	**ومـا يسـود مـن فسـاد عملـه**
وكـم سنـين في الـورى خداعـةْ	**شـعارها التزييـف والخلاعـةْ**
نسـألُ مولانـا الكـريم ربنـا	**حفظاً مـن الـدجال حـتى نأمنـا**

هذه الأبـيات تكملة موضع المسيح الدجال، وفيها الإشارة إلى مـا ينبغـي أن يفعله المؤمن ليحفظه الله من فتنة المسيح الدجال، وأيضاً دعوة للنظـر في كتـب السنة من كل مسلم ليرى أعاجيب الأخبار المقررة عن مرحلة الدجال وفتنته ومـا يسبقه من الخداع والتزييف والخلاعة، نسأل الله لنا وللمسلمين السلامة ظـاهراً وباطناً.. آمين[1].

---

(١) سيأتي تفصيل مهم عن شخصية الدجال عند مرحلة ظهوره في آخر عهد الإمام المنتظر.

الإمام المنتظر

(لايخرج المهدي حتى يبصق
بعضكم في وجه بعض)
(لايخرج المهدي حتى يقتل ثلث
ويموت ثلث ويبقى ثلث)

(الفتن لنعيم بن حماد ص ٣٣٣)

تحولات عهد الإمام المنتظر

ومن علاماتِ اقتـرابِ السـاعةِ خليفَـةٌ يعـدِلُ في **الإمامـةِ**
مِن آل بـيتِ المصطفى الرسـول محقـق قـد جـاء في **النقـول**
ممـوه الأخبـار في **الآثـار تصـونه عـن صـولةِ الكفـار**

يشير النظم إلى مرحلة عظيمة الأمن والأمان، وستأتي في لاحق الزمـان يكـون فيها سيادة العدل والأنصاف وحثي المال على الناس بالتساوي لتغطيـة الحاجـة المادية، ولكن هذه المرحلة المعبر عنها بعهد الإمام المنتظر تبرز في هذا العالم على أثر فتن وتحولات وهرج ومرج وحروب وهتك وبلاء، وتكون أنظمة الغثاء والـوهن وأحزا ا وتكتلا ا عاجزة عن عن رسم حلول لأوبئة الواقع وتداعياتـه، إذ هـي إعلامية وشبه إسلامية تمخر في برامج الدجل والدجاجلة وترزح تحت نير الكفـر والكافر.

ويأتي الإمام من بـيت شريف في تركيبه العرقي من آل بـيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكأنه عود على بدء بعد أن لفظت مجتمعات الذل والهـوان ذكر وأخبار آل البـيت النبوي وشككت مرقوما ـا ومعلوما ـا في علمهـم وعقائدهم، وفجأة تأتي آيات الله لإخضاع العنجهية الإنسانية المستبدة لـتعلم أن وعد الله حق، ويكون بروز هذا الإمام بعد تمويه[1] وقلق وتناقض أخبـار وآثـار حددها رسول الله ρ في تاريخ الفتن بالفتنة الرابعة.

---

(١) قوله: ((بعد تمويه)) إشارة إلى ما يشتغل به الباحثون والعلماء عادة من الاختلاف حـول النص المعبر عن علامات المهدي وأسرته ولونه وموقع خروجه، ومتى يخـرج ومظـاهر علامات خروجه.

وهذه الاختلافات في النصوص إنما هي في حقيقتها سر من أسرار الله في تمويه الأمر

وأعتقد -والله أعلم- أن الفتنة الرابعة هي المرحلة الفاصلة بين (مرحلة الدهيماء) وتحولات عصري الامام المهدي والمسيح الدجال، وقد تحددت بما يلي:

تأتي جيوش من بلاد الغرب حشد خطير لاجتماع حربي

وفتن عظيمة ومقتلة نهب وسلب في عريض المرحلة

وهذه الأبيات تشير إلى مسمى الفتنة الرابعة الواردة في الأحاديث، منها ما ذكره نعيم بن حماد في «كتاب الفتن» عن كعب τ قال: «علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة»، وعن أبي هريرة τ قال: «الفتنة الرابعة عمياء مظلمة تمور مور البحر، لا يبقى بيت من العرب والعجم إلا ملأته ذلا وخوفا، تطيف بالشام وتغشى العراق وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها، تعرك الأمة فيها عرك الأديم، ويشتد فيها البلاء حتى ينكر فيها المعروف ويعرف فيها المنكر، لا يستطيع أحد أن يقول فيها: مه..مه.. ولا يرقعو ا من ناحية إلا تفققت من ناحية أخرى، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ولا ينجو منها إلا من دعا كدعاء الغريق في البحر، تدوم اثني عشر عاما، تنجلي حين تنجلي وقد

على أعداء الإسلام حتى لا يجدوا في ظاهر النصوص ما يمكن تتبعه بوضوح وتأكد، حتى يظهر أمر الله في حينه مع أن الآيات والملاحظ تبين هوية قرب المرحلة ومظاهر بروزها. فقد ورد في كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد ص ١٥٣ طبعة المكتبه العربية ما مثاله:عن حذيفة بن اليمان τ قال: قال رسول الله ρ: «لن تفنى أمتي حتى يظهر فيهم التمايز والتمايل والمعامع» فقلت: يا نبي الله ما التمايز ؟ قال: «عصبية يحدثها الناس بعدي في الاسلام»، قلت: فما التمايل ؟ قال: «يميل القبيل على القبيل فيستحل حرمتها»، قلت: فما المعامع؟ قال: «مسير الأمصار بعضها إلى بعض تختلف أعناقها في الحرب».

انحسرت الفرات عن جبل من ذهب، فيقتلون عليها حتى يقتل من كـل تسـعة سبعة» [١].

، وفي رواية أخرى لأبـي هريرة τ: «الفتنة الرابعة ثمانية عشر عاما، ثم تنجلـي حين تنجلي وقد انحسر الفرات عن جبل من ذهب، تكب عليه الأمة فيقتل عليـه من كل تسعة سبعة» [٢].

ويبدو من خلال استقراء الأحاديث عن الفتنة الرابعة أ ا تمتـد حـتى يظهـر الدجال لا يفصل فيها إلا مرحلة الإمام المنتظر التي تحدد بسنوات خلالهـا، فعـن حذيفة τ قال: «يخرج الدجال في الفتنة الرابعة، بقاؤه أربعون سـنة يخففهـا الله على المؤمنين فتكون السنة كاليوم» [٣].

أثنائهـــا ينحســـر الفـــرات عن جبـلٍ تغـزو لـه الفئـات يقتـلُ منـهم تسـعةُ الأعشـار ممـن أتـى للمـال والـدينار

تشير الأبـيات إلى ما يحصل من بداية الفتن الكائنة في المرحلة الرابعة، ومنـها انحسار الفرات عن جبل من ذهب، كما ورد في حديث أبـي هريـرة τ قـال: «يوشك الفرات أن ينحسر عن كنـز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا» وفي صحيح مسلم عن أبـي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: «لا تقوم السـاعة حتى ينحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كـل مئـة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا أنجو»، وزاد في رواية «إن رأيته فلا تقربنه»، وفي رواية «فإن استطعت يا أباهر أن لا تكون منهم فافعل»، وفي رواية أخرى لمسلم عن أبـي هريرة τ: «تقيء الأرض أفـلاذ أكبادهـا أمثـال

---

(١) «الفتن» (١: ٢٣٩).

(٢) المصدر السابق (١: ٢٣٦).

(٣) المصدر السابق (٢: ٥٥٥).

الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هـذا قَتلْـت، ويجـيء السارق فيقول: في هذا قُطِعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا».

وقد أبرز النبـي ρ خطورة الفتنة الرابعة وحدد سلوك المؤمن فيهـا، كمثـل قوله ρ عن أبـي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ -وذكـر الفتنـة الرابعـة-: «لا ينجو من شرها إلا من دعا كدعاء الغريق، أسعد أهلها كل نقي خفـي، إذا ظهر لم يعرف، وإن جلس لم يفتقد، وأشقى أهلها كل خطيب مصقع أو راكـب موضع» [1].

وعن أرطأة بن المنذر قال: بلغني أن رسـول الله ρ قـال في الفتنـة الرابعـة: «تصيرون فيها إلى الكفر، فالمؤمن يومئذ من يجلس في بـيته، والكافر مـن سـل سيفه وأهرق دم أخيه ودم جاره».

وورد أيضا عن كعب τ قال: إذا كانت رجفتان في شهر رمضان انتـدب لهـا ثلاثة نفر من أهل بـيت واحد، أحدهم يطلبها بالجبروت، والآخر يطلبها بالنسك والسكينة والوقار، والثالث يطلبها بالقتل واسمه عبدالله، ويكون بناحيـة الفـرات مجتمع عظيم يقتتلون على المال، يقتل من كل تسعة سبعة [2].

وجاء في «الإشاعة» ص٢٠١ حديث: «إذا سمع الناس به –أي: الكنـز- ساروا إليه، واجتمع ثلاثة كلهم ابن خليفة، يقتتلون عنده ثم لا يصير إلى واحد منـهم، فيقول من عنده: والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن كليته، فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مئة تسعة وتسعون».

وفي رواية: «فيقتل تسعة أعشارهم»، وفي «الإشاعة» أيضا حديث عن خسـف آخر في أثناء هذه المرحلة عند معدن من المعادن، وهو حديث ابن عمر رضـي الله

---

(١) المصدر السابق (١: ١٤٨).

(٢) المصدر السابق (١: ٢٩١).

عنهما قال: تخرج معادن مختلفة، معدن منها قريب من الحجاز، يأتيه أشرار الناس يقال له: (فرعون) فبينما هم يعملون فيه إذ حسر عن الذهب فأعجبهم معلمه، فبينما هم كذلك إذ خسف به و م» رواه الحاكم وصححه [1].

وتتلاحق بعد هذا العلامات السابقة لمرحلة المهدي..

قال الناظم:

ويخسف البدر ليالي رمضانْ أولُه ونصفُه علامتانْ
تسيلُ في شوالَ أ ار الدما في قعدةٍ وحجةٍ حرب طما
لا تملك الناس سوى الهروبِ بحثاً عن المهدي في الدروبِ

يشير النظم إلى العلامات التي تبرز بعد انحسار الفرات، وحصول المقتلة العظيمة هناك، كخسوف القمر وكسوف الشمس في شهر رمضان، كإحدى العلامات المرتبطة بقرب ظهور مرحلة الإمام المهدي، قال في «الإشاعة»: ينكسف القمر أول ليلة من رمضان، والشمس ليلة النصف منه، وهذان لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض.

وعن بشر بن مرة الحضرمي قال: آية الحوادث في رمضان علامة في السماء، بعدها اختلاف الناس، فإذا أدركتها فأكثر من الطعام ما استطعت.

ومعنى الإكثار من الطعام هنا إما إلزام الناس بالمكث في منازلهم وتخزين حوائجهم إلى أطول الفترات المتاحة، لشدة الفتن وحدوث الهرج والمرج، مما قد يؤدي إلى انعدام الأمن، أو ربما يصطحب الحدث قرارات من كل صاحب

---

(١) «الإشاعة» ص٢٤١، وأورد صاحب كتاب «هرمجدون.. آخر بيان يا أمة الإسلام» حول (ر الفرات وانحساره): روى أبونعيم حديثا برقم (٩٧١) يبين أن السفياني يحول ر الفرات، قال: وقد حدث هذا وتم حفر مجرى جديد للنهر بطول ٦٥٠ كيلومتر وتحول مجرى النهر والأهوار.

حكومة بحظر التجوال أو حدوث الشدة وقلة المؤن، لأن هذا الحدث سيكون لـه آثار سلبـية ومدمرة خطيرة ستمتد فترة تؤثر على مطاعم الناس.

وعن عبدالله بن مسعود τ قال في حديث: إذا كانت صيحة في رمضـان فإنـه يكون معمعة في شوال، وتميز القبائل في ذي القعـدة، وتسـفك الـدماء في ذي الحجة، والمحرم وما المحرم؟ يقولها ثلاثا، هيهات هيهات.. يقتل الناس فيها هرجـا هرجا، قال: قلنا: وما الصيحة يا رسول الله ؟ قال: هدة في النصف من رمضـان ليلة جمعة، وتكون هذه توقظ النائم وتقعد القائم وتخرج العواتق من خدورهن في ليلة جمعة من سنة كثيرة الزلازل، فإذا صليتم الفجر من يـوم الجمعـة فـادخلوا بـيوتكم وأغلقوا أبوابكم وسدوا كواكم ودثروا أنفسكم وسدوا آذانكم، فـإذا أحسستم بالصيحة فخروا لله ساجدين وقولوا: سبحان القدوس سبحان القدوس، فإنه من فعل ذلك نجا ومن لم يفعل ذلك هلك)).

وقد وقف مؤلف كتاب ((المفاجأة)) الدكتور محمد عيسى داود مع معطيات هذا الحديث وقفة تحليلية مفيدة مفادها: أن الهدة يكون لها تأثير في جوانـب الكـرة الأرضية كلها، فمن الناس من يشعر ا ومنهم من يسمعها ومنهم من يشـاهدها بالعين ا ردة، وعلامة الهدة أ ا سنة كثيرة الزلازل، وإذا وقعت نبـه النبـي ρ إلى شروط السلامة كالالتزام بصلاة الفجر وإغلاق المنازل والأبواب وسد النوافذ والكوى، والسجود لله وذكر الله باسم القدوس، لأن له من الخصوصية ما لا مثيل له، وأن هذا الاسم أكثر شيوعا في الكتاب المقدس وورودا عند اليهود والنصارى، فكأ ا لمحة أن الهدة ببلاد لهم.

وقوله ρ: ((فإذا أحسستم الصيحة)) يعني أن لها آثارا ماديـة واقعـة بالصـوت والحركة، ولكن المعنى يخفي بعض الطمأنينة بأن (أراضي الأمة العربـية الإسلامية وبالذات منطقة الحديث الشريف الحجاز وما يجاورها من بلاد العرب والمسـلمين

بعيدة عن بؤرة الحدث)، وهذا يوافق ماورد في (الجفر) عن الإمام علي كـرم الله وجهه ورضي الله عنه بأ ا (بلاد الأمريك)، كما أن قول رسـول الله ρ: «فـإذا صليتم الفجر» تعني أن وقعتها بدء النهار في العالم العربـي، ويقابلـه الليـل في الأمريكيتين بحكم فوارق التوقيت، وهذا يعني كما قال المؤلف: أ ا ارتطام نيـزك أو كوكب بالأمريكيتين يؤدي إلى دمار هائل وحرق وطوفان وعذاب، ولهذ الهدة شواهد ذكرها المؤلف نقلا عن الإمام علي τ في علم الجفر [1].

وفي كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد[2] حديث عن أبـي هريـرة τ قـال: «في رمضان هدةٌ توقظ النائم وتخرج العواتق من خدورها، وفي شوال معمعة، وفي ذي القعدة تمشي القبائل بعضها إلى بعض، وفي شهر ذي الحجة ـراق الـدماء، وفي المحرم وما المحرم -يقولها ثلاثا – قال: وهو انقطاع ملك هولاء».

وربما كان قوله ρ: «عند انقطاع ملك هولاء» يشير إلى آخر مملكـة تشـهدها أرض الحجاز في آخر الزمان، فبانقطاعها تبرز هذه الآيات والله أعلم.

ومع هذه الآيات الدالة على قرب ظهور الإمام المنتظر تبرز أيضا علامات ظهور السفياني الأول في وقت متقارب.

(١) راجع كتاب «الجفر» تحقيق د. محمد عيسى داود ص١٧٢-١٧٨.

(٢) ص١٥٣ طبعة المكتبة العلمية.

ظهور السفياني الأول

قال الناظم:

ويظهر المعروف بالسفياني يفرع من يلقاه بالفضبان

في هذه المرحلة المعروفة في الحديث بالفتنة الرابعة يظهر السفياني مرافقا وموافقا لمرحلة ظهور الإمام المهدي، يؤيد ذلك حديث رواه أبونعيم في «الفتن»[1]: «يخرج السفياني والمهدي كفرسي رهان، فيغلب السفياني على ما يليه، والمهدي على ما يليه، وقد ورد أيضا عرض جملة من العلامات الخاصة بالسفياني منها: عن ابن مسعود τ قال: «تكون علامة في صفَر، ويبتدأ نجم له ذناب»، وعن خالد بن معدان قال: إنه ستبدو آيةٌ عمود من نار يطلع من قبل المشرق، يراه أهل الأرض كلهم، فمن أدرك ذلك فلْيعِد لأهله طعام سنة»، وعن خالد بن معدان أيضا «إذا رأيتم عمودا من نار من قبل المشرق في شهر رمضان في السماء فأعدوا من الطعام ما استطعتم، فإ ا سنة جوع» [2].

---

(١) «الفتن» (١: ٢٣٣)، وقد جاء في تقرير وزع بالانترنت مكتوب عليه ملاحج عام (١٤٢٤هـ)، ويشير فيه إلى تزايد احتمالات مرور كوكب مذنب بالأرض يبدأ ظهوره في صفر ١٤٢٤هـ ويبرز واضحا للعين ا ردة قبل وصوله إلى أقرب نقطة في الأرض في منتصف ربيع الأول ١٤٢٤هـ (١٤-١٥) (١٥ مايو)، ويتوقع أن يكون لمروره آثار مدمرة على بعض أنحاء من الأرض كالزلازل والبراكين والأعاصير والأمطار، وقد ظهر المذنب ورافق مروره عشرات الفيضانات والزلازل في مجموع الأرض.

(٢) المصدر السابق (١: ٢٣١).

ومن علامات ظهور السفياني قبـيل ظهور المهدي: أن يخسف بقرية من قـرى دمشق، ولعلها «حرستا»، ويسقط الجانب الغربـي من مسجدها [1].

والسفياني المشار إليه هو من ولد خالد بن يزيد بن أبـي سـفيان، ويكـون خروجه من ناحية دمشق في واد يقال له (وادي اليـابس)، ويكـون خروجـه بإشارة تظهر له ويلقى سبعة أو تسعة يقولون له: «نحن أصحابك»، فيرفـع لـواء معقودا يستفرش بـين يديه ثلاثين ميلا، لا يرى ذلك العلم أحد الا انـزم، فيخرج فيهم ويتبعه ناس من قريات الوادي، وبـيده ثلاث قضبان لا يقرع بها أحـدا إلا مات، فيسمع به الناس، فيخرج له صاحب دمشق ليقاتله، فإذا نظر إلى رايته انـزم، فيدخل السفياني في ثلاثمئة وستين راكبا دمشق، وما يمضي عليه شهر حتى يجتمـع عليه ثلاثون ألفا من كلب، وهم أخواله.

وتبدأ ملاحم السفياني بعد ذلك، وذكر أبو نعيم في كتابه «الفتن» عـن مـدة خروج السفياني حديثا عن يزيد بـين أبـي حبـيب قال: قال رسـول الله ρ: «خروج السفياني سنة سبع وثلاثين، كان ملكه ثمانية وعشرين شهرا، وإن خـرج في تسع وثلاثين كان ملكه تسعة أشهر»، وعن ابن عباس قال: إن كان خـروج السفياني من سبع وثلاثين[2].

ويخرج الأبقع مـن مصـر علـى	**جيش كذا الأصـهب يـأتي عجـلا**
والأعـــرج الكِنـــدِي واليمـــاني	**يحـــاربوا المنصـــور في الميـــدان**
فـــلا تكُـــن منـــهم ولا تشـــارك	**واحذَر مِـن التجيِـيش للمعـارك**

(١) «الإشاعة» ص٢٠٢.

(٢) «الفتن» ص٣٦٤.

هذه إشارة إلى نماذج من الملاحم القتالية التي تجري على عهد السفياني الأول، ويبدو أن هذه المسميات «الأبقع، الأصهب، المنصور، الأعرج» كلها وصوف وعلامات لأولئك القادة المحاربين للسفياني الأول، وقد ورد في الحديث عن أرطأة قال: «السفياني الذي يموت الذي يقاتل أول شيء الرايات السود والرايات الصفر في سرة الشام مخرجه من «المندرون» شرقي بيسان على جمل أحمر عليه تاج يهزم الجماعة مرتين ثم يهلك، يقبل الجزية ويسبي الذرية ويبقر بطون الحبالى»[1].

قال في «الإشاعة»: يدوم القتال بينهم سنة كاملة، فيغلب السفياني ويظهر على الرايات الثلاث، ثم يقاتل الترك والروم ويهزمهم، قال في «الفتن»: إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور خرج الترك والروم فيظهر عليهم السفياني».

ويبدأ السفياني في هذه المرحلة بتوجيه الأذى ضد بني هاشم، ربما لما يراه من تعلق الناس بالمهدي وانتظار خروجه، قال نعيم بن حماد في «الفتن» [2] عن علي كرم الله وجهه وτ قال: يكتب السفياني إلى قائده الذي دخل الكوفة بخيله بعدما عركها عرك الأديم يأمره بالمسير إلى الحجاز، فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش فيقتل منهم ومن الأنصار أربع مئة رجل، ويهرب رجال من قريش إلى القسطنطينية فيبعث السفياني إلى عظيم الروم أن يبعث م فيبعث م إليه فيضرب أعناقهم على باب دمشق. وفي رواية: ويبعث رجاله وجنوده في البلاد فتبلغ عامة المشرق وأرض خراسان، ويبعث السفياني بعثا إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد ويقتلون من بني هاشم رجالا ونساء، ويؤتى بجماعة منهم إلى الكوفة ويتفرق بقيتهم في البراري.

---

(١) المصدر السابق (١: ٢٧٩).

(٢) المصدر السابق (١: ٢٣٢)

ظهور المهدي وغيبته

قال في «الإشاعة» ص ٢٠٤: (عند مقتل وسبـي آل محمد بالمدينـة المنـورة يهرب المهدي والمبـيض -وفي رواية: والمنصور- إلى مكة، ويستخفون هنـاك، ولا يطلع على موضوع المهدي أحد[1]، ثم يجتمع عليه بجبال الطائف جماعة يقاتل م جماعة السفياني في مكة ويهزمهم، ثم يختفي بجبال مكة ولا يطلع عليه أحـد، ويؤيد هذا ما أورده أبوجعفر محمد بن علي الباقر: «يكون لصاحب هـذا الأمـر غيبة في بعض الشعاب، وأومأ بـيده إلى ناحية ذي طوى» [2].

---

(١) عن علي كرم الله وجهه وτ قال (يبعث - اي السفياني – بجيش الى المدينة فيأخـذون من قدروا عليه من آل محمد ρ ويقتل من بني هاشم رجالا ونساء فعند ذاـك يهـرب المهدي والمبـيض من المدينة الى مكة فيبعث في طلبهما وقد لحقا بحرم الله وأمنه)الفـتن ا لد الأول ص ٣٢٣.

(٢) الإشاعة ص ٢٠٤.

ظهور الإمام المهدي

عن الإمام علي كرم الله وجهه وτ قال: «إذا نـزل جـيش في طلـب الـذين خرجوا إلى مكة فنـزلوا البـيداء خسف م وبباديهم، وهو قوله عـز وجـل: ولو ترى إذْ فَزِعوا فَلا فَوت وأُخِذُوا مِن مكَانٍ قَرِيبٍ. وقَالُوا آمنا بِهِ وأَنى لَهُـم التناوش مِن مكَانٍ بعِيدٍ من تحت أقدامهم، ويخرج رجل من الجيش في طلب ناقة له ثم يرجع إلى الناس فلا يجد منهم أحدا ولا يحس م، وهو الذي يحدث النـاس بخبرهم».

وفي رواية: «لا يفلت منهم أحد إلا بشير ونذير، فأما البشير فإنه يأتي المهـدي بمكة وأصحابه فيخبرهم بما كان من أمرهم، ويكون شـاهد ذلـك في وجهـه، ويعلمون أن القوم قد خسف م، والثاني يأتي السفياني فيخبره بما نـزل بأصحابه فيصدقه ويعلم أنه حق لما يرى فيه من العلامة» [1].

ويؤيد هذا حديث عائشة رض الله عنها الذي رواه البخاري «يغـزو جـيش الكعبة حتى إذا كانوا ببـيداء من الطريق يخسف بأولهم وآخرهم، قالـت: يـا رسول الله يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ويبعثون على نيا م».

---

(١) «الفتن» (١: ٣٣١).

مبايعة الإمام المهدي

عن عمرو بن شعيب عن أبـيه عن جده قـال: قـال رسـول الله ρ: في ذي القعدة تحازب القبائل، وعامئذ ينهب الحاج، فتكون ملحمة بمنى، فيكثـر فيهـا القتلى حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة، حتى يهرب صاحبهم - أي المهـدي - فيؤتى به بـين الركن والمقام فيبايع وهو كاره، ويقال له: إن أبـيت ضـربنا عنقك، فيبايعه مثل عدة أهل بدر، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض».

وفي رواية عن ابن عباس τ: «يبعث الله تعالى المهدي بعد إياس وحـتى يقـول الناس: المهدي، وأنصاره أناس من أهل الشام عد م ثلاث مئة وخمسة عشر رجلا عدة أصحاب بدر، يسيرون إليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا، فيبايعونه كرها، فيصلي م ركعتين صلاة المسافر عند المقام، ثم يصعد المنبر [1].

وفي رواية أخرى عن عبدالله بن مسعود τ قال: إذا انقطعت التجارات والطرق وكثرت الفتن خرج سبعة رجال علماء من آفاق شتى على غير ميعاد، يبايع لكـل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، حتى يجتمعوا بمكـة فيلتقـون، فيقولـون بعضهم لبعض: ما جاء بكم ؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن دأ على يديه هذه الفتن، وتفتح له القسطنطينية، قد عرفناه باسمه واسـم أبـيه وأمه وحليته، فيطلبونه فيصيبونه بمكة، فيفلت منهم ويلحق بالمدينـة، فيطلبونـه فيخالفهم إلى مكة، فيصيبونه عند الركن فيبايع [2].

---

(١) المصدر السابق (١: ٣٤٢).

(٢) المصدر السابق (١: ٣٦٧).

صفات الإمام المنتظر وسيرته [1]

مِـن والِـدِ الزهـراءِ بالتأكيـدِ … يبطِـئُ في التعبـير بالترديـدِ

وآدم خفيـف لحـمٍ مسـتدق … أقنى أشـم أبلـج زيـن الحَـدق

أشارت كتب السير والحديث إلى أن الإمام المهدي من ولد فاطمة عليها السلام، وأما ثقل لسانه فقد جاء نص الحديث: «في لسانه ثقل، وإذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى»، وأما حليته فآدم ضرب من الرجال ربعةٌ أجلى الجبهة أقنى الأنف أشمه أزج أبلَج أعين أَكْحلُ العينين براق الثنايا أَفْرقُها، في خده الأيمن خال أسود، يضيء وجهه كأنه كوكب دري، كث اللحية، في كتفه علامة[2].

يأخـذُ بـين الـركن والمقـامِ … بـيعته بالمسـجدِ الحـرامِ

أتباعـه كأهـل بـدرٍ في العـدد … عصائب الجهـادِ مِـن كـل بلـد

سبقت الإشارة إلى ظهور الإمام بمكة وبيعته بين الركن والمقام، وفي الموضوع روايات كثيرة يمكن العود إليها في مراجعها المتفرقة.

يعمـلُ بالسـنةِ بـل يقيمهـا … ويسـقِطُ البِدعـةَ بـل يهينهـا

يقوم بالـدين كمـا قـام النبـي … ويملِـكُ الـدنيا بـدون تعـبِ

ويكْسِر الصـليب كسـراً أبـدِي … ويقْتُـلُ الخنـزير قتـلَ الحـردِ

---

(١) قيل: إنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي، ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها «أنطاكية». «الفتن» (١: ٣٥٥).

(٢) «الإشاعة» ص١٩٠-١٩٤.

من وصوف الإمام أنه يعمل سنة النبـي صلى الله عليه وآله وسـلم، قـال في «الإشاعة» ص١٩٦: «لا يوقظ نائماً، ولا يهريق دماً، يقاتل على السنة، لا يتـرك سنة إلاّ وأقامها، ولا بدعة إلا ورفعها، يقوم بالدين آخر الزمان كمـا قـام بـه النبـي صلى الله عليه وآله وسلم، يملك الدنيا كلها كمـا ملـك ذو القـرنين وسليمان، يكسر الصليب، ويقتل الخنـزير» «الإشاعة» ص١٩٦.

وفي الأبـيات إشارة إلى ما يعتري الإمام من «**الحَرد**» أي: الغضب في ذات الله حتى يكسر الصليب، أي: يقطع عقيدة التثليـث المسـيحية المنحرفـة، ويقتـل الخنـزير، وكلاهما رمز الانحراف في الديانة المسيحية المحرفـة، فيجمـع بـين تصويب العقيدة واقتلاع أكل المحرم.

يحثو جميع المـال حثْيـاً دونَ عـد لمُؤمنٍ وفـاجرٍ مِـن غـير حـد

من صفات الإمام المهدي في معالجة انحراف العصر والزمن الوفاء بحاجة النـاس المادية، إذ هي رأس الفتنة وسبب الحروب والصراع، وقد شهد الناس قبل ظهوره حرب إبادة على كنـز الفرات وفيها بعض المنتمين إلى آل البـيت النبوي، كلهم يقول: «لعلي أنا أنجو»، فالعلة المسيطرة على الواقـع الاجتمـاعي هـي الأزمـة الاقتصادية، فيأتي الإمام المنتظر ليحثو المال حثياً دون حد ولا عد.

يسـتخرج الكنـوز والـدفائنا ويفْـتح البلـدانَ والمـدائنا

قال في «الإشاعة» ص١٩٦: تنعم الأمة برها وفاجرها في زمن نعمة لم يسـمع بمثلها قط ترسل السماء عليهم مدراراً لا تدخر شيئاً من قطرهـا، تـؤتي الأرض أكلها، لا تدخر عنهم شيئاً من بذرها، تجري الملاحم علـى يديـه، ويسـتخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بـين الخافقين، يؤتى بملوك الهند مغلغلين، وتجعل خزائنهم حلياً لبـيت المقدس.

ويقْطَـع الربـا مِـن البـيوع والفتنـةَ العميـا مـن الرجـوع

يوحـــد القلـــوب والأفكـــارا   بالحـــب يغـــزو النـــاس والـــديارا

ومن أجل مهمات الإمام المهدي إيقاف التعامل بالربا، والشـبهات المصـرفية والبنكية التي سيطرت على العالم إبان مرحلة الغثاء والوهن، ويكون ذلك بإسقاط البنوك، ومنع التعامل الاقتصادي الربوي السائد، كما يوحد آراء الناس بإيقـاف الحزبـية والفئوية والتيارية وقطع سياسة الاستعمار والاستهتار والاستثمار القائمة على مبدأ (فرق تسد) ليحل محلها الوئام والتفاهم، ويرد إلى المسـلمين ألفتـهم ونعمتهم، يملأ قلوب أمة محمداً غنى، حتى إنه يأمر منادياً ينادي: ألا من له حاجـة في المال، فلا يأتيه إلا رجل واحد، فيقول: أنا، فيقول: ائت الخازن فقل لـه: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث، حتى إذا جعله في حجـره نـدم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد صلى الله عليه وآلـه وسـلم – أي: أحرصـهم- والجشع أشد الحرص، ويقول: أعجز عما وسعهم، فيرد المال فلا يقبل منه، ويقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه[1].

ويرفع الربا الوبا والزنا وشرب الخمر وتطول الأعمار وتؤدى الأمانـة و لـك الأشرار، ولا يبقى من يبغض آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم [2].

---

(١) المصدر السابق ص١٩٦.

(٢) المصدر السابق ص١٩٧.

وتــأمن الأرض طــوالَ مدتــه والناس تحيــا في ظِـلال فترتـه[1]

يقاتــلُ المعــروف بالســفياني حــتى يــتم النصــر للإيمــان

يشير النظم إلى أول ملاحم الإمام المهدي مع السفياني، قال في «الإشاعة» ص٢٠٦: ويبلغ السفياني خروجه، فيبعث إليهم بعثاً من الكوفة فيأتون المدينة فيستبيحونها ثلاثاً، ويقصدون المهدي، فإذا خرجوا من المدينة وكانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، ولم ينج أوسطهم، فلا ينجو منهم إلا نذير إلى السفياني وبشير إلى المهدي، فإذا سمع المهدي بذلك، قال: هذا أوان الخروج، فيخرج ويمر بالمدينة، فيتسنقذ من كان أسيراً من بني هاشم، وتفتح له أرض الحجاز كلها.[2]

ويظهــر الحــارثُ والمنصــور جنــد لآل البــيت لا يخــوروا

---

(١) إشارة لما روي عن الإمام علي τ قال: قلت: يا رسول الله.. المهدي منا أئمة الهدى أم من غيرنا؟ قال ρ: «بل منا، يختم الدين كما بنا فتح، وبنا سينقذون من ضلالة الفتنة كما استنقذوا من ضلالة الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم في الدين بعد عداوة الفتنة كما الله ألف بين قلوبهم ودينهم بعد عداوة الشرك» «الفتن» (١: ٣٧٠).

(٢) «الإشاعة» ص٢٠٦، وفي ص٢٤٥ ذكر حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يكون بالمدينة وقعة تغرق فيها أحجار الزيت، ما الحرة عندها إلا كضربة سوط، فينحى عن المدينة بريدين ثم يبايع المهدي» رواه نعيم، وأحجار الزيت كانت عند مشهد مالك بن سنان يضع عليها الزياتون رواياهم فعلا الكبس عليها فاندفنت. ولأبي داود والترمذي وغيرهما عن مولى أبي اللحم: «أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستسقي عند أحجار الزيت قريباً من الزوراء قائماً يدعو»، ويبدو أنها موضع بالحرة بمنازل بني عبد الأشهل..

إشارة إلى ظهور الرجل من وراء النهر بخراسان يسمى «**الحارث**» **أو** «**الحراث**» على مقدمته رجل يقال له: «**المنصور**» يمكن لآل محمد صلى الله عليه وآله وسـلم كما مكنت قريش لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجب على كل مؤمن نصره، وتطول المعارك بـين هؤلاء وجيوش السفياني في مواطن عديدة، ثم يبايع النـاس رجلاً من بني هاشم بكفه اليمنى خال هو أخو المهدي من أبـيه أو ابن عمه، وهو حينئذ المشرق، فيخرج بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار، على مقدمته رجل من تميم من الموالى اسمه «شعيب بن صالح» يمهد الأمر للمهدي عليـه السلام [1].

وفيه يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا سمعتم برايات سوداء قد أقبلت مـن خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج» [2]، وعن أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب كرم الله وجهه: «لو كنت في صندوق مقفل فاكسر ذلك القفل والصندوق والحق ا..» [3]، وفي رواية: «فإن فيها خليفة الله المهدي – أي فيها نصره وأنصـاره – وإلاّ فالمهدي حينئذ بمكة».

وتبعث الريات السود بـيعتها إلى المهدي، وتقاتل جيش السـفياني بـالعراق، ويقبل السفياني من الكوفة يريد الشام فيهلك في الطريق، قال في «الفتن» لأبـي نعيم: يقاتل السفياني من ينازعه ويظهر عليهم جميعا، ثم يسير إلى الكوفه، ويخرج بني هاشم إلى العراق، ثم يرجع إلى الكوفه فيموت في أدنى الشـام، ويسـتخلف رجلا آخر من ولد أبـي سفيان تكون له الغلبة ويظهر على الناس.

---

(١) المصدر السابق ص٢٠٦ – ٢٠٧.
(٢) المصدر السابق ص٢٠٦ – ٢٠٧.
(٣) المصدر السابق ص٢٠٦ – ٢٠٧.

ظهور السفياني الثاني

قال الزهري: يخرج -أي السفياني- هاربا من الكوفة من قرحة تصيبه فيموت، ثم يلي بعده رجل منهم اسمه اسم أبيه واسمه على ثمانية حروف، متزلج المنكبين حمش الذراعين والساقين مصفح الرأس غائر العينين، فيهلك الناس بعده، وتستمر المعارك بين جند السفياني الثاني وجنود المهدي القادمة من خراسان والعراق، ويرسل السفياني جيشا لمقاتلة المهدي في الحجاز، ولكنهم يبايعون المهدي ويقبلون معه الشام [1]، ويفسد السفياني في الارض [2]، ويسير المهدي إلى الشام ويكاتب السفياني مطالبا له بالبيعة، فيلزمه أصحابه البيعة للإمام، ويذكرونه بخسف الجيش في البيداء، فيقبل أن يبايع ويلتقي بالإمام في بيت المقدس، ويعيد المهدي المظالم إلى الناس، وبينما هم كذلك إذ نقض السفياني العهد وخرج مع جملة من أتباعه من قبيلة كلب يقاتلون المهدي، فيقاتلهم ويأسر السفياني ويذبحه كما تذبح الشاة[3].

---

(١) «الإشاعة» ص٢٠٨.

(٢) يشير إلى ذلك حديث رواه جراح بن أرطأة قال: «في زمان السفياني الثاني المشوه الخلق هدة بالشام حتى يظن كل قوم أنه خراب ما يليهم». انظر «الفتن» لنعيم بن حماد ص١٥٣ طبعة دار الكتب العلمية، وقد أشارت بعض الأحاديث إلى إشارة في السماء تكون علامة أيضا لخروج السفياني الثاني، فقد روى نعيم بن حماد في «الفتن» ص ١٥١: قال الوليد: أخبرني شيخي عن الزهري قال: في ولاية السفياني الثاني وخروجه علامة ترى في السماء.

(٣) «الإشاعة» ص١١٢.

ثم تتمهد الارض للإمام المهدي ويدخل في طاعته ملوك الأرض، ويهادن الروم في صلح يدوم تسع سنين، لحديث رواه نعيم بن حماد في «الفتن» عن ابن مسعود مرفوعا: «يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح، حتى يقاتلوا معهم عدوهم فيقاسمو م غنائمهم، ثم إن الروم يغزون مع المسلمين فارس فيقتلون مقاتلهم ويسبون ذراريهم، فتقول الروم: قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم، فيقاسمو م الأموال وذراري الشرك، فتقول الروم: قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم، فيقولون: لا نقاسمكم ذراري المسلمين أبدا، فيقولون غدرتم بنا، فترجع الروم إلى صاحب القسطنطينية، فيقولون: إن العرب قد غدرت ونحن أكثر عددا وأتم منهم عدة وأشد منهم قوة، فامددنا نقاتلهم، فيقول: ما كنت لأغدر م ولقد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا، فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك، فيوجه ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا في البحر، ويقول لهم صاحبهم: إذا رأيتم سواحل الشام فأحرقوا المراكب لتقاتلوا عن أنفسكم، فيفعلون ذلك ويأخذون أرض الشام كلها برها وبحرها ما خلا مدينة دمشق والمعتق، ويخربون بيت المقدس».

قال ابن مسعود τ فقلت: كم تسع دمشق من المسلمين؟ فقال النبي ρ: «والذي نفسي بيده لتتسعن على من يأتيها من المسلمين كما يتسع الرحم على الولد» قلت: وما المعتق يا نبي الله؟ قال: «جبل بأرض الشام من حمص على ر يقال له "الأريط". فتكون ذراري المسلمين في أعلى المعتق والمسلمون على ر الأريط يقاتلو م صباحا ومساء، فإذا أبصر صاحب القسطنطينية ذلك وجه في البر إلى قنسرين ثلاث مئة ألف، حتى تجيئهم مادة اليمن ألف ألف، ألف الله بين

قلوبهم بالإيمان معهم، أربعون ألفا من حمير، حتى يأتوا بيت المقدس، فيقاتلون الروم فيهزمونهم ويخرجونهم من جند إلى جند حتى يأتوا قنسرين [1].

وتطول المعارك والحروب من المسلمين والروم يفنى فيها من المسلمين الكثير الكثير، وحتى تثب الروم على من بقي في بلادهم من العرب فيقتلونهم حتى لا يبقى بأرض الروم عربي و لا عربية ولا ولد عربي إلا قتل، فيبلغ ذلك المسلمين فيرجعون غضباً لله يجاهدون حتى يفتح لهم ويدخلون (القسطنطينية) فيكيلون الذهب بالأترسة ويقتسمون الذراري حتى يبلغ سهم الرجل ثلاث مئة عذراء، ويخرج عندها الدجال.

وفي تحديد الزمن إشكال، إذ ورد في ((الإشاعة)) ص٢٢٢: وعن عبدالله بن بسر المازني أنه قال: "يا ابن أخي لعلك تدرك فتح القسطنطينية، فإياك إن أدركت فتحها أن تترك غنيمتك منها، فإن بين فتحها وبين خروج الدجال سبع سنين". رواه نعيم بن حماد في ((الفتن)) [2].

وسيخرج كنز المقدس وحليته التي أخذها طاهر بن إسماعيل، حين غزا إسرائيل فسباهم وسبا حلي بيت المقدس وأحرقها بالنيران، وحمل منها في البحر ألفاً وسبع مئة سفينة حتى أوردها رومية.

قال حذيفة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ليستخرجن المهدي ذلك حتى يرده إلى بيت المقدس)).

قال في ((عقد الدرر)): ((رومية)) أم بلاد الروم، فكل من ملكها يقال له الباب، وهو الحاكم على دين النصرانية، بمنزلة الخليفة في المسلمين، وليس في بلاد المسلمين مثلها.

---

(١) ((الإشاعة)) ص٢١٦، راجع بقية الملاحم، وقد تركناها لطول أخبارها.

(٢) المصدر السابق ص٢٢٢-٢٢٣.

كتب محقق «الإشاعة» ص٢٢٣ في الحاشية: (الظاهر أن المـراد بروميـة هـي (الفاتيكان)، وأن من يطلق عليه الباب هو ما يسمى الآن بالبابا، فهو الحاكم على دين النصرانية كما هو معروف والله أعلم.

ظهور الدجال ومقتله

قال الناظم:

أثنـاءَ هـذا يظهـر الـدجالُ تعينـه الأمـوالُ والرجـالُ

أتباعـه النسـاءُ واليهـود والمرجفـون هـم لـه جنـود

تشير الأبيات إلى بروز الدجال وبدء مرحلة ظهوره في الأرض، ويخرج من يهود أصبهان وقد عاد الإمام المهدي من أرض الروم بغنائمه إلى بيت المقدس في ألف سفينة [1]، ويقيم المهدي بيت المقدس متتبعاً أخبار الدجال ومنتظر مجيئه.

جاء في «الإشاعة» ص٢٢٥ حديث: «الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر»، وفي رواية: «سبع سنين»، قال أبو داود في «سننه»: وهذه -يعني رواية سبع سنين- أصح، يعني: من رواية سبعة أشهر.اهـ.

ويكون خروجه بادئ ذي بدء يدعي الإيمان والصلاح ويدعو إلى الدين فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة، ويظهر الدين ويحبه الناس ويتبعونه، ثم يدعي أنه نبي فيفارقه من حوله، ثم يدعي الإلهية، ويقول: (أنا الله) فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه (ك ف ر)، فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

يخـرج مِـن يهـودِ أصـبهان يغـزو بهـم معاقـلَ البلـدان

ولم يـزلْ مهـدِينا في القـدس وعدلُه في الأرض مثـلُ الشـمس

يجهـز الجـيش الـذي يقاتلُـه ويرقُب الزحف الـذي يواصِـلُه

يسبِقُه قحـطٌ ثـلاثُ سـنوات وترجف الأرض ثـلاثَ رجفـات

---

(١) المصدر السابق ص٢٢٤.

في **أربعـين تنطـوي لـه الـبلاد** **يعمها بـالكفر حتمـاً والفسـاد**
ويـدعِي بأنـه الـرب المـتين **وأنـه المعبـود** في **الكـون يقـين**
ويخـرج الكنـوز والأمـوالا **يغـري ـا النسـاءَ والرجـالا**
ويبلُـغُ الشـام بجـيش وعـدد **يحاصِر المَهـدِي** في **خـبر بلَـد**

ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان وثلاثة عشر ألف امرأة، وعامة من يتبعـه اليهود والترك والنساء[1].

وتطوى له الأرض مهلاً مهلا طي فروة الكبش، وأنه يسـيح الأرض كلـها في أربعين يوماً.

يخرج في خفة من الدين وإدبار من العلم، فلا يبقى أحد يحاجه في أكثر الأرض، ويذهل الناس عن ذكره، وإن أكثر من يتبعه الأعراب والنساء.

وإنه يأتي الأعرابـي، فيقول: أرأيت أن بعثت لك أباك وبعثت لـك أمـك ؟ أتشهد أني ربك ؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطان على صورة أبـيه وآخر علـى صورة أمه، فيقولان: أي بني اتبعه فإنه ربك، فيتبعه.

قال صاحب «الإشاعة» ص٢٦٧: المراد بالأعراب هنا كل بعيد عـن العلمـاء ساكن في البادية والجبال، سواء كان من الأعراب أو الأتراك أو الأكراد أو غـير ذلك، لأ م ليس عندهم ما يميزون به بـين الحق والباطل، وأكثر النفوس مائلة إلى تصديق الخوارق.

وروى الحاكم في «المستدرك» عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفـظ: «وتأتيـه المرأة، فتقول: يا رب أحي ابني وأخي وزوجي، حتى إ ا تعانق شيطاناً، وبـيو م مملوءة شياطين، ويأتيه الأعرابـي فيقول: يا رب أحي لنا إبلنا وغنمنا، فيعطـيهم

---

(١) المصدر السابق ص٢٦٤.

شياطين أمثال إبلهم وغنمهم سواء بالسن والسمة - أي: اللون والحجم - فيقولون: لو لم يكن هذا ربنا لم يحي لنا موتانا [1].

وفي رواية: «إنه يأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح وعليهم سارحتهم -أي: ماشيتهم- أطول ما كانت ذرى -أي: أسمنه- وأسبغه -أي: أطوله ضروعاً وأمده خواصر- ثم يأتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون محلين، أي: مقحطين ليس بأيديهم شيء من أموالهم» [2].

وروي «أنه يمر على الخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل» رواه مسلم عن النواس بن سمعان.

وروي «أن قبل خروجه ثلاث سنوات شدائد يصيب الناس فيها جوع شديد... إلى أن قال: فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله»، قيل: يا رسول الله فما يعيش الناس إذا كان ذلك ؟ قال: «التسبيح والتكبير يجري ذلك منهم مجرى الطعام» رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم عن أبي أمامة [3].

ومن عجائب مظاهر عصر الدجال (اختزال الوقت واختلال ترتيبه)، وهي من أعجب ما ورد في الأحاديث عن ذلك، واختلف العلماء في تأويل الأحاديث فمنهم من قال: هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدرون كيف يمضي النهار، فيكون مضي النهار عندهم كمضي الساعة والشهر كاليوم والسنة كالشهر.

---

(١) المصدر السابق ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق ص٢٧٠ رواه مسلم عن النواس بن سمعان.

(٣) المصدر السابق ص٢٧١.

وقال بعضهم: بل هو على ظاهره، فقد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند أحمد والترمذي في أشراط الساعة «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكـون السنة كشهر، ويكون الشهر كجمعة، وتكون الجمعة كـاليوم، ويكـون اليـوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار»، قال الشارح: فإن جمعنا بـين معـاني الأحاديث فعلى وجوه:

الأول: أن أيامه أربعون سنة، وسمى السنين أياماً مجازاً، ثم إن أول أيـام سـنته الأولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة وباقي أيامها كأيامنا، ثم تتناقص أيـام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة.. وهكذا إلى أن تكون السنة كشـهر والشهر كجمعة حتى يكون آخر أيامه كالشرارة، يصبح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ با ا الآخر حتى يمسي.

ويقربه رواية نعيم والحاكم المارة عن ابن مسعود رضـي الله عنـه أنـه - أي الدجال – يقول: أنا رب العالمين وهذه الشمس تجـري بـإذني.. أفتريـدون أن أحبسها ؟ فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة كسـنة، ويقـول: أتريدون أن أسيرها ؟ فيحصل اليوم كساعة(١).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند ابن حبان في صحيحه: «فيسـير حـتى ينـزل بناحية المدينة، وهي يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان، فيخرج الله شرار أهلها، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين ويقول لأصحابه: والله لأنطلقن إلى هذا الرجل فلأنظرن أهو الذي أنذرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم أم لا ؟... إلى أن قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن عرفه بنعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسـول الله

---

(١) المصدر السابق ص٢٧٤.

صلى الله عليه وآله وسلم، فيأمر به الدجال فيشبح، ثم يقول: لَتطِيعني فيما أمرتك أو لتشقن شِقين، فينادي المؤمن: أيها الناس هذا المسيخ الكذاب، من عصاه فهـو في الجنة ومن أطاعه فهو في النار، فيؤمر به فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، فيقول لـه الدجال: والذي أحلف به لتطيعني أو لأشقنك شقين، فيقـول: أنـت المسـيخ الكذاب، فيؤمر به فيوشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بـين رجليه.

وفي رواية: ويبعد بـينهما قدر رمية الغرض، ثم يمشي الدجال بـين القطعتين، ويقول لأوليائه: أرأيتم إن أحييته ألستم تعلمون أني ربكم؟ قالوا: بلى، فيضـرب أحد شقيه أو الصعيد عنده ويقول له: قم، فيستوي قائماً، فلما رآه أولياؤه صدقوه وأيقنوا أنه ربهم وأجابوه واتبعوه، وقال للمؤمن: ألا تؤمن بـي، فيقـول: مـا ازددت فيك إلا بصيرة»، ثم ينادي: ألا إن هذا المسيخ الكذاب، فيأخذ الـدجال ليذبحه فلا يستطيع إليه سبـيلا، فيأخذ بـيديه ورجليه ويقذف به فيحسب الناس إنما قذفه في النار، وإنما ألقي في الجنة (1).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا أقرب امرئ درجة مني وأعظـم الناس شهادة عند رب العالمين».

وترجف المدينة يومئذ ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليـه، فتنفي المدينة يومئذ خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد.

ويجيء الدجال فيصعد أحداً فيطلع فينظر إلى المدينة، ويقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبـيض، هذا مسجد أحمد (2).

ثم يأتي إلى المدينة فيجد بكل نقبٍ من أنقابها ملكاً مصلِتاً، فيأتي سبخةَ الجُرف. اهـ «الاشاعة» ص٢٨١.

---

(١) المصدر السابق ص٢٧٩ مختصراً.

(٢) المصدر السابق.

قالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله.. فأين العرب يومئذ ؟ قال: يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس وإمامهم المهدي، فيتوجه - الدجال - إلى الشام فيفر المسلمين إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحصرهم ويشد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً.

حتى إذا طال الحصار يتبايعون على القتال بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه، فينزل ابن مريم عليه السلام، فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمة، فيقولون: من أنت؟ فيقول: أنا عبدالله وكلمته عيسى[1].

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٢.

المسيخ الدجال من وجهة نظر استقرائية لمخطوطات قديمة

أشار أحد المهتمين بشأن المسيخ الدجال لنفسه في شاشة الانترنت باسم ساري الليل وبث مجموعة معلومات متتابعة عن دراسة خاصة قام بها في هذا الشأن ليخرج بمفهوم استقرائي واسع عن هوية الدجال منذ بداية أمره حتى ظهوره[1]، وبما أن الحكمة ضالة المؤمن فإننا في جمعنا هذا نثبت ما يستفاد منه ونسعى إلى كشف نسبة الحقيقة كما هي وفق ما أمكن، ولذا نستعرض هنا ملخصا للفكرة التي تحدث عنها بشأن المسيخ الدجال كمعلومات مفيدة.

البداية المهمة:

يبدأ البحث عن هوية الدجال من خلال فهم الحديث النبوي مما رواه الإمام أحمد في مسنده: «يمكث أبوالدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور، أضر شي وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه، أبوه طويل ضرب

---

(١) أشار ساري الليل إلى أن هذه المعلومات حصل عليها من عدة مصادر منها:

أ- مذكرات مخطوطة عند رجل يمني مسلم طاعن في السن يعيش في إحدى مدن يهود اليمن.

ب- مخطوطات لدى احد علماء المسلمين المختصين بدراسة النقوش الآرامية القديمة يعيش في القدس وعمر هذه المخطوطات من قبل بعثة موسى عليه السلام بما يقارب ٤٠٠ عام تقريبا، ويشير إلى اسم كاتبها آزاد بن حارم بن صافور، وأنه حضر نبي الله إبراهيم وأنه سأله عن الدجال، ويرى الأستاذ الفلسطيني (صاحب المخطوطات) أن هذه المعلومات مما أملاه الخليل إبراهيم عليه السلام من علم الوحي عن الآخرة والأولى وما فيها من الفتن، وأن أحفاد الرجل توارثوها في خفاء وكتمان من جيل إلى آخر.

اللحم كأن أنفه منقار، وأمه فرضاخية اللحم -أي كثيرة اللحم سمينـة- طويلـة اليدين، عظيمة الثديين» .

الميلاد: ولد المسيخ لرجل وامرأة من نسل يهوذا بعد ٣١ سنة من الزواج.

المكان: هو السامرة في فلسطين.

الزمان: قبل ميلاد موسى عليه السلام بما يقارب قرنا مـن الزمـان، وكانـت السامرة عاصمة اليهود بعد سليمان عليه السلام، وكانت أسرة المسيخ من عبـدة تمثال البقرة، وقد حملت به في حيضها، وثبت علميا أن الحيض لا يمنع الحمل.

وإلى ذلك أشارت ملاحظ بعض الأحاديث: «فإن قضى بـينهما ولد كان كذا وكذا» وجاء المولود معيب العينين، ينام الليل والنهار، وقليلا ما يصحو، وظـل عدة سنوات لايتحرك إلا قليلا حتى ظنه والده مشلولا، ماتت أمه باحتباس اللـبن لقلة رضاعه -وأثبت العلم أن احتباس اللبن يؤدي إلى التسـمم ممـا يـؤدي إلى الوفاة- فكان كما أخبر عنه سيد الخلق: «أضر شيء» لأمه، وبقي أبوه يطعمه لبن الغنم محاولا إيقاظه، وكان يصحو ويشرب وينام، وما كان أبوه يعلم حياتـه إلا بوضع أذنه على قلبه ليسمع نبض وحركة القلب تصديقا لقول سيد الخلق: «تنـام عيناه ولا ينام قلبه»، وبعد بضع سنين وجده أبوه نائما في حضن البقرة الآلهة التي يعبدو ا، لأن إبليس تلبس به وسار به إلى البقرة، وكذب الناس الأب المسـكين عندما وصف لهم ذلك من ابنه المشلول، وا موه أنه الفاعل لذلك، وأمر الحـاكم بسجن الأب وتعذيبه وأخذ الولد إلى قصره لعلاجه من المس الذي أصابه، وكـان الحاكم يرى نفسه الإله الذي يضر وينفع، ومن ثم أعدم الحاكم والـده تصـديقا لقول الرسول ρ: «أضر شيء» لوالده، ومن قصر الحاكم كانت بدايـة مسـيرة الدجال.

بلدة السامرة: السامرة هي بلدة "سام بن نوح" فهو الذي أسسها بعد الطوفان، وعاش (الدجال) شابا في أكناف حاكم السامرة الذي أشاع أن بالولد مسا مـن الشيطان وجاء بالسحرة والكهنة لعلاجه مما زاد في شهرته، وأشيع أن هذا الولـد (سامري)، أي: أنه مثل جده سام الذي قيل: إنه كان في طفولته لا يتحرك حـتى جاءه ملك وعلمه كيف يحرك رجليه.

بقي (السامري) في رعاية الحاكم إلى أن بدأ بالحركة بطيئا، وكـان يتـأنى في كلامه وعيناه ا عيوب عجز حكماء عصره عن علاجها، وبـين عشية وضحاها أهلك الله (أهل سامرة) بأن خسف ا وهم نائمون لأ م أهل زنا ولواط إلا طفلا صغيرا كان في قصر الحاكم، فقد أمر الله جبريل أن يحمله إلى (بحر اليمن) ليتـردد عليه مربـيا ومعلما، ويعود جبريل مرة بعد أخرى إلى هذا الطفـل الوحيـد في جزيرة من جزر اليمن -أي جزر المحيط الهندي- وهي جزيرة كانت تسمى جزيرة الثعبان والدابة الهلباء، فالثعبان يأكل من يصل إلى الجزيرة والدابة الهلبـاء تـتكلم لغات الأرض، وهي حاكمة الجزيرة والثعبان حارسها، وظل جبريل عليه السـلام يغدو إلى هذا الطفل الذي عاد إلى النوم دون أن يرى جبريل، لأنه بشر غير مهيء لرؤية الملك، وكلما استيقظ وجد الطعام والشراب، ولما بلغ الثامنة من العمر بـدأ يتحرك ويمشي ويعلم ما يدور حوله، وتفهم ما حوله مس يسمعه كالصـدى في أذنه ويفهم معناه، قيل: إنه جبريل وقيل غير ذلك.

وكان يتجول في الجزيرة وليس معه سوى حيوانا ا وزواحفها، ويـوم التقـى المسيخ اللعين بدابة الجزيرة - وهي دابة كبـيرة الحجم كثيرة الشـعر جاحظـة العينين - خاطبته وقالت: "أنت الطفل الذي أنجاك الله من الخسـف بالسـامرة، ورفعك عنها جبرائيل، وأتى بك إلى هنا ورعاك بالأكل والشرب، فلا تخن عهـد

الله، فإن كل ابن آدم زرع في قلبه الإسلام له -أي الله- والإيمان به ما داموا على الفطرة، وأنت وحدك فلا تكن إلا مسلما مؤمنا برب الكون الأوحد ".

وأشارت إليه أن يتبعها إلى لوح من الحجر بالعربية الفصحى ولقنته الحروف وهو يتعلم منها ويتبعها من لوح صخري إلى آخر ملأت بالعبارات والرسائل ومنها:

١) لا إله إلا الله.

٢) الله وحده لا شريك له.

٣) أنت رب جبريل الأمين فلا تكن خائنا لعهد الله.

٤) أنت وحدك في الجزيرة.

٥) كل واطعم كما تشاء من رزق الله، ونم كما تشاء، واعبد الله على كل حال، وسبحه بتسبيح الوحدانية، وهي صلاتك: الله الملك الأوحد لا والد له ولا ولد الله الأكبر الله الأعظم الله الملك.

٦) كن يا رجل الغد ابن اليوم، ولا تكن رجل الغد في هذه الجزيرة في أي يوم.

٧) لا كتاب لك إلا ما يأتيك به آخر الأنبياء في بداية آخر الزمان، فإن آمنت به فأنت رجل الغد المؤمن بالله، وإن كفرت به كنت رجل الغد الموعود بعذاب الله، وإنك حاضر أنبياء الله فإن آمنت م آمنت بالخاتم لمن سبق والعاقب لمن راح، واسمه محمد الأمين، وإن كذبت بمن قبله فإن الله يغلف قلبك بغلاف الران الأسود فلا يرى قلبك النور ولا يرى عقلك إلا نفسك، كهذا الملعون المطرود من رحمة الله إبليس الرجيم، ساكن (البرمود القديم)، فتكون له قرينا مقارنا وساء قرين، لمقارنة أن يكون الملعون المرحوم والملعون المنبوذ الذي لا

يمسي حتى حين.. إلى قولها: وهذا علم الله كتبه جبريل أمين الوحي وترك لك أثرا إلى جوار الصخر خاتما من أمين الوحي جبريل الأمين رسول رب العالمين ".

ونظر الصبي إلى جوار الصخرة السابعة المكتوب عليها فوجد قطعة صخر رائع اللون عليها تراب ملون، كأنه المداد الذي كتب به جبريل به إنذار رب العالمين، فهو علامة أن هذا التراب ليس من هنا بل ليس من الأرض كلها، وأخذت الدابة تعلمه وتشرح له كل ما قرأه، وأنه مخير بين أن يكون مؤمنا وملكا فطغى او كافرا امثالها، ويسألها: من أنت ؟؟ وما الذي جاء بك إلى هنا ؟ ومن علمها الكلام كالإنسان ؟ وكانت تجيب بأنها مأمورة وأن جبريل حملها من غابة في الدنيا، وهي الوحيدة من نسل نوعها الذي انقرض، وهي معه لحراسته وحمايته حال غياب الروح الأمين، وما تقوله هي من وصايا جبريل، وأخبرته أنها مأمورة بالكلام ثم تصمت، إلا من كلام الحيوان، حتى زمن قرب خروجه من الدير الذي بالجزيرة آخر الزمان.

ومن ثم صمت لسانها وعادت حيوانا لا ينطق، واسمها (الجساسة) لأنها جست الخبر، وجس الشيء في اللغة علمه.

بداية كفر المسيح وضلاله

بدأ (اللعين) جولاته في الجزيرة يروح ويغدو ويتعلم وسكن كهفه، وجمع فيه ما أعجبه ووفر لنفسه سبل الراحة، إلى أن بلغ العشرينات من عمره وهو على كفره لم يؤد لله صلاة التسابيح التي علمته الدابه عند الصخور، وكانت تزوره من حين لآخر تذكره بأمر الله وما كتب في الصخور فلا يزداد إلا نكرا، بل قال لها يوما وهو ينظر إلى السماء: "أنا لم أر جبريل هذا المرسول، ولم أر الله، وربما أنت من كتب هذا حتى لا أحكمك كما حكمت الجزيرة"، فصرخت الدابة في وجهه

وهربت منه إلى الغابة وهو يناديها بغروره" أنا لا أعرف غيري، وكل ما حـولي خاضع لي ويقول: إني إله هذه الجزيرة وكلها ملكي بما فيها ".

وجاءته الدابة مرة أخرى وهي تكلمه بلسان فصيح: "إن جبريل أمرها أن تكلمه وأن الأمر جد وأن عليه أن يختار، وليتأكد من هذا الأمر أنه من عنـد الله " خـذ خاتم جبريل فضعه في هذا المداد وضع منه على أي شيء وسوف ترى آية ذلـك، فاعبد ربك بعدها وإلا فإ ا نذيرك بأنك رجل الغد المنبوذ " وبدأ يفكر في الأمـر وأخذ المداد وألقاه على طائر ميت مات منذ أيام وإذا به يتحرك ويطير عاليا آيةٌ له من الله ونذير له، وبعد برهة عاد الطائر وسقط ميتا في مكانـه الأول، ويسـأل الجساسة عن الأمر فقالت: إن هذا المداد فيه من روح جبريل وقوته، وهـو مـن الملائكة، وهو روح عظيم، والله أكرمك بكرامة منه ولا آية لك بعدها، فلا تخـن عهد الله وكن من المؤمنين".

وعادت الجساسة إلى صمتها، وأخذ هو يفكر بالأمر، يفكر في الألوهية، فلـو أصبح مؤمنا فسوف يبقى خاضعا لأحكام وقوانين معينة، أما إن كان إلها فهو يعني الذي يحكم ويتحكم ويملك كل شيء دون قيود ويخضع له كل شـيء، فهـو لا يعرف الله ولم ير هذا الإله الذي تتحدث عنه الدابة، وربما كان ما يحـدث لعبـة منها، لكن لماذا لا تخضع هذه الدابة له كسائر من في الجزيرة، وأشعل نارا وحاول إحراقها فهربت منه، ولما لقيها مرة أخرى تكلمت بإذن ر ا وقالت: (أنا مأمورة بأمر الله لا بأمر غيره من الخلق، وإ ا تحذره من ليلة لا ينام فيها ويكـون بعـدها غضب الله وطرده من الجزيرة إلى أرض الله ليرى ملكوت رب العالمين وتكون لـه فرصة حضور ثلاثة أنبـياء من أولي العزم) وعادت إلى صمتها وهربت منه وعاد هو الى غروره وكفره، وبدأ يقنع نفسه بأن هذا المداد الذي خلقه جبريل هو سـر الحياة وأساس خلق ما حوله، فأخذ يجمع هذه المادة من آنية طعامه التي كان يأتيه

جبريل ، وعاد لكهفه يفكر ويخطط كيف يخرج من الجزيرة، وتمر الأيام حتى جاء وعد الله، ولم ينم في الليلة الموعودة وطلعت عليه الشمس وتذكر كلام الدابة وأنها قالت: عليه أن يشعل نارا ليردها ويأتوه، وبدأ يجمع الأخشاب على شاطئ الجزيرة، وكان يشعل النار كل يوم وينام من الإجهاد والتعب، وظل على هذا الحال كل ليلة حتى رأى جسما كبيرا في البحر أمامه ورأى جسما صغيرا يأتي إلى الجزيرة ثم يتوقف على شاطئها وينزل منه خمسة مخلوقات تشبهه، وذهب إليهم ووجد أنهم يتكلمون مثله ويفر معهم، ومن هنا بدأت قصة خروجه إلى العالم.

الخروج الأول إلى العالم: رحلة الكفر الأولى

عندما التقى المسيخ بركاب القارب حكى لهم قصته بكل تفاصيلها ولم يصدقوه، واعتقدوا أنه معتوه نجا بعد غرق إحدى السفن، وأن ما أصابه كان من جراء ذلك، وقرروا أن يأخذوه معهم، وكان شؤما عليهم فمنذ وطئت قدماه السفينة والموج يشتد عليهم، وقد رأوا أن ينزلوه في أرض اليمن بأقرب بر لهم، وهي بلدهم، وأشاروا إليه أن يذهب هناك إلى طبيب في بلد اسمها مأرب، وأعطوه مالا لم يعرف قيمته بعد، وبدأ هناك يقابل الناس ويتعلم بصورة سريعة، وكانت له قدرات فائقة في التعلم والتصرف، وذهب إلى (حكيم مأرب) الذي أعجبه ذكاؤه وقوة مدركاته وسأله عن خبر السفينة والجزيرة وعن بلاده فأخبره أنه من السامرة بفلسطين، فاستعمله عنده وأعجب به وقال له: إن عشت يا ابن السامرة تكون ملكا في الخير أو الشر، وهنا تذكر كلام "الجساسة"، وظل يعمل ويتنقل سنوات طويلة في أرض اليمن ثم بدأ يرتب العودة إلى السامرة بلدة أهله، واشترى مركبا كبيرا بما معه من أموال جمعها، وقرر أن يزور جزيرته التي كان

فيها، وأبحر بمركبه ومعه بحارة يعملون معه، وواصل رحلته حتى بلغ إلى جزيرته ونـزل وحده إلى الشاطئ في قارب صغير، ووجد الجساسة أمامه تنظر إليه بكل ألم وغضب، ثم هرب منه إلى الغابة، ولم يلق لها بالا، وتذكر الإناء الذي جمع فيه أثر الرسول وأخذ معه صخرا من الصخور الملونة، وعاد إلى سفينته متوجها إلى فلسطين ونـزل إلى حيفا ومنها إلى السامرة، وهناك سمع ما سمعه من الدابة عن الخسف الذي حل بأهل سامرة وأن له مئة عام، أي: أنه أصبح له من العمر مئة عام وهو شاب لم يتغير ولا أثر للكبر عليه، وسأل عن طفل صغير أخذه الحاكم من أبيه ولم يجد خبرا عنه سوى رجل كبير أخبره أنه سمع هذه القصة من أشخاص كبار في السن معمرين من بلدة اسمها (إربد)، ولكن هذا الطفل مات عند الخسف.

وسأل: ما يعبدون ؟ قالوا: يعبدون البقر، وهنا علم المسيخ أن ما أخبرته به الدابة صحيح، ودارت الآمال في ذهنه بما سمع من كلام الدابة وما قاله حكيم اليمن، وأن تربيته على يد كبير الملائكة، ورأى أنه يملك قدرات تختلف عن غيره، وهنا وصل إلى حقيقة ثانية لديه: "أنه إله وابن إله"، ولأنه لا يريد أن يعبد ما لا يرى ولا يسمع وما لا يعرف قرر أن يعبد نفسه، فهي أولى وأعز عنده لعنه الله مما حوله.

انتقاله إلى مصر واللقاء مع موسى

قرر السامري أن يذهب من فلسطين إلى مصر أرض العجائب والأهرام والسحر، وتوجه إليها والتقى فيها بأحد الكهنة وعرض عليه الخدمة نظير أن يعلمه الحكمة والكهانة، فوافق لما رأى فيه الفطانة والذكاء، وبدا المسيخ يرغب في التقرب إلى الفرعون إلا أن الكاهن لم يحقق مطلبه لأن الفرعون يكره الغرباء ويقتل

ويسبـي طائفة اليهود كما هو معلوم، وسمع السامري قصة موسى (موشـيه) – أي: الملتقط من النيل- وأن فرعون رباه كابنه وقص له قصته حتى هروبه من مصر بعد مقتل المصري، وأعجب السامري بهذا وقص على الكاهن قصته، فقـال لـه الكاهن: "وأنت موشيه آخر ولكن من السامرة"، والسبب أنه التقط مـن قصـر الحاكم إلى الجزيرة، وهنا بدأ اسمه الجديد (موسى السامري).

وبدأ السامري البحث عن موسى النبـي حتى التقى به ولم يقص عليه شيء من خبره إلا أنه من نسل إسحاق بن يعقوب، وأن أباه كان ملكا على السامرة، وجاء في العهد القديم ما يلي: (جاء رجل من بني إسرائيل إلى موسى يعدد عليه أسمـاء تسعة من العظماء من آبائه وأجداده، فأوحى الله إلى موسى أن قل له: «كل مـن ذكرتهم من أهل النار، وأنت عاشرهم»، وطلب منه موسى أن يؤمن بالله وكل ما جاء به من عند الله ؛ ولكن أبى وعاش مع بني إسرائيل ويراقب ما يفعل موسـى عليه السلام، وخرج معهم يوم خرجوا وعبروا البحر، وقرر موسى الخـروج إلى ميعاد ربه وترك هارون نائبا عنه على بني إسرائيل على أن يلحق به السبعون الذين اختارهم معه، ولكنهم لم يفعلوا، وأخبره الله تعالى أن السامري أضـلهم، فرجـع موسى عجلا غاضبا، واعتذر السبعون عن تخلفهم لبقائهم مع هارون لما حصل من السامري، وبدؤوا يخبرونه بما حدث:

١) قال السامري للقوم: انا الرسول الحقيقي لكم ولموسى الذي نسـي ربـه بـينما هو قريب منه إن فكر، وهو العجل الذي عبده أجداده في السامرة، وهـو الذي سرقه منا المصريون وسموه "عجل إبلـيس" والمصريون لا يعلمون أن الكهنة خدعوهم.

٢) أخبرهم أنه قادر أن يريهم الله إن هم قدموا كل الذهب الذي سرقوه مـن المصريين ووضعوه في حفرة، ففعلوا وجمع من بني إسرائيل أمهر الصاغة والحرفيين

وبدؤوا يذيبون الذهب في أواني ويبردونه بماء البحر ثم صنع منه تمثالا نحتـه مـن الصخر وألقاه في الذهب السائل، ثم فصل بـينهم بعد أن برده بماء البحر، قـال تعالى: وكذلك ألقى السامري والقوم لا يعلمون ماذا ألقاه السامري ؛ ولكنه (المداد) الذي أخذه من أثر الرسول في الجزيرة، وكان الإناء معه لا يفارقه، فخار العجل كما وصفه الله تعالى: فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ، فالعجل صار جسدا وليس تمثالا، وجعل يخور كأنه ينادي عليهم، وكان السامري يترجم مـا يقوله العجل وهو رسول العجل إليهم، وأخبرهم أنه يأمرهم بالركوع له، وركعوا كلهم إلا هارون ويوشع بن نون وهو طفل، ثم عاد العجل إلى صمته وكونه مجرد تمثال لا صوت له ولا حراك، لأن أثر جبريل نفد إلا أن الفتنة وقعت علـى بـني إسرائيل، وجاء موسى لأخيه هارون يجر رأسه غاضبا.

حوار موسى والسامري

قال فما خطبك يا سامري (الخطب) كلمة تدل على عظم المصيبة وشـدة الحادثة أو الكارثة، ولكن العبارة من موسى جاءت كما وصفها الله تعالى علـى غاية من الدقة واللين وكأنه يخاطب صاحب حاجة، مع أن موسى جـاء غاضـبا وألقى الألواح وأخذ بلحية هارون يجره إليه، فكيف صارت المعاملة مع الدجال أو السامري وكان الأولى أن يقتله، إذن فلا شك أن المانع من القتل هو ما وصل إليه من وحي رب العالمين، قال السامري: بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضـةً من أثر الرسول فنبذتُها وكذلك سولت لي نفسي إجابة مليئة بالكبر والاستعلاء والبرود، وأنه يعلم ما لا يعلم موسى وأصحابه، فرد عليه موسى: فاذهب فـإن لك في الحياة أن تقول لا مساس أي: لا تسليط علي ولا يقربني أحـد، ومـن حاول فلن يسلط علي، ولكن العقوبة آتية لا محالة وفي موعد محتوم، قال تعـالى:

وإن لك موعدا لن تخلفه ، والوعد ليس يوم القيامة كما ذهب إليـه بعـض المفسرين، لأن يوم القيامة موعد كل الخلق، وليس الوعد في عهـد موسـى إذ لا مساس في زمن موسى، وفي الحديث عن أبـي هريرة τ: «لم يسلط علـى قتـل الدجال إلا عيسى بن مريم» رواه أبوداود.

قوله: وانظر إلى إلهك الذي ظَلْت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسـفنه في الـيم نسفا دقة التعبـير في القرآن بالإحراق والنسف، لأنه ليس مجرد تمثال إنما كـان لحما ودما وجسدا بواسطة أثر الرسول، فالذهب إذا أحرق أو تم تذويبـه تـزداد جودته ؛ ولكنه أحرق بالإذابة ثم حوله إلى غبار بطرقه ثم ذره في البحـر، وهنـا رحل موسى وقومه وبقي السامري يراقبهم من بعيد يخطط للقاء آخر.

عودة المسيخ إلى جزيرته

بعد رحيل موسى وطرد السامري ركب سـفينته إلى أوروبـا -وتحديـدا إلى سواحل فرنسا وشمال إسبانيا- وتعلم كل ما هو جديد، وانتقل إلى قبائل البلغـار وعاش مع الغجر ومع سكان الأورال حتى استقر به المقام في آسيا الصغرى ثم إلى جرجان، وظل طول هذه السنين والأعوام وهو على حاله وهيئته السابقه لم يتغير، وسبحان من لا يتغير ولا يتبدل، وأخذ يتعلم لغات كل البلاد التي زارها، وقفـل عائدا إلى بلاد الغال (فرنسا) وهو يفكر بالعودة إلى جزيرته ومملكته، فقد كانـت لا تغيب عن مخيلته، وأبحر إليها، ولما وصل بدأ يبحث عن (الجساسة) ولكنـه لم يعثر عليها فظنها ماتت لغيابه سنين طويلة، وتوجه إلى الصخور السبعة فوجـدها تغيرت وكل الكلام الذي عليها اختفى إلا عبارة واحدة هي: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)، فخاف وارتجف ولكنه عاد إلى كفره وكأنه لم ير شيئا، وسئم الحياة لوحده فهو لم يجد الدابة ولم يعد يرغب

في العيش إلا كملك بل كإله يحكم ويتسلط، فركب سفينته وكانت هذه السفينة من تصميمه ليتمكن منها من الإبحار وحده، فقد تعلم كثيرا من قوانين الحركة والطاقة واستنتج ووصل إلى حقائق لم يصل إليها من عاصره ابتلاء من الله، ثم عاد إلى فلسطين وتوجه إلى أرض أجداده (السامرة) ؛ ولكنه وجدها قد اندثرت وأصبح اسمها (جرزيم)، وهذه ما تعرف الآن (بنابلس)، وتقع شمال القدس، وبها جملة من الناس اسمهم (السامرية) وقد أقاموا لهم هيكلا لهم مثل هيكل بيت المقدس، ويدعون بأنهم البقية الصادقة على دين موسى، (ولا تزال طائفة من السامرية اليهود إلى اليوم يتمسكون بعاداتهم وعباداتهم السامرية) ؛ ولكنه لم يلق لهم بالا فما يهمه هو حكم الدنيا وليس السامرة، وأثناء دراسته لمخططاته سمع عن نبي جديد أرسل لليهود، وهنا بدأ مرحلة جديدة ورتب للقائه.

لقاء مسيح الضلالة بالمسيح عيسى عليه السلام

سمع السامري عن ظهور رجل في اليهود يدعي أنه نبي ورسول جاء ليخلص اليهود مما هم فيه من ظلم وضياع، وأنه جاء ليكمل ما جاء به موسى والأنبياء من قبله، وعلم أنه من نسل داود من جهة الأم، وعندها قرر السامري أن يختبره، فقد أصبح ملما وعالما بعلوم السحر والدجل، وسار إلى محل إقامة المسيح عليه السلام وأرسل إليه رجلا وظل هو بالخارج لم يدخل إلى المسيح عليه السلام، وطلب من الرجل أن يسأل عيسى عليه السلام بقوله: إن كنت نبيا ورسولا فأخبرني من في الخارج، فصمت المسيح عيسى عليه السلام فجاءه الوحي قائلا: (يا أخي أخبر من أرسلك أن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات إن تاب العبد ووحد الرب، إن من حمى الطفل النائم من جبروت الحاكم ورباه في جزيرة الدابة وهو صغير ولقنه توحيد الإله والصلاة بكتابة جبريل الأمين قادر أن

يعفو عن فتنة عجل بني إسرائيل إن آمن الكبـير بمسيح الرب وما أنـزل عليه من الإنجيل).

فخرج الرجل إلى الدجال وأبلغه ما قاله عيسى عليه السلام فقال بكـل كفـر وكبر وهو يعلم أنه الحق لأنه الساحر تتنـزل عليه الشياطين: "إنه لو كان نبـيا ما علم من أنا، وما كان نبـيا لأن الأنبـياء لا تخبر بالغيوب إنما الغيب لله، إنمـا هو تأتيه الشياطين بالخبر كما علمني كهنة مصر ".

وهنا قرر الهروب من المواجهة فهو لا يريد أن يصبح مجرد تابع، إنه يريـد أن يصبح نبـيا، بل يريد أن يملك الدنيا التي زارها ومر ا، وهو ليس مثل الناس، إنه يمتلك العلم والقدرات وما لا يملكون،وهو أكبر منهم بل إنه لا يموت مثلـهم أو يتغير مع مرور السنوات، وأخذ يفكر ويسترجع الماضي وأيقن أن هذا هو النبـي الثاني الذي يحضره، وتذكر كلام الدابة أن هذه آخر فرصة له فإن كذب النبـي الثاني وحضر النبـي الثالث أصبح بعدها إلها يحكم ولا يملك وأقنع نفسه أن الدابة ما هي إلا شيطان يسترق السمع من السماء، وعرفت بذلك أنه سـوف يصـبح ذوشأن عظيم وإلها وملكا وحاكما لأنه للحكم دون ملك، ولكن هذه الدابـه لم تخبره بكل شيء أو لا تريد إبلاغه بكل شيء، وأخذ يختلق الأعـذار والمـبررات ليبتعد بنفسه عن مواجهة عيسى عليه السلام، وظل عيسى عليه السـلام منتظـرا مجيئه إليه طالبا التوبة، ولكن مسيخ الضلالة رحل وتبـين لعيسى عليه السلام أن السامري ظل على كفره وطغيانه، وأخذ يحذر اتباعه من فتنة الدجال المسيخ الذي يدعي أنه المسيح وليس هو، وأنه إله ورب وهو دجال وكافر، وأنذرهم سـحره وبلاءه وفتنته.

رحيل السامري إلى بلاد المشرق

قرر السامري الرحيل من فلسطين إلى بلاد المشرق ليبتعد عن بني إسرائيل، وليعود إليهم ملكا إلها متى حانت له الفرصة، وأبحر الى سواحل الهند وتجول في بلاد بوذا وتعلم منها كل جديد وزار معابدها ونشر ا الدجل والإجرام، وانتقل من الهند إلى بلاد السور العظيم (الصين) وفيها تعلم فنون الحرب والقتال، ثم عاد إلى الهند ليتعرف على بلاد الشمس والبراكين التي سمع عنها، فرحل إليها بمركبه وأخذ معه جملة من البحارة حتى وصل إلى اليابان ورأى فيها البراكين، وأخذ يجري أبحاثه ودراسته عليها ومصدرها وكيف يستفيد من هذه الطاقة في مخططاته القادمة، ومن اليابان عاد إلى جزيرته التي ألفها منذ صباه ليتم ا تخطيطه ويرسم ويفكر كيف يحكم العالم الكبير، وكانت رحلته في سفينته وبحارته الآخرين في سفينة أخرى.

العود إلى الجزيرة والسجن المحتوم

وصل عدو الله إلى الجزيرة وأنزل ما في سفينته وتوجه إلى كهفه الذي نشأ فيه وتربى، وكانت المفاجأة تنتظره، وهي لقاؤه الدابة التي ظن أ ا ماتت، ولكنها هذه المرة معها عشرون رجلا عظيمي الخلقة وجوههم تشع نورا وبين أيديهم سلاسل من حديد فولاذي يلمع كأنه ذهب، فهو ليس من ذهب الدنيا، ولهذه السلسلة أصوات كالرعد، ففزع وذهل وبادر الدابة يسألها مهاجما: (ألم أقل لك أنك شيطان ولك خدم وإلا من هولاء وكيف أتوا إلى هنا ومن أين تعرفينهم ؟) فغضبت الجساسة من نعتته وجرأته وقالت: (يا عدو الله لقد ضيعت الفرصتين ولم يبق لك إلا الوعد الآخر)، وما أن تمت كلامها حتى هجم عليه الرجال وأغمي

عليه من شدة الخوف مما رأى من شد م، ولم يفق إلا وهو في الكهف والجساسة عنده ولم يستطع الحركة كما كان يرجو، لأنه أصبح مقيدا بالسلاسل.

ولكن السلاسل كانت طويلة بحيث تمكنه من الحركة البطيئة والقيام والقعـود والمشي خارج كهفه إلى بئر قد أعدها سابقا، أو إلى قضاء حاجته، ولكن بجهـد وثقل كبـير، وحاول فك القيود أو كسرها بكل ما أوتي من قوة وحيلة ولكنه لم يقدر، وهنا قالت له الدابة: (يا دجال الغد وإله الكفر والشر أنت الآن في عهـد خاتم الأنبـياء حبـيب الله محمد ρ، لقد ولد منذ أيام وأنت في عـرض البحـر غافل عما جرى به قدر الله تعالى أنت الآن في بداية آخر الزمان ووعد الله حـان أوانه ولن تفك من سلاسلك إلا بموت الحبـيب محمد ρ وانتقالـه إلى الرفيـق الأعلى، وعلامة قرب خروجك هجرته إلى طيبة الطيبة بعد إخراج أهله لـه مـن مكة وقتاله للعرب وانتصاره عليهم، وعلامة خروجك في الدنيا متجبرا (تقطيـع نخل بـيسان، وقلة ماء بحيرة طبرية، وغوران ماء زغر، وخسف كثير قبل خروج عدوك الذي سيغضبك)، فرد عليها السامري السجين: إنك الساحرة كيف أعلم صدق كلامك ومتى تبعدين عني شياطينك لأخرج في حكم الدنيا التي لا ملك لها إلا أنا، أنا أكبر منك عمرا والأيام لم تؤثر في عمري، وكل الدنيا من حولي تغيرت وأنا لم أتغير ولم أشخ ولم أهرم، إذا أنا ابن الآلهة، تعالى الله عن ذلك، وهنا أغلقت معه الدابة الحوار وعلمت أنه لا جدوى من مجادلته، وقالت له أخيرا: (اصبر أو لا تصبر، وعد الله حق، فأنت ملعون ومطرود منبوذ كإبليس الذي حـذرتك منـه كتابات الرسول على الصخر)، ومضت الدابة لتنقل إليه ثمار الجزيرة ليأكل منها وترقب فيه أمر الله.

زيارة تميم الداري للجزيرة

في هذه الأثناء والدجال محبوس في كهفه وصلت سفينة تحمل ثلاثين رجلا كان منهم تميم الداري τ، وهو صحابـي جليل أسلم في السنة التاسعة للهجرة وكان راهبا من العباد بفلسطين، وكانت وفاته سنة أربعين للهجرة، وحديث هجرته إلى جزيرة الجساسة والدجال معلوم في الصحاح، ومنها صحيح مسلم، وهو حـديث مشهور ومعلوم، وسنورد القصة كما ورد في الحديث مع الربط بـينه وبـين وقائع الحال لتعم الفائدة.

وصلت السفينة إلى الساحل فلمحتها الجساسة ورأت مجموعـة مـن الرجـال نـزلوا على مجموعة من القوارب نحو الجزيرة، فالتقتهم وحدثتهم بلسان عربـي واضح، وكلمت تميم الداري بأن رجلا في دير بالجزيرة ينتظر بشرى منه، فخاف منها هو ومن معه فقالت له: (هدئ من روعك ومن معك فأنا لسـت شـيطانا وإنما أنا مأمورة من الله على هذه الجزيرة لإيواء رجل له شأن في دنيا الغـد أو في غد الدنيا، ومأمورة من رسول الله من الله عز وجل بأن أرحب بـك وأخاطبـك لتكلمه)، فسارعوا حتى دخلوا الدير معها، فوجدوا فيه أعظم إنسان كما ورد في الحديث، فسألهم عن خبرهم فأخبروه أ م من العرب وذكروا له ما حصل لهم في البحر ولقاؤهم الدابة في الجزيرة، ثم سألهم عن نخل بـيسان وهي إحـدى مـدن فلسطين وهل يثمر، قالوا: نعم قال: أما إنه يوشك ألا يثمر،، ثم سألهم عن مـاء بحيرة طبرية -وتبعد عن بـيت المقدس مئة ميل وماؤها حلو فرات – فقالوا: لـه إ ا كثيرة الماء، قال: أما انه يوشك أن يذهب، ثم سألهم عن ماء عين زغر وهـل يزرع أهلها بمائها ؟ قالوا: نعم ماؤها كثير يزرع به أهلها، ومما يظهر أنه يعلـم أن العين ستجف ثم تفيض مرة أخرى دليل خروجه ثم تغور مرة أخرى كما أخبرتـه الجساسة أن غورا ا من علامات خروجه، ثم سأل عن نبـي الأميين وقتال العرب

له ونـزوله يثرب فأخبروه أنه خرج إلى يثرب وأنه ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال: أما إنه خير لهم أن يطيعوه ثم أخبرهم عن نفسه فقال: أنا المسـيح وإني يوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج فأسـير في الأرض فـلا أدع قريـة إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فإ ما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منها استقبلني ملك بـيده سيف مصلت يصدني عنها وإن على كل نقب من أنقا ا ملائكة يحرسو ا.

ومن ثم عاد تميم وأصحابه إلى قوار م ومنها إلى سفينتهم، ولما وصلوا إلى طيبـة الطيبة أخبر تميم النبـي بالأمر وروى القصـة، فجمـع النبـي ρ الصـحابة ليسمعوا خبر الدجال من تميم الداري τ.

خروج الدجال من الجزيرة وإطلاق سلاسله

بقي السامري في الأغلال والسلاسل حتى مات سيد الخلق ρ وخاتم الأنبـياء والتحق بالرفيق الأعلى، فما الذي حصل ؟ استيقظ الدجال ذات يوم من نومـه بعد ثلاث وستين سنة قضاها مكبلا بالأغلال وهو عمر المصطفى ρ، فـرأى أن السلاسل التي كبلت ا يديه ورجليه تذوب وتتآكل كأن لم تكن، وكـان هـذا تشريفا وتكريما للمصطفى ρ، ثم وجد اللعين نفسه حرا طليقـا، وإذا بالجساسـة أمامه تقول له: (وداعا أخبث رجل بالأرض أنت إلى دنيا الزيف وأنا إلى ملكوت ربـي وربك ورب العالمين ورب كل شيء إلى برزخ لا يعلمه إلا الله) فقال لها: إلى أين تذهبـين؟ قالت: ألا تذكر أن أجلي حضر مع خروجك وأنـت حـان خروجك مع ابتلاع البحر لهذه الجزيرة فلا يدخلها بعدك أحد، خروج إلى الـدنيا الفانية ولأقدار رب العالمين لا إله إلا هو الملك، وما أنت إلا عبد منبوذ، وأنـت اخترت قدرك لعنة الله عليك وعلى من يقر بك في داره) وتقصد إبليس اللعين.

وانطلقت الدابة إلى الغابة، وهي غير الدابة التي تخرج في آخر الزمان، وركب الدجال سفينته متجها إلى حيث كان يرسم الأمل في سجنه، فقد كان يرسم وهو في الأغلال خطط بدايات وجهته، وكان أول توجهه إلى بلاد المسلمين إلى الجزيرة العربية ليعرف عن الدين الجديد وعن هذا النبي الأمي الذي آمن به الناس، فزار العراق والشام ثم انتقل إلى إفريقيا، وهو في كل موطن ينزل فيه يتعلم ويستفيد، ثم دخل إلى أدغال إفريقيا حتى رأس الرجاء الصالح، ثم أبحر إلى حيث يقيم مملكته إلى (الأمريكيتين) إلى (بلاد العم سام)، وتأمل علاقة (بلاد العم سام) (بالسامري).

الجزر الأمريكية والدجال

أبحر السامري إلى البلاد الجديدة حتى وصل سواحل أمريكا، ونزل بأول الجزر التي صادفها، وهي سواحل جزيرة (البرمودة) أو جزيرة (البرمود) ووجد فيها مبتغاه، فأهلها يعبدون الشيطان (هذا أساس الحرية لديهم)، فلا قيود ولا تحريم، وكل يعبد ما يشاء حتى فروج النساء فهي فى نظرهم هبة من الآلهة الشيطان، وبرمودة تعني شاطئ النور في لغة أهل البلد القديمة، والسبب أن الشيطان سكنها منذ القدم وأعلمهم أنه إله النور والتنوير[1].

---

(١) برمودة عاصمتها هاملتون، وهي عبارة عن مجموعة من الجزر عددها (٣٤٧)، وإنما حوله منها عشرين جزيرة فقط، والجزيرة الكبرى هي برمودة تبعد عن الولايات المتحدة الأمريكية بـ ٥٨٠ ميلا فقط، استعمرها الإنجليز منذ سنة ١٦٨٠م وحاولوا نشر المسيحية دون فائدة، فقد اعتبرها الكهنة جزءا من عبادة الشيطان، وفي سنة ١٩٦٨م أعطيت حكما ذاتيا في الظاهر وإدارة أمريكية كاملة في الخفاء، والسكان يعتبرون الجزر الخالية مساكن لأبناء الإله الشيطان.

وهنا وجد الدجال مرتعا خصبا لخططه، وبدأ يبين لأهلها أنه رسول أو ملك أرسله الإله الشيطان لهم ليكون واسطة بينهم وبين الإله الشيطان، ثم بعد مدة بين لهم أنه هو الإله الأوحد، وهذه فتنته الآخذة لعقله منذ بدايته، وأخذ يسلب العقول بالسحر والخدع التي يظهرها للناس، وكان يستغل ما تعلمه في رحلاته وأسفاره من الكهنة والسحرة والعلوم الأخرى من الفيزيائية والكيمائية وغيرها حتى آمن به البعض وأنه ابن الإله الشيطان، ولكن الكهنة والسحرة رأوا في السامري منافسا لهم فيما هم فيه من سلطة ومركز فأخذوا يكيدون للسامري يريدون الفتك به، وبلغه التحذير من بعض أتباعه ففر هاربا من الجزيرة، وركب سفينته عرض البحر حتى شواطئ إنكلترا ومكث هناك يتعلم كل ما هو جديد، ومنها إلى أستكلندا ثم فرنسا وبولندا وهولندا، وفي كل بلدة يحاول أن يطلع على العلوم والعادات والتقاليد، ولكنه لم يستقر ولم يعجبه حال تلك البلاد لكثرة أهلها واتساع أطرافها، فقرر الرحيل مرة أخرى للبحث عن جزيرة أخرى.

جزيرة بورتوريكو

عاد الدجال بمركبه من أوروبا وتوجه صوب جزيرة تسمى (بورتوريكو) وهناك وجد أهلها أكثر إخلاصا في عبادة الشيطان لعنه الله، وسألهم عن الآلهة التي يعبدو ا فقالوا له: إن رجلا عظيم الجثة يظهر لهم على هيئة نور شديد متوهج كأنه النار، ويظهر قبل مغيب الشمس مباشرة فوق الجبال، وكان ينادي على أجدادهم: أنا ربكم وأ م إن لم يسجدوا له زلزل م الأرض فيسجدون له خوفا، وسألهم الدجال: وهل هذا الرجل مازال يظهر لهم حاليا ؟ قالوا: إنه يظهر كل عام مرة أو مرتين فوق جبل شهير عندهم اسمه (جبل الإشراق) وأن أجدادهم سموه بذلك لأن الشيطان الأعظم يشرق نوره فوقه، وبدأ الدجال يفكر ويخطط ويدبر

فرصة حضور هذا ا مع السنوي، وطلب منهم موافقة حضوره فوافقوا شرط أن يسجد معهم ويتلوا الصلاة التي كتبها (إبليس) لهم فوافقهم على ذلك.

ولما جاء الموعد المنتظر وحضروا جميعا لم يحضر الشيطان الإله أو أنه حضـر ولم يظهر على غير عادة، وظن القوم أنه لم يحضر لكثرة مشاغله بتدبـير أمور الكون حسب اعتقادهم، وجاء اليوم الثالث فظهر لهم فجأة على الجبل ولكن بعد غياب الشمس وحلول الظلام وكان جسمه فسفوريا مشعا متلألئـا ونـادى علـيهم بالسجود فسجدوا جميعا إلا الدجال لأنه كان هو الذي ظهر عليهم، وذلك ليقينه أن إبليس لن يظهر بعد مرور يومين من انتظاره، وإبليس لعنه الله تواطأ معـه دون أن يكون بـينهم أي اتصال مباشر، لقد دهن الدجال نفسه بمادة فسفورية مشعة كأ ا الفسفور وربما هو توصل إليه بتركيب معين وبدا لهم أشد إضاءة، وقال لهم في ظهوره بلسان الشيطان: "إن علامة رضاي عنكم أن يعيش بـينكم رجل هـو ابني أرسلته لكم وللعالم كله، ثم ناداهم قائلا: فهو ملككم ابـن الإلـه المنتظـر يحرسكم ويرعاكم وهو غريب عنكم وجديد على أرضكم، فإن أمركم فـأطيعوه وإن اكم فلا تردوه وإن طلبكم فامنحوه وإن أعطاكم فاسجدوا له، فهو مني وأنا منه، وإشارة ألوهيته غرابة في عينيه، فمن نظر فيهما نال الجنة والرضـا مـني" ثم اختفى عنهم فلم يعودوا يبصرونه.

وبدؤوا يبحثون عن الغريب الجديد الذي هم يعرفونه حتى وجدوه نائما تحـت شجرة في مدخل الغابة فأيقظوه لأ م يحسبونه نائما وما هـو بنـائم، فاسـتيقظ فسجدوا أمامه يطلبون رضاه ورضوانه، فقال لهم: قوموا قد غفر لكم أبـي الإله الأعظم كل ذنوبكم، وافعلوا ما شئتم بعد اليوم، ومن أذنب ذنبا يأتيني معترفا وأنا أشفع له عند أبـي الإله الأعظم فهو لا يرد لي طلبا.

وبدأ أهل المدينة يقدمون له فروض الطاعة والولاء، ولكن طموحـه لم يكـن مقتصرا على جزيرة صغيرة بل يريد ان يحكم الكون كله، ومن هنا بـدأ يصـنع سفينة ضخمة ليطوف ا الدنيا وليجعلها تابعة لجزير م، و ذا أقنع أهل المدينـة وأمرهم أن يساعدوه في بنائها ورسم لهم الهيكل الهندسي للسفينة، وأشرف علـى بنائها، وبعد أن فرغ منها أعد برنامج رحلته وخططه وجهز السفينة بكل ما يحتاج وأخذ صفوة رجاله وبدأ الرحلة.

الدجال يبحر إلى أمريكا

توجه الدجال بسفينته في اية الألفية الميلادية الأولى من جزيرة (بورتورويكـو) نحو الجزر الأمريكية، وتوجه بالذات إلى فلوريدا، وكانت عبـارة عـن منـاطق صحراوية واسعة، فقال لأتباعه: إن هذه الأرض ستكون لي، ووجد ـا كهوفـا ومغارات منحوتة من الصخور، والتقى هناك بأقوام عراة وشبه عـراة يسـمون (الكرمس)، وأصل الاسم (الهرمس) وهو اسم الآله الذي يعبدونه، وهو ما سمـاه إبليس، ومعناه الكذب بلغة الهند القديمة، ثم واصلوا الرحلة إلى قوم آخرين يعبدون الشمس وفيهم أخذ الدجال ينشر سمومه وكذبه، وأطلـق علـى المنطقـة اسـم (فلوري) وتعني الإله القادم أو الملك المنتظر الذي بشرهم به أبـوه (الكـرمس أو الهرمس) ؛ ولكن كهنة عباد الشمس حاربوا الدجال وأتباعه فانتصـر الـدجال عليهم وأذلهم بالقوة وبدأ يحكم قبضته على المنطقـة، وجعـل مـن (برمـوده وبورتريكو) قاعدة مثلث على شكل هرمي كأهرامات الفراعنة الـذين أعجبتـه حضار م، وجعل رأس المثلث أو الهرم مدينة الملك أو الكاهن المنتظر الـذي هـو نفسه.

وبدأ من هذا المثلث يرسل الرسل إلى بلاد الدنيا (كعيون وجواسيس) ليكـون مواكبا لكل ما يدور في هذا العالم، وليستطيع رسم خططه وتصوراته لحكم هـذا العالم يوما من الأيام.

لقاء الدجال مع إبليس الرجيم

استمر الدجال في تحصين مملكته والتردد بـين أطرافها وفي إحدى الليالي وهـو متجه في مركبه نحو مدينته المفضلة (فلوريدا) رأى بحارته في عرض البحر أضـواء تلوح من بعيد صادرة من مبنى يشبه القصر ويسمعون أصـواتا لا يفقهونها ولا يعرفونها، فسأل الدجال بحارته فلم يردوا جوابا بل اعتبروه هو المبصر فيهم وهـو العالم بما يحدث، فقال دعوا لي الأمر، ودخل إلى مركبه يتابع ما يظهر مـن هـذا الإشعاع بمثل المنظار الليلي -حيث كان يملك من العلم ما يجهلون- فرأى القصـر ورأى مخلوقات تحيط بالقصر على هيئة كلاب وحمير تتمتم بما لا يفهـم وكأنها تحرس القصر، وانتبه الدجال إلى سفينته فوجدها تنجذب إلى جهة القصـر شـيئا فشيئا وكأنها موجهة بقدرة عجيبة.

وعندما أعطى الاوامر لأتباعه لتغيير سير السفينة كانت المفاجأة، بـدأ رجالـه يتثائبون ويسقطون نياما حتى رست السفينة بجوار القصر، وعندها تأهب لدخول ذلك المكان، وما أن وضع قدمه الاولى حتى فوجئ بعشرات ومئات المخلوقـات من حمير وكلاب وأفاع وقطط تلتف حوله منحنية وكأنها تحييه وترحب به وتقدم إليه أحد هذه المخلوقات بـيد سوداء وشعر أسود كثيف كأنه شعر كلب وثـور أسود وكلمه بكلام لم يسمعه ولكن فهمه بأذنه، وكان معنى هذا الكلام إن الملك الأعظم ينتظرك إنه الإله والرب لهذا الكون وأنت في ضيافته الليلة، ثم أدخلوه على

سيدهم الأكبر منحنيا فأبى وقال: (وأنا ملك إله)، فدخلوا منحنين ودخل معهـم رافعا رأسه، وفجأة شعر أن الغرفة كلها أضيئت بأنوار كأ ا النيران (كانوا حلبات المصارعة) ليجد نفسه أمام مخلوق بشع الهيئة موحش المنظر وكاد أن يجمد الدم في عروقه لولا أنه سرعان ما غير شكله ليراه في هيئة شيخ من الـذين سـبقت لـه معرفتهم وزارهم الدجال من قبل فحيا كل منهما الآخر، قال إبليس: (يا رجـل الساعة انتظرتك منذ زمن بعيد أو طويل وأعددت لك العدة منـذ ظهـور هـذا النبـي العربـي لنهلك أمته: العقبة الوحيدة أمامنا، والعداء بـيننا وبـينهم لـن يزول، فإما انتصرنا وإما انتصروا، ولو انتصرنا فقد هزمنا الله، ولو هزمنا الله نكون آلهة معه لا شريك لنا، وساعتها نخلق كما يخلق ونبدع كما يبدع) وكان الدجال منصتا يسمع لأول مرة كلاما مقنعا لطموحه فسأل إبليس: (إنه سمع من روايـات الرسل أنه رأى إبليس طرد من الجنة لأنه وسوس لآدم وحواء ليغويهما عن الجنة) فأنكر إبليس وقال: إن الأنبـياء نـزل عليهم الوحي الحق فحرفوه حـتى قـرآن محمد حرفه أصحابه في بعض المواضع، وسرد ابليس قصة مكذوبة على آدم وأنـه أكل الشجرة باختياره مما كان سببا في غضب الله، وأنـزل الجميع من الجنـة إلى الأرض وأخبرهم أن الذي ينتصر على الآخر سيكون إلها أو ابن إله، وطال النقاش بـين الدجال وإبليس في شأن ما يروى عن الرسل وإبليس يـرد عليـه ويقنعـه بأكاذيبه حتى اقتنعا بأ ما معا يسيران لهدف واحد، ووقعا على خدمـة الهـدف اتفاقية الشراكة أو الحكومة السرية، وهذا مجمل أو محتوى أهم نقاط الاتفاق.

نقاط الشراكة:

١) أ ما مخلوق واحد أحدهما مرئي والآخر لا مرئي.

٢) الهدف من هذه الوحدة هو إبادة المسلمين لتأكيد وإظهار خطـأ الإلـه الأكبر.

٣) لبـيان أن اليهود هم خير أمة أخرجت للناس وليس للمسلمين الدجالين.

٤) تؤسس مدينة مركزية تحتوى على مجمل ثمرات العلوم والحقائق الفزيائيـة التي سبق علمها ولحق في العالم كمقر مؤقت لإدارة شؤون الكرة الأرضية حـتى لحظة الخروج الحقيقية.

٥) بقية تفاصيل الاتفاق سرية.

تم ما وجد في محتوى ملف الدجال للاسم الرمزي (ساري الليل) عبر الانترنت.

ومع أن هذه المعلومات لا ترضخ للقواعد العلمية الشرعية مـن حيـث المـادة المنقولة إذا نحن محصناها من واقع المنقول الثابت ؛ لكننا أثبتناها هنـا اسـتنادا إلى حديث البخاري: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

إذ ليس مقصودنا من إيرادها تأكيد ما ذكر فيها، وإنما مجـرد الاسـتفادة مـن مأثورات ومخطوطات المتقدمين، وخاصة أن فتنة الدجال عالمية التاريخ ، والحكمة ضالة المؤمن، وتثبت وقائع الحال في مسيرة الحياة المعاصرة تضافر قوى الشر مـن إبليس ودجاليه للقضاء على شوكة الديانة والتدين بعقلانية واعية وعلمانية ماديـة مدججة. ولله في خلقه شؤون.. إنما أمره إذا أراد شـيئا أن يقـول لـه: {كـن فيكون}.

نزول عيسى وما يجري من التحولات

وعندها ينزلُ عيسى علما	على جناحِ ملَكٍ من السما
بجانبِ المنارةِ البيضاءِ	يحمِلُ سيفَ الفتكِ بالأعداءِ
ويلتقِي مع الإمامِ المُقتدى	متبِعاً لنهجِ طه أحمدا
يلتزم الصلاةَ خلفَ المنتظر	وينصرُ اللهُ به الدينَ الأغَر
يقْتلُ للدجالَ دون معركةْ	في بابِ لُدٍ تعتريهِ الهَلكَةْ
ويهزمُ اللهُ جيوشَ الدجل	مِن اليهودِ بسيوفِ العدل
وتنطقُ الحجارةُ الصماءُ	هذا يهودي لهُ الفناءُ
وينصرُ اللهُ بعيسى والإمام	دِينَ الهدى والكفر يفنى بالتمام

يشير النظم إلى مرحلة جديدة من مراحل التحول في هذا العصر والمهدي قد التجأ مع أصحابه إلى جبل الدخان فراراً من هجمة الدجال، ورغبة في إعداد أنفسهم لمنازلته، فبينما إمامهم المهدي وقد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، فيرجع المهدي القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس، ويقال له: يا روح الله تقدم، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم، ويضع عيسى عليه السلام يده بين كتفي المهدي، ويقول له: تقدم فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام: افتح -وكأنه شعار المعركة- فيفتح ووراء الدجال سبعون ألف يهودي، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هارباً، فيقول له عيسى

عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني ا، فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله ويهزم الله اليهود [1].

والجمع بين الروايات المتعددة في هذا المضمار كتب شارح «الإشاعة»: «طريق الجمع بين هذه الروايات أن عيسى عليه السلام ينزل أولاً بدمشق على المنارة البيضاء -وهي موجودة اليوم- لست ساعات من النهار، وقد مر في الفتوحات أنه يصلي بالناس صلاة العصر فيحتمل أنه ينزل بعد الظهر، ثم مع اشتغاله بالقرعة[2] بين اليهود والنصارى يدخل وقت العصر فيصلي م العصر كما في رواية، ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثاً للمسلمين ويلحقهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرموا فيخرج إليه بعض من لم يحرم بالصلاة فيأتي والمهدي في الصلاة فيتقهقر، ويقول بعض الناس لعيسى: تقدم، فيضع يده على كتف المهدي أن تقدم، ويقول للقائل: ليتقدم إمامكم، فيجيب المهدي، ثم إذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الأرض فيدركهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر، فيتحيل اللعين إلى الخلاص منه بإقامة الصلاة، فلما عرف أنه لا يتخلص منه بذلك ذاب خوفاً منه كما يذوب الملح، ويهزم الله اليهود وأصحاب الدجال، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي

(١) «الإشاعة» ص٢٨٢.

(٢) قال في «الإشاعة» ص٣٠١: ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين لست ساعات مضين من النهار، حتى يأتي مسجد دمشق، يقعد على المنبر، فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود وكلهم يرجونه، حتى لو ألقيت شيئاً لم يصب إلا رأس الإنسان من كثر م، ويأتي مؤذن المسلمين، وصاحب بوق اليهود، وناقوس النصارى، فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين، وحينئذ يؤذن مؤذ م، وتخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر.

إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة إلا قـال: «يـا عبدالله المسلم هذا يهودي»، وفي رواية: «هذا دجال فتعال فاقتله ؛ إلا الغرقد فإنها من شجر اليهود لا ينطق».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فيكون عيسى عليه السلام في أمـتي حكمـاً وعدلاً وإماماً مقسطاً»[1].

وعن أبـي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم: «والذي نفسي بـيده ليوشكن أن ينـزل ابن مريم حكماً عدلاً فيكسـر الصليب ويقتل الخنـزير ويضع الجزية» رواه الشيخان.

قال تعالى: ﴿وإن من أهل الكِتابِ إلا ليؤمنن بِهِ قبل موتِهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وإنه لعِلم للساعةِ فلا تمترن بِها﴾[2] وقُرئ في الشواذ ﴿لعلَم﴾ بفتح العين واللام بمعنى العلامة[3].

ومن عظيم سيرته أنه يدق الصليب ويقتل الخنـزير والقردة ويضع الجزية فـلا يقبل إلا الإسلام، ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله ويترك الصـدقة -أي: الزكـاة- لعدم من يقبلها، وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال للعلـم بقـرب الساعة، ويرفع الشحنا والتباغض لفقد أسبابها غالباً، وينـزع سم كل ذي سم، ويرعى الذئب والشاة، ويملأ الأرض سلماً وينعدم القتال، وتنبت الأرض بنبتـها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشـبعهم وكـذا الرمانـة،

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٥.

(٢) الزخرف: ٦١.

(٣) «الإشاعة» ص ٢٩٦.

وترخص الخيل ويغلو الثور لأن الأرض تحرث كلها، ويكون مقرراً للشريعة النبوية لا رسولا لهذا الأمة [1].

وفي تحديد مدة إقامته في الأرض وردت أقوال، منها: ما ورد في حديث الطبراني وابن عساكر عن أبـي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ينـزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سـنة إمامـاً» والمعتقد أن الحكم والخلافة تكون في هذه المرحلة للإمام المهدي عليه السلام حتى يموت، ولم تحدد كتب الحديث فترة موته إلا أن المشار اليه أن أحدا من آل بـيته يتولى الخلافة من بعده، قال الإمام البرزنجي في «الإشـاعة» ص٣٣٣: إن المهـدي الكبـير هو الذي يفتح الروم ويخرج الدجال في زمنه ويصلي عيسى عليه السلام خلفه وإن الخلافة تكون له ولقريش من بعده، وأن عيسى عليه السلام لا يسـلب قريشا ملكا رأسا، وإنما تكون إليه المشورة وهو الحكم فيهم يعلمهم الدين، ثم يلي بعد المهدي رجل من أهل بـيته في سيرته. اهـ.

وفي لفظ للطبراني «يخرج الدجال فينـزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً» [2].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق ص٣٠٣.

مراحل التحولات بيأجوج ومأجوج

وقبــل مــوتِ الســيدِ المســيح يــأتي امتــداد الفتنــةِ القبــيح

ظهور يــأجوج ومــأجوج علــى كل بــلادٍ كالســباعِ في الخَــلا

تشير الأبـيات إلى ما يحصل من التحول في آخر عهد عيسى عليه السلام ومـا يبتلي الله به أهل الإيمان من خروج يأجوج ومأجوج، قال في «الإشاعة»: «وهـي من الفتن العظام، وقد أشير إليهم في غير آية، قال تعالى: قَالُوا يا ذَا القَـرنينِ إِن يأجوج ومأجوج مفْسِدونَ فِي الأَرضِ ، وقال تعالى: حتى إِذَا فُتِحت يـأجوج ومأجوج وهم من كُل حدبٍ ينسِلُونَ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، ونـزول عيسى بـن مريم، وثلاث خسوفات، ونار تخرج من قعر عدن أبـين... الحديث» رواه ابـن ماجه عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

واختلف في أصل نسبتهم:

فقيل: هم من بني يافث بن نوح.

وقيل: هم من الترك.

وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الديلم.

وأخرج أحمد والطبراني عن خالد بن عبدالله بن حِرملة: «إنكم تقولون لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج، عـراض الوجـوه

صغار العيون صهب الشعور، من كل حدبٍ ينسلون، كـأن وجـوههم ا ـان المطرقة» [1].

وأخرج الترمذي وحسنه ابن حبان والحاكم وصححه عن أبـي هريرة رضـي الله عنه ورفعه: «في السد يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونـه قـال الـذي عليهم: ارجعوا فتخرقونه غداً، فيعيده الله كأشد ما كان، حتى إذا بلغ مد م وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم: "ارجعوا فستخرقونه غداً إن شـاء الله تعالى" واستثنى، قال: فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه، فيخرجـون علـى الناس» اهـ «الإشاعة» ص ٣٢٠[2].

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٨.

(٢) ورد في «الإشاعة» حديث يتعلق بوصول الرسالة المحمدية إليهم، وهو ما رواه أبو نعيم بن حماد في «الفتن» عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً قال: «بعثني الله حين أسري بـي إلى يأجوج ومأجوج فدعو م إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يجيبوني، فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس» ص٣٢١.

عيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج

يرمونَ بالنشـابِ أرضـاً وسمـا حتى يرونَ المطَـر الهـامي دِمـا
ويشـربونَ كُـل مـاءٍ بـائن يقتلُـونَ كـل حـي كـائن
ويرسِـلُ اللهُ علـيهم مرضـا يبـيدهم حـتى يكونـوا عَرضـا
ويبعـثُ اللهُ طيـوراً كاسـرهْ تحملُهـم إلى البحـار الهـادرهْ
وتغسلُ الأرض بأمطـار السـما من زهمِ الأمـواتِ حـتى تنعمـا

أخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وهلاكه على يـد عيسى عليه السلام قال: «ثم يأتيه - أي عيسى عليه السلام - قوم قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبـينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: أن قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتـالهم، فـاحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس، فينشـفون الماء ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيـه حـتى يتركوه يبساً، ويمرون ببحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويحصر عيسى نبـي الله أصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الحمار لأحدهم خيراً من مئة دينار» إشـارة إلى الحاجة إلى الطعام.

وفي رواية لمسلم وغيره: «فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل مـن في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردها الله عليهم مخضوبة دماً، فيرغب نبـي الله عيسى وأصحابه فيرسل عليهم النغف في رقابهم»، وفي رواية: «دوداً كـالنغف في أعناقهم[1]، فيصبحون موتى كموت نفس واحد لا يسمع لهم حس، فيقـول

(١) النغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

المسلمون: ألا رجل يشتري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو، فيتجرد رجل منهم محتسباً نفسه قد وطنها على أنه مقتول، فينـزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين.. ألا أبشروا.. إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه- أي تسمن – بأحسن ما شكرت عن شيء، وحتى إن دواب الأرض لتسمن، ويهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأ زهمهم –أي: نتنهم من الجيف- فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيستغيثون بالله، فيبعث ريحاً صمانية غبراء فتصير على الناس غماً ودخاناً وتقع عليهم الزكمة، ويكشف الله ما بهم بعد ثلاث، وقد قذفت جيفهم في البحر».

وفي رواية: «فيرغب نبي الله عليسى عليه السلام وأصحابه إلى الله فيرسل طيراً كأعناق البخت تحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة – المرآة – ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين» (١).

ولم يزل عيسى وكُل مؤمن … يدعونَ مولاهم دعاءَ المُوقن

ويشكُرونَ الحق فيما قد صنع … ومما أزاح عنهم من بلاءٍ ورفَع

وينـزلُ الروحاءَ عِيسى معتمر … وقيل: حاجاً بعد إهلالٍ وبر

ويدخلُ المدينةَ المنورةْ … مسلماً على النبي وزائره

---

(٢) «الإشاعة» ص ٣٢٤.

وفي مقـــامِ الروضـــةِ البهيـــةْ   يركَــع عيســى ركْعــةَ التحيــةْ
وبعـــد عمـــرٍ وزواجٍ وولـــد   وصــولةٍ تظهــر في كُــل بلــد
يسلم عيســى روحــه الشــريفةْ   وقبــره في الحجـــرةِ المنيفـــةْ

تشير الأبيات إلى حال عيسى عليه السلام بعد هلاك يأجوج ومأجوج، ومكثه في الشام، ثم توجهه إلى مكة والمدينة، وأدائه فريضة الحج، وكذلك زيارة قبر المصطفى ρ، يؤيد ذلك ما أخرجه الحاكم وصححه ورواه ابن عساكر عنه: «ليهبطن ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً، وليأتين قبري حتى يسلم علي، ولأردنّ عليه» [1].

وكان أبو هريرة يقول: أي بني أخي، إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام [2]. وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه، قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرئه مني السلام» [3].

---

(١) يلاحظ في هذا اللفظ للحديث شد عيسى للرحل لزيارة القبر، وليس كما يدعيه أهل النقض في تبديع من ذهب لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن عيسى عليه السلام يقبل بوجود قبره بجانب أبي بكر وعمر، مع أن طائفة من الشيعة يمتنعون من زيارة المواجهة لأن قبري أبي بكر وعمر بجانب رسول الله ρ، وإذا كان دفنهما خطأ فبالبديهة أن يقوم عيسى عليه السلام بنبش القبرين أو منع الزيارة كما يعتقده هولاء الغلاة ؛ ولكن الحقيقة غير هذا.

(٢) «الإشاعة» ص٣٠٤.

(٣) المصدر السابق ص٣٠٥، وأقول: اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي هريرة فمن أدرك الإمام المهدي وعيسى عليه السلام فليقرئهما مني السلام، وليطلب الدعاء والاستغفار.

وورد أن عيسى يتزوج بعد نـزوله ويولد له ثم يموت بالمدينة ولعل موته عنـد حجه وزيارته النبـي صلى الله عليه وآله وسلم [1].

وأخرج الترمذي وحسنه وابن عساكر عن عبدالله بن سلام قال: مكتـوب في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعيسى يدفن معه [2].

وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني وابن عساكر، قال: «يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبـيه فيكون قبراً رابعاً» [3].

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

تحولات ما بعد عيسى عليه السلام

ويظهر المُقْعَد من تميم — أو من قُريش قيل بالتعميم
وهيثم ومِثْلُه الجهجاه — لهم مجالٌ واسع وجاه
وبعد هذا يظهر القحطاني — يجدد الإسلام في البلدان
يسوق كل الخلق سوقاً بعصاه — ويفتح الروم بآلاف الغزاةْ

تشير الأبيات إلى مظاهر التحولات الجارية بعد عيسى عليه السلام، وقد ورد في السير أن الخلافة على عهد عيسى عليه السلام تكون للمهدي ثم من يخلفه ولقريش من بعده، وأن عيسى عليه السلام لا يسلب قريشاً ملكها رأساً، وإنما تكون إليه المشورة، وهو الحكم فيهم، يعلمهم الدين.

ثم يلي بعد المهدي رجل من أهل بيته في سيرته ويكون القحطاني مع المهدي في زمانه، ويكون أميراً على السرية التي يرسلها المهدي إلى فتح مدينة الروم، فيفتحها في حال تابعيته للمهدي لا في حال خلافته، ثم يموت عيسى عليه السلام كما تقدم ويتولى بعد عيسى رجل من قريش يسمى «**المقعد**»، فإذا مات تولى من قريش من لا يحسن سيرته، فيخرج عليه المخزومي، ولعله الجهجاه، ويدعو إلى الفرقة، فيخرج عليه القحطاني بسيرة المهدي، وهو الملقب المنصور، ويمكث إحدى وعشرين سنة، ثم تنتقص الدنيا ويملك الموالي ويغلب الشر إلى أن تطلع الشمس من مغربها والله أعلم [1].

واختلفت الروايات في عرض هذا المتسلسل المذكور ومنها:

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣٣.

ينـزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويمكث أربعين عاماً يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنتي ويموت، فيستخلفون بأمر عيسى رجلاً من بني تميم يقال له «المعقد»، فإذا مات المقعد لم يأتِ على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور بعضهم ويبدو النقض فيهم.

وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى، قال: بلغني أن المهدي يملك أربع عشرة سنة ببيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع، يقال له: المنصور، -أي هو القحطاني- يمكث ببيت المقدس إحدى وعشرين سنة، ثم يقتل، ثم يملك رجل من الموالي ويمكث ثلاثة سنين ثم يقتل، ثم يملك بعده «هيثم» المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له: «الجهجهاه»، وأخرج الشيخان عنه: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه».

ويبدو من استقراء الأحاديث المتعارضة أن القحطاني يعيش في زمن المهدي، كما ذكر ذلك الإمام البرزنجي في «الإشاعة» ص ٣٣٣ " قال: يكون -أي القحطاني- أميرا على السرية التي يرسلها المهدي إلى فتح مدينة الروم، فيفتحها حال تابعيته لا في حال خلافته ومسؤوليته ثم يموت عيسى عليه السلام ويتولى باستخلافه (المقعد) وهو من قريش، فإذا مات تولى من قريش من لا يحسن سيرته، فيخرج عليه القحطاني بسيرة المهدي، وهو الملقب بالمنصور، وهو المراد بـ «رجل من تبع»، وبـ «رجل من اليمن» في الأحاديث.

وبعده تأتي شمول الفتن ويقلب العالم ظهر المجن

---

(١) هكذا في «الإشاعة»، ورد اسم (هيثم) ص٣٣٠-٣٣١.

وتهـدم الكعبـةُ مِـن أساسِـها بحبشِـي أفْحـجٍ يطمِسـها
وتخرج الكنوز مِن تحـتِ البِنـا ويمنـع الحُجـاج منهـا معلنـا

تشير الأبيات إلى مظهر من مظاهر التحولات بعد عيسى والمهـدي عليهمـا السلام، وهو غزو الكعبة وهدمها، فقد أورد الشيخان والنسائي عن أبـي هريرة رضي الله عنه، قال: «يخرب الكعبة ذوالسويقتين من الحبشة»، وأخرج أحمد عـن ابن عمر نحوه زاد «ويسلبها حليتها ويجردها كسوتها، ولكأني أنظر إليه: أُقَيـدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله».

وأخرج الأزرقي عنه قال: «يجيش البحر بمن فيه من السودان، ثم يسيلون سـيل النمل، حتى ينتهوا إلى الكعبة فيخربونها، والذي نفسي بـيده إني لأنظر إلى صفته في كتاب الله تعالى أفيجع[1] أصلع[2] أفيدع[3]» «الإشاعة» ص ٣٣٢.

وفي الصحيحين: «كأني به أسود أفحج يهدمها حجراً حجراً» المصدر السـابق ص٣٣٤.

ويرفَع القـرآنُ مِـن مصـاحِفِه والناس تأبى الأخذَ مِـن معارِفِـه

تحقيقاً لما ورد في الحديث عن ابن عمر عن النبـي صلى الله عليه وآله وسـلم: «لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن»، وروى الأزرقي في «تـاريخ مكـة»: «أول ما يرفع الركن والقرآن ورؤيا النبـي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام»[4].

وروى الديلمي عن حذيفة وأبـي هريرة رضي الله عنهما معاً قـالا: «يسـرى على كتاب الله ليلاً فيصبح الناس وليس منـه آيـة ولا حـرف في جـوفٍ إلا

---

(١) أفيجع تصغير أفجع، أي في رجليه إعوجاج.
(٢) أصيلع تصغير أصلع، وهو من ذهب مقدمة شعر رأسه.
(٣) أفيدع تصغير أفدع، أي: في يديه اعوجاج.
(٤) «الإشاعة» ص٣٧٠.

نسخت». وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما «لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء فيكون له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب عز وجل مالك؟ فيقول: منك خرجت وإليك عدت أُتلى فلا يعمل بـي، فعند ذلك رفـع القرآن» [1].

(١) «الإشاعة» ص٣٧٠.

ظهورُ الدابّةِ وطلوعُ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها

وبعدها الدابةُ تأتي كالقَدر من الصفا بمكةٍ تقفُو البشر
فتسم الكافر في الجبين ومثله المسلم بالتعيين
واختلف النقْلُ عن البيان عن سابق الآياتِ في الزمان
فقيل: إنّ الشمس تأتي أولا تلحقُها الدابةُ سيراً عجِلا

تشير الأبيات إلى إحدى علامات التحول في آخر الزمان وهو ظهور الدابة، ويشير إلى الإشكال الوارد عند أهل العلم في شأن تقدم الدابة على طلوع الشمس، ففي بعض الروايات أن الشمس تطلع من مغربها أولاً ثم تلحق الدابة، وقد رجحنا هنا تبعاً لما هو وارد في بعض الروايات سبق الدابة على طلوع الشمس كما سيأتي.

أخرج نعيم ابن حماد في «الفتن» والحاكم في «المستدرك» عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لا يلبثون الناس بعد مأجوج ويأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها، وجفت الأقلام وطويت الصحف... إلخ الحديث» [1].

قال الشارح: وهذا يدل على تأخر الدابة عن الشمس، ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥٦.

وأما خروج الدابة فقد قال تعالى: ﴿ وإذَا وقَع القَولُ عليهم أخرجنا لهُم دابةً من الأرضِ تكَلمهم أن الناس كانوا بِآياتِنا لا يوقِنونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

قال أهل التفسير في معنى الآية: إذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وقرئ «تكْلُمهم» بفتح التاء وسكون الكاف، أي: تجرحهم.

وسأل أبو الحواري ابن عباس رضي الله عنهما: تكلمهم أو تكلم ؟ فقال: كِـلا ذلك تفعل، تكلم المؤمن وتكلم الكافر.

وجزم البـيضاوي أ ا الجساسة، وورد أ ا تسم الناس المؤمن والكـافر، فأمـا المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بـين عينيه مؤمن، وأما الكـافر فيكتب بـين عينيه نكتة سوداء (كافر) «الإشاعة» ص٣٦٠.

وفي رواية: «فتلقى المؤمن لتسمه في وجهه ولكنه يبـيض له وجهـه، وتسـم الكافر ولكنه يسود وجهه»، وفي رواية: «فارفض – أي تفرق – الناس عنها شتى ومعاً، وتثبتت عصابة المؤمنين وعرفوا أ م لن يعجزوا الله، فبدأت ـم وجلـت وجوههم حتى جعلتها كأ ا الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها في صلاته فتأتيه مـن خلفـه، فتقول: يا فلان الآن تصلي، فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق» [1].

قيل: تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا [2] معها عصـى موسـى وخـاتم سليمان بن داود تنادي بأعلى صو ا: ﴿ إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنـون ﴾ [3]، وفي رواية: «لا يبقى مؤمن إلا نكتت في مسجده -أي موضع سـجوده- بعصـا موسى نكتة بـيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبـيض لها وجهه، ولا يبقى كـافر

(١) المصدر السابق ص٣٦١.

(٢) المصدر السابق ص٣٥٧.

(٣) المصدر السابق ص٣٦٠.

إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكتة حتى يسود لهـا وجهه، حتى إن الناس ليتبايعون في الأسواق: بكم ذا يا مؤمن، وبكم ذا يا كافر»، وفي رواية: «تأتي الرجل وهو يصلي في المسجد، فتقول: ما الصلاة من حاجتك ؟ ما هذا إلا تعوذ ورياء، فتخطمه وتكتب بـين عينيه كذاب» [1].

وأما خروجها فقد ورد أن لها ثلاث خرجات في الدهر:

تخرج خرجة في أقصى البادية، وفي رواية: من أقصى اليمن، ولا يدخل ذكرهـا القرية (أي مكة) ثم تمكث زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك، فيعلموا ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية (أي: مكة) [2].

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثم بـينما الناس في أعظم المسـاجد علـى الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم ترعهم إلاّ وهي ترغو بـين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عن شتى» اهـ «الإشاعة» ص٣٦٢.

وعن أبـي هريرة وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم «أ ا تخرج بأجياد».

قال في «الإشاعة» ص٣٦٣: ووجه الجمع بـين الروايـات[3] أن لهـا ثـلاث خرجات، ففي بعض الروايات تخرج من مدينة قوم لوط ويصدق عليها أ ا مـن

---

(١) المصدر السابق ص٣٦٢.

(٢) وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أ ا تخرج في بعض أودية تهامـة، أي: وهـذا في بعض خرجا ا. اهـ «الإشاعة» ص٣٦٢.

(٣) اخترنا من الأوجه المذكورة في الكتاب ما أثبتناه هنا، ويمكن مراجعة الوجـه الثـاني في الأصل من «الإشاعة» ص ٢٦٣، وذكر صاحب «درجات مرقـى الصـعود» ص١٨٤ ترتيب الآيات هكذا فقال: ذكر القرطبـي عن بعض العلماء ترتيبـها هكـذا، أولهـا الخسوفات، فالدجال، فنـزول عيسى عليه السلام، فخروج يأجوج ومأجوج، فـريح تقبض أرواح المؤمنين، فتقبض روح عيسى عليه السلام مع من معه، فتهدم الكعبة، ورفع

أقصى البادية، وفي بعضها تخرج من أودية امة ويصدق عليها القـول مـن وراء مكة، ومن اليمن لأن الحجاز يمانية، ومن ثم قيل: الكعبة يمانية، وفي المرة الأخـيرة تخرج من مكة.

وتغلق الأبـواب أبـواب الرجـا — في **توبـةٍ تبلـغُ المـرءَ النجـا**

ويسـجد الشـيطانُ للهِ وقـد — **حق العذاب وانتهى طولُ الأمـد**

فتقْتـلُ الدابـةُ إبلـيس اللعـين — **وينتـهي وسواسـه** في **العـالمين**

وقيـل: يبقَـى يمـوت غـيره — **مِن جِنسِهِ حـ**تى **يجِـي مصِـيره**

وعنـدها تـأتي **ريـاح طيبـةْ** — **تقْبِض روح الصالحين المُسـغبةْ**[1]

القرآن، واستيلاء الكفر على الخلق، فتطلع الشمس من مغر ا، فتخرج الدابـة، وذكـر البـيهقي عن الحاكم مثله، إلا أنه جعل خروج الدابة قبل طلوع الشمس. اهـ، قـال الشارح: ينبغي خروج الدابة قبل الريح القابضة، كما لا يخفى أ ا هي التي تسم المـؤمن والكافر، فإذا لم يبق مؤمن لأجل الريح فمن تسمه.

(١) هذا يفسر معنى الحديث: «يبعث الله ريحاً طيبة فيتوفى ا كل مؤمن في قلبه مثقال حبة من إيمان، فيبقى من الخير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم»، قال الشارح ص٣٦٥: وأخرج أحمد ومسلم عن أبـي عمرو رضي الله عنهما قال: ثم يرسل الله -يعني بعد موت عيسـى- ريحاً باردة من قبل الشام فلا يقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمـا إلاّ قبضته -إلى أن قال- فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحيون ؟ فيقولون: مـا تأمرنـا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدو ا، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم حتى يـنفخ في الصور. اهـ «الإشاعة» ص٣٦٥.

قال الشارح: وهذا ينافي ما قيل من قتل الدابة لإبليس، ويمكن أن يقال على بعد: إن هذا الشيطان ليس إبليس، (يقصد الشارح أنه شيطان آخر قتلته الدابة، ويبقى إبليس حياً بدليل هذا الحديث حتى النفخ في الصور). اهـ.

تشير الأبـيات إلى آخر مراحل التحولات في حياة الأرض وهي طلوع الشمس من مغربها، إذا كنا أخرنا ذكرها عن الدابة، وفيـه إشـكال بسـبب اخـتلاف الروايات، قال الحافظ ابن حجر: وطريق الجمع بـين الروايات: أن الدجال أول الآيات العظام المؤذِنة بتغير الأحوال العامة في الأرض، أي: فلا ينافي تقدم المهدي عليه، قال: وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام ومن بعده القحطاني وغيره، وأن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات المؤذنة بتغيير أحوال العـالم العلـوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، أي والدابة معها، فهي والشمس كشيء واحـد، وأن النار أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة [1].

قال في «الإشاعة» ص٣٤٠: ومن الأشراط العظام طلوع الشمس مـن مغربهـا وخروج الدابة، وهذان أيهما سبق الآخر فالآخر على إثره، فإن طلعت الشـمس قبل خرجت الدابة ضحى يومها أو قريباً من ذلك، وإن خرجت الدابة قبل طلعت الشمس من الغد.

وأخرج ابن أبـي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه والبـيهقي، كلهم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنـهما، قـال: «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أول الآيات خروجاً طلـوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها فـالأخرى على إثرها» قال أبوعبدالله الحاكم: والذي يظهر أن طلوع الشمس من مغربها قبل خروج الدابة، قال الحافظ ابن حجر معتمداً ما قاله الحاكم: ولعل الحكمة في ذلك

قلت: وعلى هذا فالريح التي تقبض أرواح المؤمنين على وجهين: فإن كان إبليس قد قتله الدابة فالريح الباردة التي تقبض أرواح المؤمنين قد حصلت قبل ذلك، وإن صح أن إبليس لم تقتله الدابة فيمكن أن تكون الريح الباردة فيما بعد قبل نفخ الصور.

(١) انتهى وهذا أجمع وأحسن، انظر «الإشاعة» ص٣٥٠.

أن بطلوع الشمس من مغربها ينسد باب التوبة فتجيء الدابة فتميز بين المؤمن والكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة [1].

قال تعالى: يوم يأتي بعض آياتِ ربك لاَ ينفَعُ نفْساً إيمانها لمْ تكُن آمنت مِن قَبلُ أو كَسبت فِي إيمانِها خيرا أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنه طلوع الشمس من مغربها.

وفي قوله: وجمِعَ الشمس والقمر قال: طلوع الشمس من مغربها مقترنين كالبعيرين القرينين. اهـ «الإشاعة» ص٣٤١ باختصار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها، ثم قرأ الآية. «الإشاعة» ص٣٤٢.

وعن ابن عباس، قال: «آية تلكم الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال» وفي رواية البيهقي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما بلفظ: «قدر ليلتين أو ثلاث»، فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا، ثم يرقدون ثم يقومون، ثم يقضون صلاتهم من الليل كأنه لم ينقض فيضطجعون، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهم الليل، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، ففزع الناس وهاج بعضهم في بعض، فيفزعون إلى المساجد فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق إذا هي طلعت عليهم من مغربها، فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت فطلت من مطلعها [2].

---

(١) المصدر السابق ص٣٤١.

(٢) المصدر السابق ص٣٤٢.

وروى أبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه، قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صبـيحة تطلع الشمس من مغر ا يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، وتطوى الدواوين وتجف الأقلام، لا يزاد في حسنة ولا ينقص مـن سيئة، ولا ينفع نفساً إيما ا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيما ا خير» (1).

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قـال: «إذا طلعت الشمس من مغر ا خر إبليس ساجداً ينادي ويجهر: إلهي مرني أسجد لمن شئت، فتجتمع إليه زبانيته، فيقولون: يا سيدنا ما هذا التضرع ؟ فيقول: إنمـا سألت ربـي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم». وفي رواية نعيم بن حماد والحاكم: «ولا يزال إبليس ساجداً باكياً حتى تخرج الدابة فتقتلـه وهـو ساجد»، ولا يموت إبليس إلا وقد فرغ من العمل وينقطع دوره في الحياة.

(1) المصدر السابق.

مكث الناس بعد الدابة وطلوع الشمس من مغربها

واختلف الرواةُ في طـول المـدى **من بعدِ عيسى كم وكم يبقى الهدى**
فقيـل تطْـوى كلـها في أشـهر **تتلُو تِباعـاً مثـل محـو الأثـر**
وقيل يبقى النـاس قرنـاً كـاملا **وسـنواتٍ بعـده فلاتئـلا**

تشير الأبيات إلى ما يحل بالعالم بعد أن تجري آخر التحولات الكبرى، وكم يبقى الناس حتى النفخ في الصور، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومئة سنة» (١).

وروى عبد بن حميد عنه أيضاً، قال: يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومئة سنة. وعن ابن المنذر، قال: «الآيات كلها في ثمانية أشهر».

قال في فتح الباري: وطريق الجمع بين الروايات أن المدة تمر مراً سريعاً كمقدار عشرين ومئة شهر كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: «لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر... الحديث» وفيه اليوم كالساعة والساعة كاحتراق السعفة.

وعلى هذا فيكون تقارب الأزمان وتقاصر الأيام مرتين، مرة في زمن الدجال، ثم ترجع بركة الأرض وطول الأيام إلى حالها الأولى، ثم تتناقص بعد موت عيسى

---

(١) المصدر السابق ص٣٤٦.

عليه السلام إلى أن تصير في آخر الدنيا إلى ما ذكر [١].

وبعد الدابة وطلوع الشمس من مغربها: «يبقى شرار الناس يتهارجون – أي يتسافدون – تهارج الحُمر، فعليهم تقوم الساعة» وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «إن المؤمنين يتمتعون بعد الدابة أربعين سنة، ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم»، قال: «فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكونون كلهم أولاد الزنا شرار الناس، عليهم تقوم الساعة[٢].

وتخرب المدينةُ المباركةُ وما حولها غير العوادي الفاتكةْ حتى ينام ثعلب الصحراء بمنبر المدينة الغراء

قال في «الإشاعة» ص٣٢٧: ومن الأشراط القريبة خراب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة، وخروج أهلها منها، أخرج أبو داود عن معاذ رضي الله عنه مرفوعاً: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال» [٣].

وروى الطبراني: «سيبلغ البناء سلعاً، ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مدة عامرة من طول الزمان وعفر الأثر»، وروى أيضاً رجال ثقات: «المدينة يتركها أهلها وهي مرطبة»، قالوا: فمن يأكلها ؟ قال: «السباع والعوافي» [٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص٣٦٦.

(٣) المصدر السابق ص٣٦٧.

(٤) المصدر السابق ص٣٦٦.

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «لا تقوم الساعة حتى يجيء الثعلب فيربض على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا ينهضه أحد» ص٣٢٧ «الإشاعة».

قال: وسبب خرابها والله أعلم أنهم يخرجون مع المهدي إلى الجهاد، ثم ترجف بمنافقيها وترميهم إلى الدجال، ثم يبقى فيها المؤمنون الخلص فيهاجرون إلى بيت المقدس، فقد ورد «ستكون هجرة بعد هجرة، وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر إبراهيم». «الإشاعة» ص٣٢٨.

وتخرج النار لحَشر الأمم ... مِن عدنٍ تسوقُهم بالحِمم
وقيل: تأتي من نواحي حضرموت ... من بئر برهوتٍ لها برق وصوت

قال في «الإشاعة» ص٣٧١: ومن الأشراط العظام -وهي آخرها- نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم.

وأخرج أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه: «أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب».

قلت: ولعل قوله: «أول أشراط الساعة» أي: أول ما تبدأ به ظاهرة القيامة.

وأخرج الستة غير البخاري عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنهما مرفوعاً: «لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات»... الحديث، وفيه: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»، ويروى «نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر»، وفي لفظ «من قعر عدن أبين».

وأخرج أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: «ستخرج نار من حضرموت أو بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس»، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام، وهذا هو المراد بمهاجر إبراهيم عليه السلام».

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضـي الله عنـه، قـال: «لتقصدنكم نار هي اليوم فيها عذاب أليم، تأكل الأنفس والأموال، وتدور علـى الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير طير الريح والسحاب، حرها بالليل أشد من حرها بالنهار، ولها بئر بـين السماء والأرض، ودوي كدوي الرعد القاصف، وهي من رؤوس الخلائق أدنى من العرش»، قيل: يا رسول الله ! أسليمةٌ يومئذ على المؤمنين والمؤمنات ؟ قال: «وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ ؟ هم شر من الحُمر، يتسافدون كما يتسافد البهائم وليس فيهم رجلٌ يقول: مه.. مه..» (١).

وفي الموضوع أحاديث كثيرة واختلافات مثيرة يمكن تتبعها للراغب في أشـراط الساعة ومنها كتاب «الإشاعة»، ففيه غنية وكفاية للمستفيد.

وآخـر الحشـر يسـير راعيـانْ حتى **إذا مـا بلغـا خـير مكـانْ**
ثَنيـةَ الـوداعِ في **المدينـةْ** **خـرا لـنفْخ بـدد السـكينةْ**
إذ صوت إسرافيلَ في **الصور نفَـخ** **وكل شيءٍ للفنـاءِ قـد رضـخ**
وجـاء أمـر اللهِ بـاليقينِ **يفْنى** جميـع **الكـون والتكـوين**
ولـيس يبقـى غـير وجـهِ اللهِ **سـبحانه الآمِـر بـل والنـاهي**

تشير الأبـيات إلى اية الحياة البشرية في هذا الكون، كما ورد في الصحيحين عن أبـي هريرة τ: «إن آخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينـة ينعقـان بغنمهما فيجدا ا وحوشا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما»، وثنيـة الوداع قرب المدينة إلى جهة الشام على الأصح (٢).

---

(١) المصدر السابق ص٣٧٣.

(٢) علق المحقق على تحديد الشارح للثنية بأ ا إلى جهة الشام وقال: للمدينة أكثر من ثنيـة،

وفي رواية ابن أبـي شيبة عنه: «رجلان رجل من جهينة وآخر مـن مزينـة، فيقولان: أين الناس ؟ فيأتيان المدينة فلا يجدان إلا الثعلب، فينـزل إليهما ملكـان فيسحبا ما على وجوهما حتى يلحقا ما بالناس»، قال الشارح: وهذا الحشر لهمـا من نفخ الصور، فإن بعد النار المذكورة ينفخ في الصور وتقوم الساعة.

وروى الشيخان عن أبـي هريرة τ مرفوعا: «لتقومن السـاعة وقـد نشـر الرجلان ثو ما يتبايعان فلا يطويانه، ولتقومن الساعة وهو يلـيط حوضـه (أي: يلطخه بالطين) فلا يسقي فيه إبله ودوابه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» ، وفي رواية: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمع أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا -الليت صفحة العنق- وأول من يسمعه رجل يلوط حـوض إبلـه فيصـعق ويصعق الناس» «الإشاعة» [1].

فتحديد ثنية الوداع بالشامية بناء على الشهرة، والموقع قبالة مزينة من قبل المضف، أمـا الحكم بأن لا ثنية إلا الثنية الشامية فهذا محل نظر. اهـ ص ٣٨٣.

قلت: وقد كانت ثنية الوداع خارج المدينة كما في كلام صاحب «الإشاعة»، وأما الآن فقد دخلت ثنية الوداع داخل المدينة مع التوسع العمراني الحالي.

(١) المصدر السابق ص ٣٨٤.

لماذا يجب أن نتعلم فقه التحولات؟

يقولُ بعض الناس أي فائدةْ من الكلامِ في الشؤون الواعدةْ
فليس فيها غير إقلاق الورى وفتح بابٍ من صراعٍ ومِرا
والحق أن يكْتب في علمِ السلوك وفي العباداتِ التي تنفِي الشكوك
وفي بناء الجيل جيل المرحلةْ حتى يسير في الطريق الموصلةْ
قلنا وهذا ما أردناه هنا وما رجونا أنْ يشاع بيننا
فما يقال لم يكن بديلا عن السلوكِ أو يكن تحويلا
عن سنةِ الآباءِ والأجدادِ أو صرفِ معنى العلمِ في الأولادِ
وإنما نحيِي موات السنةِ في شأن ما يقالُ حول الفتنةِ
ونقْتدِي بالمصطفى في خبره عن آخر العصر وكشفِ مظهره
لأنّ عين الفتنةِ المُدمرةْ بين يدِي الدجال تأتي منكرةْ
ويخدِم البعض انحراف المَعرفَةْ لِجهلهم بالفتنةِ المُغلقَةْ
وخص جيلاً في الزمان قد خدِع ينظُر للإسلامِ من حيثُ سمِع
لا يعلم التاريخ والتحولا وليس يدري ما يدور في المَلا
يرى الليالي كُلها من واقِعه وما يكون من رضا قَواقِعه
والعلم بالتغيير والتحول يعالِج الجهلَ لِكُل مشكِل
ويفْهم الإنسانُ مدلولَ القضا ويرتقِي مفهومه حتى الرضا
إِذْ قال باب العلم ما ازددت نبا لو كُشِف الأمر فإيماني ربا

لأنـه قـد علِـم التحـولا　　ومـا يكـونُ آخِـراً وأولا

يشير الناظم في هذه الأبـيات إلى ضرورة تعلم فقه التحـولات، وخاصـة في مرحلتنا المعاصرة، لأنها جزء من السنة الشريفة: «من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد»، وهناك العشرات بل المئات من عمال الخدمات وطلاب المدارس والجامعات يخدمون الانحراف، ويتعاونون في سبـيل إظهاره وإشـهاره وهـم لا يعلمون.

ففي علم فقه التحولات معالجة للجهل بركن من أركان الدين أهمله الناس، وهو (فقه علامات الساعة) كما سيأتي.

فالعلم بالأشـراطِ ركْـن رابـع　　في الـدين حتمـاً أيهـا المنـازع

وقد رأينـا بعـض أهـل العلـم　　لجَهلِـهِ يخـدِم كُـل قَـدمِ

وإن يكن مِـن زمـرةِ الشـيطان　　أو خـادمِ الكفـار في الأوطـان

فنسـألُ الله لنـا السـلامةْ　　من كل ما قد شـذ مِـن علامـةْ

في عصـرنا المحفـوفِ بالأخطـار　　وسـطوةِ الكُفّـار والفجـار

والحمـد للهِ علـى مـر القضـا　　وحلْـوِهِ فيمـا أراد وقَضـى

أسـأله الختـام بالحسـنى متى　　ما ملَك المـوتِ إلينـا قـد أتـى

نمـوت في خـيرٍ ولطـفٍ وهنـا　　مستمسكين بالعرى فهـي المُـنى

شـهادةُ الإسـلامِ والإيمـان　　كذا الترقـي في ذُرى الإحسـان

بعض فقهاء علم التحولات

من فقهاء العلم بالتحول بعد الرسول باب علم الرسل

إمامنا الحبر علي شأنه في العلم عال ما له مثاله

روي عن الإمام علي كرم الله وجهه وτ قوله في خطبة له: «أيها الناس إني قد فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها غيري، فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأتكم».

والإمام غني عن التعريف وخاصة في شأن العلم بالتحولات، فقد كان τ مطلعا على علوم الشرع ظاهرا وباطنا، وهو الذي يقول: لو كشف الغطا ما ازددت يقينا، وكان ρ يلمح في أكثر من موقف إلى قدراته العلمية والروحية الفذة وصدق عزيمته ومضاء وعيه وإمكاناته القادرة على إصلاح حال الأمة وحملها على الاستقامة على هذا الدين القويم، فانظر إليه في خيبر وهو أرمد، وكيف نبه النبي ρ جميع الصحابة إلى مكانته وقدراته الإيمانية وخاصة أمام اليهود ألد أعداء الأمة في التاريخ.

وفي هذا الشأن ملامح عظيمة من فقه التحول لمن ألقى السمع وهو شهيد، وكذلك في قصة الأعرابي الذي وصف بالعبادة والخير بين يدي رسول الله ρ فأنكر النبي معرفته وفي الثالثة جاء الرجل بنفسه فقال رسول الله: «ذكرتمُ لي رجلاً في وجهه سفعةُ الشيطان»، ودخل الرجل المسجد فقال ρ: «من يقتل الرجل ؟» فذهب أبوبكر ثم عمر ثم قام علي τ فقال: «أنت صاحبه إن أدركته»؛ ولكنه لم يدركه فقال ρ: «لو قُتل هذا ماختلف اثنان من أمتي»، وكان في هذا الحديث ملمح إلى تأخر موقع الإمام علي كرم الله وجهه وτ في الحكم حتى لم

بعد يقدر أن يدرك قطع الفتنة التي شبت بعد مقتل عمر في عهد عثمان مـع أنـه كما ورد في الحديث «أنت صاحبه لو أدركته».

وفي الأمر كله حكمة إلهية، وقد علم في صحيح الأحاديـث أن الإمـام τ في معركته مع الخوارج كان يطلب البحث عن علامة في أحد المقتـولين، وهـو ذو الثديتين لعلمه أنه من المنافقين، فلما وجده تهلل وجهه وفرح، إذ علم أن معركتـه مع الخوارج كانت عادلة وشرعية.

وكان τ يقول: «ما من ثلاثمئة تخرج إلا ولو شئت سميت سائقها وناعقهـا إلى يوم القيامة» [1].

بل إن الإمام عليا كرم الله وجهه وτ قد تكلم عن انفلاق الذرة كأول معـبر في تاريخ الإنسانية عن أثر هذا العلم، ويعترف الباحث (جـون أونيـل) في كتابـه «القصة الحقيقية للهندسة الذرية» قائلا: إن أحد النقط المتلألأة في القرون الوسطى تأتي من العالم الإسلامي حيث نجد ما سطره قلم أبوالحسن صهر محمد -ويعني به سيدنا علي بن أبـي طالب كرم الله وجهه وτ أبا الحسن والحسـين رضـي الله عنهما- الذي كتب يقول: (إذا فلقت الذرة أي ذَرةٍ تجد في قلبها شمسـاً)، وأن هذا ببصيرته الصافية قد استطاع أن يلمح حقيقة النظام الشمسـي الحـديث في الذرة. اهـ ص ١٤٢ من كتاب «أسرار الهاء في علم الجفر» لمحمد عيسى داود.

كذا ابن عبـاس عظـيم القـدر كـذا أبـوهر سـليل صـخر

وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وإمام التأويل، دعا له النبـي ρ وقال: «اللهم علمه التأويل»، كان أحد فقهاء العلم بعلامات الساعة وروى العديد من الأحاديث عنها، وكان سندا للإمام علي كـرم الله وجهـه وτ في مجادلـة

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١: ٣٤).

الخوارج وحر م، بل وفي كافة المواقف التي وقفها الإمام علي بعد توليته الخلافة، لعلمه بسلامة منطلق الإمام علي بالنص في فقه التحولات، وبعث به الإمام ادلة الخوارج وإعاد م إلى حضيرة الحق، فجادلهم وعاد معه أربعة الآف، وبرغم صغر سنه كان عمر بن الخطاب يقدمه على الأشياخ لوفرة علمه كما هو في قصة إذا جاء نصر الله والفتح ، قال ابن عباس عندما سئل: «هو أجـلُ رسـول الله ρ»، وهذا من فقه التحولات، خلافا لما اعتقده الاخرون في فهم الآية وإن كان فهمهم لأحد معانيها، ولما سئل عن قوله تعالى في سورة الكهف: قل ربـي أعلـم بعد م ما يعلمهم إلا قليل قال ابن عباس: أنا من القليل.

وفي قوله تعالى: الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنـزل الأمر بـينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قـد أحـاط بكـل شـيء علما [1]، قال ابن عباس τ: لو حدثتكم ا لكفرتمُ، وكفركم تكن يلـم ـا»، وفي ذات الآية قال ابن عباس لرجل: ما يؤمنك إن أخبرتك ا تكفـر ؟ وقـال لرجل آخر في نفس الآية: أعلم فيها علما لو بحته لكفرتمُوني. ص٢٦ (المفاجـأة) لمحمد عيسى داوؤد.

وأبوهريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي كان أحد الصـحابة الحـاملين علـم التحولات وفقه علامات الساعة، وله ملامح وملاحظ كثيرة في هذا الشأن كقوله τ: أعطاني خليلي جرابـين من العلم، أما أحدهما فقد بثثته بـينكم وأما الآخـر فلو بثثته لقطع مني هذا الحلقوم [2]، وروي أنه كان يقول: اللهم لا تـبلغني عـام الستين ولا إمارة الصبـيان.

---

(١) الطلاق: آية ١٢.

(٢) وروي الحديث بروايات متعددة، ففي مسند أحمد: " حفظت ثلاثة أجربة بثثت منـها جرابـين، وفي رواية: خمسة أجربة. «فتح الباري» (١: ٢٦١).

وفي رواية: أعوذ بالله من إمارة الصبـيان، قالوا: وما إمارة الصبـيان ؟ قـال: إن أطعتموهم هلكتم في دينكم وإن عصيتموهم أهلكوكم. «فتح البـاري» (١٣: ٦٢).

قال في «فتح الباري»: كان أبوهريرة يعلم أسماء السلاطين والأمـراء وأسمـاء آبائهم، وقد كتم هذا العلم ثم حدث به قبل موته تأثما أن يكون كتم علما.

ومـثلُهم حذَيفَـةُ اليمـاني وكان في الفقـهِ عظـيم الشـان

من أفاضل الصحابة وأكثرهم علما بفقه التحولات وعلامات السـاعة، كـان يسمى أمين سر رسول الله ρ، إذ كان عليه الصلاة والسـلام يخصـه بأخبـار المنافقين ومواقفهم وحتى أسمائهم، وكان يقول عن نفسه فيما رواه مسلم قولـه: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بـيني وبـين الساعة، ما بـي إلا أن يكون رسول الله ρ أسر إلي في ذلك شيئا لم يحدثه غيري، ولكن رسـول الله ρ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن فقال ρ وهو يعـد الفـتن: «منـهن ثلاث لا يذرن شيئا، ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبـار»، قـال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري. شرح مسلم ص١٥، كتاب الفتن.

وفي هذا الباب من علم حذيفة أحاديث كثيرة.

كذا ابن مسـعودٍ غزيـر العلـم روى فأوعى من علـومٍ الحسـم

قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشـراط الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه ويعترض عليه من لا شعور له به.

هو عبدالله بن مسعود أحد العبادلة في الإسلام وأحد حملة كتاب الله وكتـاب وحيه ، كان لزيما لرسول الله ρ وسمع منه عشرات الأحاديث في العلـوم ومنـها أحاديث في علم الساعة وتحولا ا.

ومثـلُ عبـدِالله نجـل عمـرو ينمى إلى العـاص كـثير الـذكر

ومنهم في العلم بفقه علامات الساعة الصحابـي الجليل عبدالله بن عمرو بـن العاص، وقد روى في هذا الباب أحاديث كثيرة، ويبدو أن روايتـه لهـذا العلـم جاءت من كثرة ما كان يدون ويكتب، فقد روي أنه كان يكتب الحديث بـين يدي رسول الله ρ وشهد له أبوهريرة بذلك.

والحسن السبطُ كـذلك الحسـين مع ابنـهِ علـي زيـن العابـدين

ومن علماء فقه التحولات سيدنا الإمام الحسن بن علي τ، وقد كـان مطلعـا على كثير من تحولات المراحل، ويكاد أن يكون τ وأرضاه أحد رجال المواقـف في فقه التحولات، إذ كان له دور عظيم في إطفاء فتنة الصراع على الحكم بـين فئتين من المسلمين مع كونه τ في موقفه محقا وغيره مبطلا ؛ ولكنه اتخـذ موقفـا حاسما وصفه النبـي ρ في الحديث بقوله: «إن ابني هذا سيد وسيصـلح الله بـه بـين فئتين من المسلمين».

ومثله أخوه الإمام الحسين بن علي τ، وكان من أكابر العلمـاء بـالتحولات محدثا عن أخبارها، وقد اتخذ في سبـيلها موقفا ظل جرحـا يـدمى في تـاريخ الإنسانية إلى يوم الدين، ومن موقفه الشجاع أمام التحولات لإعـادة الحـق إلى نصابه رسم الدم الطاهر مواقف جديدة وتكتلات عنيدة تثار عواصـفها بـين الحين والحين.

ومن رجال العلم بفقه التحولات كذلك سيدنا السجاد علي زين العابدين الذي قرأ الفقه وعاصر العديد من أحداثه الجارية، فحفرت الظروف والحروف في قلبـه

لوحة الألم، وكان يعبر عنها ويقول: إنّ يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف؛ ولم يعلم أنه مات، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غَدَاةِ يوم واحد، أفترونَ حزنهم يذهب من قلبي ؟

قال الناظم:

ومن له سهم من الوراثةْ ... من بعدهم في العلم كالحراثةْ

فمن يرد بالعلمِ وجه اللهِ ... يزد له فتحاً بلا اشتباهِ

بِشرطِ أنْ يأخذَه من منبعِه ... تجرداً عن ذاتِهِ ومنزعِه

فلا يميلُ ضِد من يخالفُه ... أو يستفِز الضد فيما يعرِفُه

بل يلزم القواسم المشتركةْ ... جامعةً أتباع دِين البركةْ

يشير النظم إلى استمرار عطاء الله في هذا العلم الخاص بفقه التحولات، وأنه كالحراثة الموروثة، ولكل من الحراثة بعد الوراثة سهم ونصيب، خلافا لمن يصادر الأرض أو يغتصبها من أهلها، فليس لديه من الشرعية نصيب، إذ إن العلم من شروطه الإخلاص والتجرد لله، فمن العلوم علوم يتفقه فيها الناس على مختلف نماذجهم وعقولهم وأفكارهم وحتى دياناتهم، فيمتلكون زمام المعرفة بجدارة العلم والاطلاع عليه، أما هذا العلم فلا يتحصل بالنظر ومداومة القراءة والاطلاع، وإنما هو كما عبر عنه ρ في دعائه لابن عباس τ: «اللهم علمه التأويل»، وكما ورد معناه في الآية الكريمة: بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، والنظر والاطلاع شرط لمعرفة الحروف وما تحمله من النصوص لاستقراء معانيها.

كما أن من شروطه سلامة الصدر عن الغل والغش والحقد لأحد من المسلمين ولو كان معارضا له أو ضدا، فأصل العلم اللدني سلامة الصدر، (العقل السليم في

القلب السليم)، وجامع السلامة معاملة الجميع بما يسمى بالقواسم المشـتركة في الاسلام من غير إفراط ولا تفريط، وهذا الموقف ليس من السهولة بمكان، وإنما هو ارتياض يتأتى بالأخذ والتلقي عن أهله، يحمله معنى قول الله تعالى: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بـينك وبـينه عداوة كأنـه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

علاقة آل بيت النبوة بفقه التحولات

من وظائف فقه التحولات في ديننا الحنيف تعيين آثار مراتب العلاقات الشرعية بين الخلق، كبر الوالدين أو عقوقهما والأرحام والجيران وعموم الناس، حيث إن هذه العلاقات جزء لا يتجزأ من الترابط الاجتماعي الشرعي الذي يثاب فاعله ويؤثم تاركه، بل يترتب على عقوق الوالدين مثلا وقطيعة الأرحام فساد العمل كله إذا لم يتب القاطع والعاق، وهذه هي مفصل الالتقاء مع بقية أركان الدين.

ومثل هذه العلاقات الخطيرة جعل الله سبحانه وتعالى العلاقة في فقه التحولات بين عموم المسلمين وآل البيت النبوي وبين عموم المسلمين، ومثل هذا يدل على أن موازين فساد القبول عند الله مما ابتلى به العباد ليس محصورا في التعبد وفرائضه المعروفة من صلاة وصوم وحج وزكاة وحدها، بل يبتلى المسلمون بشأن الولاء والمحبة للرسول ρ وآل بيته كجزء من مسؤوليات العلم الفرضي الواجب، وبفقدان هذا العلم تنفرط عرى العلاقات بين شرائح المجتمع الشرعي وتحل محلها علاقات اجتماعية أخرى ربما أوجدت خللا وكراهية وعداوة مع من لا يستحق العداوة، وأوجدت أيضا ميلا قلبيا ومحبة واستئناسا بمن لا يلزمنا المحبة له والاستئناس به كالمنافق والكافر، وبهذا الانقلاب في العلاقات والولاء ينتكس الإسلام في أهله كعلاقات تنشأ عن العلاقات الاجتماعية الفاسدة المفسدة، فمن لم يوالي رسول الله وآل بيته يبتليه الله بموالاة الكفار والمنافقين، ومن لم يعظم والديه وأرحامه ويؤدي حقوق جيرانه يبتليه الله بتعظيم الزوجة والأولاد وملاحقة السفهاء والأراذل وحب الدنيا وزينتها ومظاهرها على غير ضابط شرعي ولا أدب

مرعي [1]، وهي العقوبة الحتمية والبديل المناسب لفساد طبـيعة العلاقة، وهذا هو عين التحول والتبدل والعياذ بالله، والمتأمل اليوم في أحوال المسـلمين وولاءا ـم وعلاقا م الاجتماعية والخاصة يرى مدلولات التحول بارزة الأثر والتأثير مع غفلة وشمول لاستتباع عشوائي لا ينم عن عدل ولا تبصر ولا تبصير، مما يؤدي بلا شك إلى نفاذ قضاء الله وقدره وتحقيق ما وعد به من التنكيـل والتقتيـل والأذى لآل البـيت والوقوع في أعراضهم وسوء الظن م في مراحل الإضـلال والتضـليل، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فقه العلاقة بالذات النبوية

لأن الذات النبوية هي مصدر التشريع والقدوة الحسنة للأمة ومرجعية النسـك والأخلاق والمواقف، فالنظر في فقه الذات النبوية واجب ومتحتم، ولا يزال علماء الملة منذ قرون البعثة والرسالة وهم يحدون الناس ويفقهو م في ما يجـب علمـه عليهم نحو الذات النبوية من المحبة والاقتداء والولاء، وصدق الخدمـة في الـدين، باتباع الأوامر واجتناب المناهي، وبذل المعروف وأداء الحقوق ودراسـة نسـب النبـي وشرف محتده وفضل الصلاة والتسليم عليه وزيارة قبره ومسجده وغيرها.

---

(١) وقد امتلأت أحاديث علامات الساعة بذكر هذه الظواهر وانتشارها في آخـر الزمـان كشاهد على التحول والانتكاس.

فقه العلاقة بآل البـيت النبوي:

ويأتي في مقدمة هذا القسم دراسة مواقفه المعروفة بسنة المواقف.

كما حث الإسلام على التفقه في حقوق المصطفى ρ، وبـين أن من مظـاهر الفتنة وتحول المعرفة في علامات الساعة ترك الاهتمام بالذات النبوية والانشـغال بثمرات علوم السنة دون صاحبها، فإنه قد تناول أيضا إهمال النـاس بشـأن آل البـيت النبوي وقلب ا ن لهم ومحاربتهم كعلامة من علامات السـاعة، لقولـه ρ: «إن أهل بـيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا»، ورفـع النبـ ـي ρ وتيرة التحذير في شأن أهمية الاعتناء بأهل بـيته خصوصا فقال: «أذكركم الله في أهل بـيتي ثلاثا»، «ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بـيتي»، «إني تـارك فـيكم الثقلين كتاب الله وأهل بـيتي وإ ما لن يفترقا حتى يـردا علـي الحـوض» [(١)]، وأخرج الطبراني بزيادة: «وإ ما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، سألت ربـ ـي ذلك لهما، فلا تقَدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فـإ م أعلم منكم» [(٢)]، وربط بـين الولاء لهم والنجاة من النار، فقد روى الحـاكم في «المستدرك» عن عبدالله بن عباس τ أن رسول الله ρ قال: «يا بني عبـد المطلـب إني سألت الله لكم ثلاثا: أن يثبت قائمكم، وأن يهـدي ضـالكم، وأن يعلـم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلا صف بـ ـين الركن والمقام وصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بـ ـيت محمـد دخـل النار»، وعن أبـي سعيد الخدري τ قال: «والذي نفسي بـيده لا يبغضنا أهـلَ البـيت أحد إلا أدخله الله النار»، وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أبـ ـي سعيد قال: قال رسول الله ρ: «اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي» .

---

(١) من حديث زيد بن أرقم مختصرا. «ارتقاء الغرف» للسخاوي ص٦٣.

(٢) المصدر السابق.

مراتب آل البـيت:

أ-الولاء لقريش: بدأ الرسول ρ يضع مقايس الولاء بادئ ذي بـدء بقـريش فقال: «أمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش، قريش أهـل الله فـإذا خالفتها قبـيلة من العرب صاروا حزب إبليس» أخرجه الطـبراني. وحـديث: «أحبوا قريشا فإن من أحبهم أحبه الله» رواه الطبراني في «المعجم الكبـير». اهـ ـ من «ارتقاء الغرف» للسخاوي.

وفي هذا الباب أحاديث كثر لا نطيل بذكرها، ومنها مـا أورده البخـاري في صحيحه: «إن هذا الأمر من قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهـه مـا أقاموا الدين» أخرجه البخاري. اهـ ص٧٦ من «ارتقاء الغرف» للسخاوي.

ب- الولاء لآل البـيت عموما: وآل البـيت عموما هم بنو هاشـم وبنـو عبدالمطلب، وهم أيضا من ثبتت الصلاة عليهم وحرموا من الصدقة مع تعويضهم بخمس الخمس من بـيت مال المسلمين. فعن عمار وأبوهريرة رضي الله عنـهما قالوا: قدمت درة بنت أبـي لهب المدينة مهاجرةً فنـزلت في دار رافع بن المعلى، فقال لها نسوة جئن إليها من بني زريق: ابنة أبـي لهب الذي أنـزل الله فيـه: تبت يدا أبـي لهب فما تغني هجرتك ! فأتت درة رسـول الله ρ فبكـت وذكرت ما قلن لها فسكنها رسول الله ρ وقال: اجلسي، ثم صلى بالناس الظهـر ثم جلس على المنبر ساعة ثم قال: «يا أيها الناس ما لي أوذى في أهلي ؟ فـوالله إن شفاعتي تنال قرابتي حتى إن صداء وحكم وحاء وسهلب لتنالها يوم القيامـة» رواه الديلمي.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ρ قال: «أحبـوا الله لمـا يغدوكم به من نعمه، واحبوني لحب الله، وأحبوا آل بـيتي لحبـي» المستدرك.

وعن زيد بن أرقم τ قال: خطبنا رسول الله ρ في دير خـم فقـال: «وأهـل بـيتي أذكركم الله في أهل بـيتي.. أذكركم الله في أهل بـيتي..»، قيل لزيـد: ومن أهل بـيته ؟ قال: الذين حرموا الصدقة: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس، قيل لزيد: أكل هولاء أهل بـيته ؟ قال: نعـم. رواه احمـد والنسـائي ومسلم.

ت- الولاء لأهل الكساء: عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ρ قـال لفاطمة: أريني زوجك وابنيك، فجاءت م، فألقى عليهم رسول الله ρ كسـاء كان تحتي خيبريا (أصبناه من خيبر) ثم رفع يديه فقال: اللهم إن هولاء آل محمـد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، فرفعت الكساء لأدخل معهم فجره رسول الله ρ من يدي وقال: «إنـك على خير». رواه أبويعلى وابن عساكر.

عن العباس بن عبدالمطلب τ قال: كنا نلقى النفر من قريش وهـم يتحـدثون فيقطعون حديثهم، فذكرنا ذلك للنبـي ρ فقال: «والله لا يدخل قلـب رجـل الإيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي» وفي لفظ: «لقرابتكم مني» رواه ابن عساكر وابـن النجار. اهـ عن رسالة آل البـيت لابن تيمية ص١٤٢.

وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة أن هذه الآية لما نـزلت أدار النبـي ρ كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنـهم فقـال: «اللهم هولاء أهل بـيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

حقوق آل البـيت:

١- كفالتهم بمنحهم الخمس المقرر لهم شرعا، وإذا تعذر الخمس لقلة مـال أو لظلم من يتولى على حقوقهم فيعطون من الصدقة المفروضة ما يكفـيهم. اهـ ـ. وقال بذلك أبو سعيد الاصطخري، قال الرافعي: وكان محمد بن يحـيى صـاحب

الغزالي يفتي بهذا. اهـ «المهذب» للنووي (٦: ٢٢٧) نقلا عن رسالة آل البـيت لابن تيمية ص٢٥.

٢- تقديمهم في العلم والفتوى والمكانة والمجلس.

٣- موالاتهم بالمحبة والخدمة وطلب الدعاء منهم والدفاع عن أعراضهم ونشـر فضائلهم والغض عن معايبهم.

الخاتمة

وآخر النظم لهذا الجمع　　سألت مولاي دوام النفع

بما جمعت ويطيلُ العمرا　　في طاعةٍ وأن يزيد الأجرا

وأنْ يثيب كُل من أشارا　　علي بالنظم ومن أنارا

طريق وعيي بالعلومِ النافعةْ　　ومن هداني للطريق الجامعةْ

وخص أشياخي رجالَ العلمِ　　ومن م دخلْت باب الفهمِ

أولُهم مولاي ذاك والدي　　علي المشهور عين واردي

وسيدِي مولاي عبدالقادر　　بن أحمد البحر المحيطِ الهادر

شيخ الزمان المفردِ البحر الخِضم　　من نلْت منه سِر عِلْمٍ وقَدم[1]

وجملةٌ من الشيوخ الكرما　　جزاهم ربي جزاءً أعظما

وأن يكونَ منهجي موافقا　　لسنةِ المختار جاً صادقا

ولا أرى الفتنةَ أو أربا ا　　ولا أوالي في الم لا أذنا ا

وأن أعيش ما بقِي من الزمن　　في خدمةِ الدين اتباعا للسنن

نحيِي موات العلمِ والإيمان　　ونستعيد منهج القرآن

ونصنع الأجيالَ أجيالَ الهدى　　أحباب دين المصطفى طولَ المدى

مع التزامِ الصدق والسلامةْ　　في كل حالٍ لا نرى ندامةْ

والختم بالصلاةِ والسلامِ　　على النبي سيدِ الأنامِ

---

(١) القدم هو السير على الطريق إلى الله تعالى.

محمدٍ المبعوثِ بالهدايةْ	دِيناً ودنيا في سبيل الغايةْ
فغايةُ الإسلامِ إصلاح الورى	وطاعةٌ للهِ مِن غير امترا
والموت في خيرٍ على إيمان	وراحةٌ في أوسع الجنان
والنظر الأجلى لرب واهبِ	مع النبي في المقامِ الطيبِ
والحمد للهِ على ما وفقا	بدءاً وختماً ما حيا المُزن سقا
أو ما جرى سيلُ الروابي سحرا	مِن بعدِ ودقٍ هانئٍ قد أمطرا

والحمد لله رب العالمين

تم شرح المنظومة في يوم الأربعاء

٢٧ صفر عام ١٤٢٤ هـ

بمدينة جدة المحروسة

المراجع

١) القرآن الكريم.

٢) فتح الباري شرح البخاري الجزء الثالث عشر.

٣) شرح مسلم للإمام النووي الجزء السادس.

٤) الإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي، الطبعة المحققة.

٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

٦) الجواهر والدرر في أخبار المنتظر للشافعي.

٧) هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام لعجاج.

٨) بين يدي الدجال للمؤلف.

٩) كشف الأقنعة عن الوجوه الغثائية المقنعة للمؤلف.

١٠) الإحاطة والاحتياط للمؤلف.

١١) بذل ا هود شرح سنن أبي داؤود الجزء الثامن.

١٢) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة أطروحة دكتوراه للدكتور محمد أمحزون.

١٣) أفيقوا يا أمة الإسلام قبل أن تدفعوا الجزية.

١٤) كنز العمال للهندي.

١٥) عقيدة المسيخ الدجال لسعيد أيوب.

١٦) الفتنة المعاصرة لفؤاد علي مخيمر.

١٧) المفاجأة لمحمد عيسى داود.

١٨) الجفر لمحمد عيسى داؤود.

١٩) أشراط الساعة ليوسف بن عبدالله الوابل.

٢٠) جمع الفوائد لمحمد بن محمد بن سليمان.

٢١) الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي.

٢٢) أشعة الأنوار للشيخ محمد البـ يحاني.
٢٣) وريقات مأخوذة من الانترنت باسم (ساري الليل).

الفهرس